مطبوعات دار المأمون

الوقت من ذهب

مكتبة القراءة والثقافة الأدبية

الدكتور أحمد فريد رفاعي

مدير إدارة الصحافة والنشر والثقافة المصرية

سلسلة الموسوعات العربية

معجم الأدباء

في عشرين جزءا

لياقوت

راجعته وزارة المعارف العمومية

الجزء الخامس

الطبعة الأخيرة

منقحة ومضبوطة وفيها زيادات

مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمدك اللهم نستعين، وبالصلاة على نبيك نستلهم التوفيق لما يقتضيه الدين. أما بعد فقد قال العماد الأصفهاني:

إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غُيّر هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يُستحسن، ولو قُدّم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.

العماد الأصفهاني

١ – أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ ، بْنِ يَعْقُوبَ ، الْمُلَقَّبُ مُسْكَوَيْهِ *

أحمد مسكويه

أَبُو عَلِيٍّ الْخَازِنُ ، صَاحِبُ التَّجَارِبِ ، مَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ يَحْيَى بْنُ مَنْدَةَ ، فِي تَاسِعِ صَفَرَ ، سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، قَالَ أَبُو حَيَّانَ فِي كِتَابِ الْإِمْتَاعِ : وَقَدْ ذَكَرَ طَائِفَةً مِنْ مُتَكَلِّمِي زَمَانِهِ ، ثُمَّ قَالَ : وَأَمَّا مُسْكَوَيْهِ ، فَفَقِيرٌ بَيْنَ أَغْنِيَاءَ ، وَغَنِيٌّ بَيْنَ أَنْبِيَاءَ ، لِأَنَّهُ شَاذٌّ ، وَإِنَّمَا أَعْطَيْتُهُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ ، صَفْوَ الشَّرْحِ لِإِيسَاغُوجِي ، وَقَاطِيغُورْيَاسَ ، مِنْ تَصْنِيفِ صَدِيقِنَا بِالرَّيِّ . قَالَ الْوَزِيرُ[1] : وَمَنْ هُوَ ؟ قُلْتُ أَبُو الْقَاسِمِ الْكَاتِبُ ، غُلَامُ أَبِي الْحَسَنِ الْعَامِرِيِّ ، وَصَحَّحَهُ مَعِي ، وَهُوَ الْآنَ لَائِذٌ بِابْنِ الْخَمَّارِ ، وَرُبَّمَا شَاهَدَ أَبَا سُلَيْمَانَ الْمَنْطِقِيَّ ، وَلَيْسَ لَهُ فَرَاغٌ ، لَكِنَّهُ مُحِبٌّ فِي هَذَا الْوَقْتِ ، لِلْحَسْرَةِ الَّتِي لَحِقَتْهُ مِمَّا فَاتَهُ مِنْ قَبْلُ . فَقَالَ : يَا عَجَبًا لِرَجُلٍ صَحِبَ ابْنَ الْعَمِيدِ ، وَأَبَا الْفَضْلِ ، وَرَأَى

(١) هو بن سعدان

(*) ترجم له فى كتاب الوافى بالوفيات جزء ثان قسم ثان صفحة ٢٦٩ ، بترجمة وافقت ترجمته فى معجم ياقوت ، ولكنه ترك شيئاً رأينا أن نلم به ، إتماماً للغاية المنشودة : بعد كتابته كتاب العهد ، وهذا ابن مسكويه ، معدود فى فلاسفة الاسلام

مَا عِنْدَهُ، وَهَذَا حَظُّهُ ، قُلْتُ : قَدْ كَانَ هَذَا ، وَلَكِنَّهُ كَانَ مَشْغُولًا بِطَلَبِ الْكِيمْيَاء ، مَعَ أَبِي الطَّيِّبِ الْكِيمْيَائِيّ الرَّازِيّ ، مَنْهُوكَ (١) الْهِمَّةِ فِي طَلَبِهِ ، وَالْحِرْصِ عَلَى إِصَابَتِهِ ، مَفْتُونًا بِكُتُبِ أَبِي زَكَرِيَّا ، وَجَابِرِ بْنِ حَيَّانَ ، وَمَعَ هَذَا ، كَانَ إِلَيْهِ خِدْمَةُ صَاحِبِهِ فِي خِزَانَةِ كُتُبِهِ ، هَذَا مَعَ تَقْطِيعِ الْوَقْتِ فِي الْحَاجَاتِ الضَّرُورِيَّةِ وَالشَّهْوِيَّةِ ، وَالْعُمْرُ قَصِيرٌ ، وَالسَّاعَاتُ طَائِرَةٌ ، وَالْحَرَكَاتُ دَائِمَةٌ ، وَالْفُرَصُ بُرُوقٌ تَأْتَلِقُ (٢) ، وَالْأَوْطَارُ فِي عَرْضِهَا تَجْتَمِعُ وَتَفْتَرِقُ ، وَالنُّفُوسُ عَنْ فَوَائِتِهَا (٣) تَذُوبُ وَتَحْتَرِقُ ، وَلَقَدْ قَطَنَ الْعَامِرِيُّ الرَّيَّ خَمْسَ سِنِينَ ، وَدَرَّسَ وَأَمْلَى ، وَصَنَّفَ وَرَوَى ، فَمَا أَخَذَ عَنْهُ مَسْكَوَيْهِ كَلِمَةً وَاحِدَةً ، وَلَا وَعَى مَسْأَلَةً ، حَتَّى كَأَنَّهُ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ سَدٌّ ، وَلَقَدْ تَجَرَّعَ عَلَى هَذَا التَّوَانِي الصَّابَ وَالْعَلْقَمَ ، وَمَضَغَ لُقْمَةَ حَنْظَلِ النَّدَامَةِ فِي نَفْسِهِ ، وَسَمِعَ بِأُذُنِهِ ، قَوَارِعَ الْمَلَامَةِ (٤) مِنْ أَصْدِقَائِهِ ، حِينَ مَا يَنْفَعُ ذَلِكَ كُلُّهُ ، وَبَعْدَ هَذَا ، فَهُوَ ذَكِيٌّ ، حَسَنُ الشِّعْرِ ، نَقِيُّ اللَّفْظِ ، وَإِنْ

(١) وفى الأصل : مملوك ، ولعل الصواب ما ذكرناه (٢) أى تلمع كالبرق

(٣) وفى الامتاع : « قرابتها »

(٤) وفى الأمتاع : والاصل الذى فى مكتبة اكسفورد : « الندامة »

بَقِيَ فعَسَاهُ أَنْ يَتَوَسَّطَ هَذَا الحَدِيثَ ، وَمَا أَرَى ذَلِكَ مَعَ كَلَفِهِ بِالْكِيمْيَاءِ ، وَإِنْفَاقِ زَمَانِهِ ، وَكَدِّ بَدَنِهِ وَقَلْبِهِ فِي خِدْمَةِ السُّلْطَانِ ، وَاحْتِرَاقِهِ فِي الْبُخْلِ بِالدَّانِقِ وَالْقِيرَاطِ ، وَالْكِسْرَةِ وَالْخِرْقَةِ ، - نَعُوذُ بِاللهِ - مِنْ مَدْحِ الْجُودِ بِاللِّسَانِ ، وَإِيثَارِ الشُّحِّ بِالْفِعْلِ ، وَتَمْجِيدِ (١) الْكَرَمِ بِالْقَوْلِ ، وَمُفَارَقَتِهِ بِالْعَمَلِ .

قَالَ أَبُو مَنْصُورٍ الثَّعَالِبِيُّ : كَانَ فِي الذِّرْوَةِ الْعُلْيَا مِنَ الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ ، وَالْبَلَاغَةِ وَالشِّعْرِ ، وَكَانَ فِي رَيْعَانِ شَبَابِهِ مُتَّصِلًا بِابْنِ الْعَمِيدِ ، مُخْتَصًّا بِهِ ، وَفِيهِ يَقُولُ :

لَا يُعْجِبَنَّكَ حُسْنُ الْقَصْرِ تَنْزِلُهُ
فَضِيلَةُ الشَّمْسِ لَيْسَتْ فِي مَنَازِلِهَا
لَوْ زِيدَتِ الشَّمْسُ فِي أَبْرَاجِهَا مِائَةً
مَا زَادَ ذَلِكَ شَيْئًا فِي فَضَائِلِهَا

ثُمَّ تَنَقَّلَتْ بِهِ أَحْوَالٌ جَلِيلَةٌ ، فِي خِدْمَةِ بَنِي بُوَيْهِ ، وَالِاخْتِصَاصِ بِبَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَعَظُمَ شَأْنُهُ ، وَارْتَفَعَ مِقْدَارُهُ ، فَتَرَفَّعَ عَنْ خِدْمَةِ الصَّاحِبِ ، وَلَمْ يَرَ نَفْسَهُ دُونَهُ ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْ نَوَائِبِ الدَّهْرِ ، حَتَّى

(١) وفى الامتاع : والنسخة التى فى مكتبة اكسفورد « محتد »

قَالَ مَا هُوَ مُتَنَازَعٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نفَرٍ مِنَ الْفُضَلَاءِ :

مَنْ عَذِيرِى [1] مِنْ حَادِثَاتِ الزَّمَانِ
وَجفَاءِ الْإِخْوَانِ وَالْخِلَّانِ

قَالَ : وَلَهُ قصِيدَةٌ فِى عَمِيدِ الْمُلْكِ ، تَفَنَّنَ فِيهَا ، وَهَنَّأَهُ بِاتِّفَاقِ الْأَضْحَى ، وَالْمِهْرَجَانِ فِى يَوْمٍ ، وَشَكَا سُوءَ أَثَرِ الْهَرَمِ ، وَبُلُوغَهُ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمْرِ :

قُلْ لِلْعَمِيدِ : عَمِيدِ الْمُلْكِ وَالْأَدَبِ
أَسْعِدْ بِعِيدَيْكَ : عِيدِ الْفُرْسِ وَالْعَرَبِ
هَذَا يُشِيرُ بِشُرْبِ ابْنِ الْغَمَامِ [2] ضُحًى
وَذَا يُشِيرُ عَشِيًّا بِابْنَةِ الْعِنَبِ [3]
خَلَائِقُ خُيِّرَتْ فِى كُلِّ صَالِحَةٍ
فَلَوْ دَعَاهَا لِغَيْرِ الْخَيْرِ لَمْ تُجِبِ

---

(١) عذيرى : يعذرنى
(٢) ابن الغمام : المطر
(٣) ابنة العنب : الخمر

أَعَدْنَ شَرْخَ (١) شَبَابٍ لَسْتُ أَذْكُرُهُ
بُعْدًا وَرَدَدْنَ (٢) عَلَيَّ الْعُمْرَ مِنْ كَثَبِ
فَطَابَ لِي هَرَمِي وَالْمَوْتُ يَلْحَظُنِي
لَحْظَ الْمُرِيبِ وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ يَطِبِ
فَإِنْ تَمَرَّسَ (٣) لِي خَصْمٌ تَعَصَّبَ لِي
وَإِنْ أَسَاءَ إِلَيَّ الدَّهْرُ أَحْسَنَ بِي

وَمِنْهَا:

وَقَدْ بَلَغْتُ إِلَى أَقْصَى مَدَى عُمُرِي
وَكَلَّ غَرْبِي (٤) وَاسْتَأْنَسْتُ بِالنُّوَبِ
إِذَا تَمَلَّأْتُ مِنْ غَيْظٍ عَلَى زَمَنِي
وَجَدْتُنِي نَافِخًا فِي جَذْوَةِ اللَّهَبِ

وَمِنْهَا:

وَإِنْ تَمَنَّيْتَ عَيْشَ الدَّهْرِ أَجْمَعَهُ
وَأَنْ تُعَانِيَ مَا وَلَّى مِنَ الْحُقَبِ (٥)

---

(١) شرخ الشباب: فتوته (٢) نون النسوة وتاء التأنيث، لحقتا أعاد، ورد «لعودهما الى الخلائق فى البيت السابق، ومن كثب: أى من قرب «عبد الخالق»

(٣) تمرس: أى تعرض لى بالشر

(٤) غرب كل شيء حده، يريد لسانه (٥) الحقب: السنين

فَانْظُرْ إِلَى سِيَرِ الْقَوْمِ الَّذِينَ مَضَوْا
وَالْحَظْ كِتَابَتَهُمْ مِنْ بَاطِنِ الْكُتُبِ
تَجِدْ تَفَاوُتَهُمْ فِي الْفَضْلِ مُخْتَلِفاً
وَإِنْ تَقَارَبَتِ الْأَحْوَالُ فِي النَّسَبِ
هٰذَا : كَتَاجٍ عَلَى رَأْسٍ يُعَظِّمُهُ
وَذَاكَ كَالْبَعَرِ الْجَافِي (١) عَلَى الذَّنَبِ

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَكَانَ مَسْكَوَيْهِ مَجُوسِيًّا وَأَسْلَمَ ، وَكَانَ عَارِفاً بِعُلُومِ الْأَوَائِلِ مَعْرِفَةً جَيِّدَةً ، وَلَهُ فِي ذَلِكَ : كِتَابُ الْفَوْزِ الْأَكْبَرِ ، كِتَابُ الْفَوْزِ الْأَصْغَرِ . وَصَنَّفَ كُتُبَ تَجَارِبِ الْأُمَمِ فِي التَّارِيخِ ، إِبْتِدَاؤُهُ مِنْ بَعْدِ الطُّوفَانِ ، وَانْتِهَاؤُهُ إِلَى سَنَةِ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . وَلَهُ : كِتَابُ أُنْسِ الْفَرِيدِ ، وَهُوَ مَجْمُوعٌ يَتَضَمَّنُ أَخْبَاراً وَأَشْعَاراً ، وَحِكَماً وَأَمْثَالاً ، غَيْرُ مُبَوَّبٍ ، وَكِتَابُ تَرْتِيبِ الْعَادَاتِ ، وَكِتَابُ الْمُسْتَوْفَى أَشْعَارٌ مُخْتَارَةٌ ، وَكِتَابُ الْجَامِعِ ، وَكِتَابُ جَاوِذَانَ فَرْدَ ، وَكِتَابُ السِّيَرِ أَجَادَهُ ، ذَكَرَ فِيهِ مَا يُسَيِّرُ بِهِ الرَّجُلُ نَفْسَهُ

(١) من جفا على الشيء : ثقل ، فهو يرى أن الفضل الذى فى الناس مختلف ، نوع كالتاج على رأس ذوى الفضل ، وآخر يشبه بالبعر على الذنب ثقيل عليه ، ومحقر لصاحبه « عبد الخالق »

مِنْ أُمُورِ دُنْيَاهُ ، مَزَجَهُ بِالْأَثَرِ، وَالْآيَةِ ، وَالْحِكْمَةِ ، وَالشِّعْرِ .
وَلِلْبَدِيعِ الْهَمَذَانِيِّ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ مَسْكَوَيْهِ ، يَعْتَذِرُ مِنْ شَيْءٍ بَلَغَهُ عَنْهُ ، بَعْدَ مَوَدَّةٍ كَانَتْ بَيْنَهُمَا :

وَيَا عَزُّ : إِنْ وَاشٍ وَشَى بِي عِنْدَكُمْ
فَلَا تُمْهِلِيهِ أَنْ تَقُولِي لَهُ : مَهْلًا
كَمَا لَوْ وَشَى وَاشٍ بِعَزَّةَ عِنْدَنَا
لَقُلْنَا : تَزَحْزَحْ لَا قَرِيباً وَلَا سَهْلًا[(١)]

بَلَغَنِي — أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ — ، أَنَّ قَيْضَةَ[(٢)] كَلْبٍ وَافَتْهُ بِأَحَادِيثَ لَمْ يُعِرْهَا الْحَقُّ نُورَهُ ، وَلَا الصِّدْقُ ظُهُورَهُ ، وَأَنَّ الشَّيْخَ أَذِنَ لَهَا عَلَى حِجَابِ[(٣)] أُذُنِهِ ، وَفَسَحَ لَهَا فِنَاءَ ظَنِّهِ ، — وَمَعَاذَ اللهِ — أَنْ أَقُولَهَا ، وَأَسْتَجِيزَ مَعْقُولَهَا ، بَلَى[(٤)] قَدْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ عِتَابٌ لَا يُنْزِعُ[(٥)] كَنَفَهُ ، وَلَا يَجْذِفُ[(٦)]

(١) فى الرسائل : « أهلا »
(٢) القيضة : العظمة
(٣) فى الرسائل: « مجال »
(٤) فى الرسائل « بل »
(٥) وفى الرسائل : « ينزل كنفه »
(٦) وفى الرسائل : « يجدف » والمعنى قطعه ، والفعل من باب ضرب وتجده بالدال والذال « عبد الخالق »

أَنفَهُ ، وَحَدِيثٌ لَايَتَعَدَّى إِلَى النَّفْسِ وَضَمِيرِهَا ، وَلَا تَعْرِفُهُ[(١)] الشَّفَةُ وَسَمِيرُهَا[(٢)] ، وَعَرْبَدَةٌ كَعَرْبَدَةِ أَهْلِ الفَضْلِ ، لَاتَتَجَاوَزُ الدَّلَالَ وَالإِدْلَالَ ، وَوَحْشَةٌ يَكْشِفُهَا[(٣)] عِتَابُ لَحْظَةٍ ، كَغِنَاءِ[(٤)] جَحْظَةَ ، فَسُبْحَانَ مَنْ رَبَّى هَذَا الأَمْرَ ، حَتَّى صَارَ أَمْرًا ، وَتَأَبَّطَ شَرًّا ، وَأَوْحَشَ حُرًّا ، وَأَوْجَبَ عُذْرًا ، بَلْ سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَنِي فِي حَيِّزِ العُذْرِ[(٥)] أَشِيمُ بَارِقَتَهُ[(٦)] ، وَأَسْتَقْبِلُ صَاعِقَتَهُ ، وَأَنَا الْمُسَاءُ إِلَيْهِ ، وَالمَجْنِيُّ عَلَيْهِ ، وَالْمُسْتَخَفُّ بِهِ ، لَكِنْ مَنْ بُلِيَ مِنَ الأَعْدَاءِ كَمَا بُلِيتُ ، وَرُمِيَ مِنَ الحَسَدَةِ بِمَا رُمِيتُ ، وَوَقَفَ مِنَ الوَجْدِ وَالوَحْدَةِ حَيْثُ وَقَفْتُ ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ مِنَ المَكَارِهِ مَاوَصَفْتُ ، اعْتَذَرَ مَظْلُومًا ، وَأَحْسَنَ مَلُومًا ، وَضَحِكَ مَشْتُومًا ، وَلَوْ عَلِمَ الشَّيْخُ عَدَدَ أَبْنَاءِ الحَدَدِ[(٧)] ، وَأَوْلَادَ العَدَدِ ، بِهَذَا البَلَدِ ، مِمَّنْ

---

(١) وفى الرسائل : تعرف

(٢) لعل سمير الشفة : اللسان

(٣) فى الرسائل : لا يكشفها (٤) وفى الرسائل : « كتاب »

(٥) وفى الرسائل : جنب العدو (٦) أى أرى أوائله ، وكان فى الاصل مكان استقبل : استحيل ، فجعلتها كما ذكرنا للمناسبة ، ولأنه لا معنى لما فى الاصل « عبد الخالق »

(٧) فى الرسائل : الجدد ، وعند شارح الرسائل : أنه جمع جديد : والصواب الحدد : بمعنى الباطل

لَيْسَ لَهُ هِمَّةٌ إِلَّا فِى شِكَايَةٍ، أَوْ حِكَايَةٍ، أَوْ سِعَايَةٍ أَوْ نِكَايَةٍ لَضَنَّ بِعِشْرَةِ غَرِيبٍ إِذَا بَدَرَ، وَبَعِيدٍ إِذَا حَضَرَ، وَلَصَانَ مَجْلِسَهُ عَمَّنْ لَا يَصُونُهُ عَمَّا رَقِىَ إِلَيْهِ، فَهَبْنِى قُلْتُ مَا حُكِىَ لَهُ، أَلَيْسَ الشَّاتِمُ مَنْ أَسْمَعَ (١)؟ أَلَيْسَ الْجَانِى مَنْ أَبْلَغَ؟ فَقَدْ بَلَغَ مِنْ كَيْدِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، أَنَّهُمْ حِينَ صَادَفُوا مِنَ الْأُسْتَاذِ نَفَسًا لَا تُسْتَفَزُّ، وَحَبْلًا لَا يُهَزُّ، دَسُّوا إِلَيْهِ حَدِيثَهُ بِمَا حَرَّشُوا بِهِ نَارَهُمْ (٢)، وَرَدَّ عَلَىَّ مِمَّا قَالُوهُ، فَمَا لَبِثْتُ أَنْ قُلْتُ:

فَإِنْ يَكُ حَرْبٌ بَيْنَ قَوْمِى وَقَوْمِهَا
فَإِنِّى لَهَا فِى كُلِّ نَائِبَةٍ سِلْمُ

فَلْيَعْلَمِ الشَّيْخُ الْفَاضِلُ، أَنَّ فِى كَبِدِ الْأَعْدَاءِ مِنِّى جَمْرَةً، وَأَنَّ فِى أَوْلَادِ الزِّنَا عِنْدَنَا كَثْرَةً، قُصَارَاهُمْ نَارٌ يَشُبُّونَهَا، أَوْ عَقْرَبٌ يُدَبِّبُونَهَا، أَوْ مَكِيدَةٌ يَطْلُبُونَهَا، وَلَوْلَا أَنَّ الْعُذْرَ إِقْرَارٌ بِمَا قِيلَ، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْتَقِيلَ، بَسَطْتُ فِى الِاعْتِذَارِ شَاذَرْوَانًا، وَدَخَلْتُ فِى الِاسْتِقَالَةِ مَيْدَانًا، لَكِنَّهُ أَمْرٌ لَمْ

(١) وفى الرسائل: « اسمع الناس »

(٢) وفى الرسائل: وشو إلى خدمه بما أرثوا نارهم، ومعنى أرثوا النار: أوقدوها

أُضِعْ أَوَّلُهُ ، فَلَا أَتدارَكُ آخِرَهُ ، وَقَدْ أَبَى الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ ، إِلَّا أَنْ يُوصِلَ هَـذَا النَّثْرَ الْفَاتِرَ بِنَظْمٍ مِثْلِهِ ، فَهَا كَهُ (١) يَلْعَنُ بَعْضُهُ بَعْضاً :

مَوْلَاىَ إِنْ عُدْتُ وَلَمْ تَرْضَ لِي
أَنْ أَشْرَبَ الْبَارِدَ لَمْ أَشْرَبِ
إِمْتَطِ خَدِّى وَانْتَعِلْ نَاظِرِى
وَصِدْ بِكَفِّى حُمَةَ (٢) الْعَقْرَبِ
بِاللهِ مَا أَنْطِقُ عَنْ كَاذِبٍ
فِيكَ وَلَا أُبْرِقُ عَنْ خُلَّبِ (٣)
فَالصَّفْوُ بَعْدَ الْـكَدَرِ الْمُفْتَرَى
كَالصَّحْوِ بَعْدَ الْمَطَرِ الصَّيِّبِ (٤)
إِنْ أَجْتَنِ الْغِلْظَةَ مِنْ سَيِّدِى
فَالشَّوْكُ عِنْدَ الثَّمَرِ الطَّيِّبِ

(١) وفى الرسائل : « فها كه » بدل : فكاهة التى كانت فى الأصل هذا ، وقد أصلحناه كما فى الرسالة (٢) ما تلدغ به

(٣) البرق الخلب : ماخلا من المطر وفى الرسائل : « فيك » بدل « فيه » التى كانت بالاصل قبل الاصلاح (٤) أى المتون وفى الرسائل : بدل « بعد » « عقب »

أَوْ نَفَقَ[1] الزُّورُ عَلَى نَاقِدٍ

فَالْخَمْرُ قَدْ تُغْضَبُ بِالثَّيِّبِ[2]

وَلَعَلَّ الشَّيْخَ أَبَا مُحَمَّدٍ يَقُومُ مِنَ الِاعْتِذَارِ ، بِمَا قَعَدَ عَنْهُ الْقَلَمُ وَالْبَيَانُ ، فَنِعْمَ رَائِدُ الْفَضْلِ هُوَ ، وَالسَّلَامُ .

« وَجَاءَ الْجَوَابُ مِنْ أَبِي عَلِيٍّ » :

وَإِذَا الْوَاشِي أَتَى يَسْعَى لَهَا

نَفَعَ الْوَاشِي بِمَا جَاءَ يَضُرُّ

فَهِمْتُ خِطَابَ الشَّيْخِ الْفَاضِلِ ، الْأَدِيبِ الْبَارِعِ ، الَّذِي لَوْ قُلْتُ : إِنَّهُ السِّحْرُ الْحَلَالُ ، وَالْعَذْبُ الزُّلَالُ ، لَنَقَصْتُهُ حَظَّهُ ، وَلَمْ أُوفِهِ حَقَّهُ ، أَمَّا الْبَلَاغَاتُ الَّتِي أَوْمَأَ إِلَيْهَا ، فَوَاللهِ مَا أَذِنْتُ لَهَا ، وَلَا أَذِنْتُ فِيهَا ، وَمَا أَذْهَبَنِي عَنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ ، وَأَبْعَدَنِي عَنْهَا ، وَقَدْ نَزَّهَ اللهُ لِسَانَهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ ، وَسَمْعِي عَنِ الْإِصْغَاءِ ، وَمَا يَتَّخِذُ الْعَدُوُّ بَيْنَهُمَا

(١) كانت فى الاصل : نفذ ، وأصلحت.

(٢) قال شارح الرسائل : تطلق الثيب على الخمر ، إذا خالطها الماء ، يريد أن الخمر على ما فيها من المزايا ، لا يغفرها اسم الثيب : والغضب مصدر من غضب كضرب من معانيه : الشتم والتناول ، بمعنى القذف

مَجالاً ، وَأَمَّا الْأَبْيَاتُ فَقَدْ تَكَلَّفْتُ الْجَوابَ عَنْها ، لا مُساجَلَةً لَهُ ، وَلَكِنْ لِأَبْلُغَ الْمَجْهُودَ فِى قَضَاء حَقِّهِ :

يَا بَارِعاً فِى الْأَدَبِ الْمُجْتَنَى
مِنْهُ ضُرُوبُ الثَّمَرِ الطَّيِّبِ
لَوْ قُلْتُ : إِنَّ الْبَحْرَ مُسْتَغْرِقٌ
فِى بَحْرِكَ الْفَيَّاضِ لَمْ أَكْذِبِ
إِذَا تَبَوَّأْتَ مَحَلاًّ فَمَا
نَزَلْتَ إِلَّا مَنْزِلَ الْكَوْكَبِ
أَحْمَدْتَنِي الشِّعْرَ وَأَعْتَبْتَنِي (١)
فِيهِ وَلَمْ أَذْمُمْ وَلَمْ أَعْتِبِ
وَالْعُذْرُ يَمْحُو ذَنْبَ فَعَّالِهِ
فَكَيْفَ يَمْحُوهُ وَلَمْ يُذْنِبِ
أَنَا الَّذِى آتِيكَ مُسْتَغْفِراً
مِنْ زَلَّةٍ لَمْ تَكُ مِنْ مَذْهَبِي

(١) أى جعلت لى العتب

وَأَنْتَ لَا تَمْنَعُ مُسْتَوْهِباً

مَالاً فَهَبْ ذَنْباً لِمُسْتَوْهِبِ

قَالَ أَبُو حَيَّانَ فِي كِتَابِ الْوَزِيرَيْنِ : فَإِنَّ ابْنَ الْعَمِيدِ اتَّخَذَهُ خَازِناً لِكُتُبِهِ ، وَأَرَادَ أَيْضاً أَنْ يَقْدَحَ ابْنَهُ بِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ (١) الصَّنَائِعِ الْمَقْصُودَةِ ، وَالْمُهِمَّاتِ اللَّازِمَةِ وَكَانَ يَحْتَمِلُ ذَلِكَ لِبَعْضِ الْعَزَازَةِ بِظِلِّهِ ، وَالتَّظَاهُرِ بِجَاهِهِ .

— نُسْخَةُ وَصِيَّةِ أَبِي عَلِيٍّ مَسْكَوَيْهِ —

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ » : هَذَا مَا عَاهَدَ عَلَيْهِ أَحْمَدُ ابْنُ مُحَمَّدٍ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ آمِنٌ فِي سِرْبِهِ ، مُعَافًى فِي جِسْمِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ ، لَا تَدْعُوهُ إِلَى هَذِهِ الْمُعَاهَدَةِ ، ضَرُورَةُ نَفْسٍ وَلَا بَدَنٍ ، وَلَا يُرِيدُ بِهَا مُرَاءَاةَ مَخْلُوقٍ ، وَلَا اسْتِجْلَابَ مَنْفَعَةٍ ، وَلَا دَفْعَ مَضَرَّةٍ مِنْهُمْ ، عَاهَدَهُ عَلَى أَنْ يُجَاهِدَ نَفْسَهُ ، وَيَتَفَقَّدَ أَمْرَهُ ، فَيَعِفَّ ، وَيَشْجُعَ ، وَيُحَكِّمَ . وَعَلَامَةُ عِفَّتِهِ : أَنْ يَقْتَصِدَ فِي مَآرِبِ بَدَنِهِ ، حَتَّى لَا يَحْمِلَهُ الشَّرَهُ عَلَى مَا يَضُرُّ جِسْمَهُ ، أَوْ يَهْتِكَ مُرُوءَتَهُ . وَعَلَامَةُ شَجَاعَتِهِ : أَنْ يُحَارِبَ

(١) لعله : عنده

دَوَاعِيَ نَفْسِهِ الذَّمِيمَةَ ، حَتَّى لَا تَقْهَرَهُ شَهْوَةٌ قَبِيحَةٌ ، وَلَا غَضَبٌ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ . وَعَلَامَةُ حِكْمَتِهِ : أَنْ يَسْتَبْصِرَ فِي اعْتِقَادَاتِهِ ، حَتَّى لَا يَفُوتَهُ بِقَدْرِ طَاقَتِهِ شَيْءٌ مِنَ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ الصَّالِحَةِ ، لِيُصْلِحَ أَوْلَادَ(١) نَفْسِهِ وَيُهَذِّبَهَا ، وَيَحْصُلَ لَهُ مِنْ هَذِهِ الْمُجَاهَدَةِ ثَمَرَتُهَا ، الَّتِي هِيَ الْعَدَالَةُ ، وَعَلَى أَنْ يَتَمَسَّكَ بِهَذِهِ التَّذْكِرَةِ ، وَيَجْتَهِدَ فِي الْقِيَامِ بِهَا ، وَالْعَمَلِ بِمُوجِبِهَا ، وَهِيَ خَمْسَةَ عَشَرَ بَابًا : إِيثَارُ الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فِي الاعْتِقَادَاتِ ، وَالصِّدْقِ عَلَى الْكَذِبِ فِي الْأَقْوَالِ ، وَالْخَيْرِ عَلَى الشَّرِّ فِي الْأَفْعَالِ ، وَكَثْرَةِ الْجِهَادِ الدَّائِمِ ، لِأَجْلِ الْحَرْبِ الدَّائِمِ ، بَيْنَ الْمَرْءِ وَبَيْنَ نَفْسِهِ ، وَالتَّمَسُّكِ بِالشَّرِيعَةِ ، وَلُزُومِ وَظَائِفِهَا ، وَحِفْظِ الْمَوَاعِيدِ حَتَّى يُنْجِزَهَا . وَأَوَّلُ ذَلِكَ ، مَا بَيْنِي وَبَيْنَ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ . وَقِلَّةِ الثِّقَةِ بِالنَّاسِ بِتَرْكِ الِاسْتِرْسَالِ . وَمَحَبَّةُ الْجَمِيلِ لِأَنَّهُ جَمِيلٌ لَا لِغَيْرِ ذَلِكَ . وَالصَّمْتُ فِي أَوْقَاتِ حَرَكَاتِ النَّفْسِ لِلْكَلَامِ ، حَتَّى يُسْتَشَارَ فِيهِ الْعَقْلُ . وَحِفْظُ الْحَالِ الَّتِي تَحْصُلُ فِي شَيْءٍ حَتَّى تَصِيرَ مَلَكَةً ، وَلَا تَفْسُدَ بِالِاسْتِرْسَالِ . وَالْإِقْدَامُ

(١) أولاد النفس : كناية عن الأماني والآمال

عَلَى كلِّ ما كانَ صَوَابًا . وَالإشفَاقُ عَلَى الزَّمَانِ الَّذِى هُوَ العُمْرُ ، لِيُسْتَعْمَلَ فِى المُهِمِّ دُونَ غَيْرِهِ . وَتَرْكُ الخَوْفِ مِنَ المَوْتِ وَالفَقْرِ لِعَمَلِ مَا يَنْبَغِى . وَتَرْكُ التَّوَانِى. وَتَرْكُ الاِكْتِرَاثِ لِأَقْوَالِ أَهْلِ الشَّرِّ وَالحَسَدِ ، لِئَلَّا يَشْتَغِلَ بِمُقَابَلَتِهِمْ . وَتَرْكُ الاِنْفِعَالِ لَهُمْ . وَحُسْنُ احْتِمَالِ الغِنَى وَالفَقْرِ ، وَالكَرَامَةِ وَالهَوَانِ بِجِهَةٍ وَجِهَةٍ . وَذِكْرُ المَرَضِ وَقْتَ الصِّحَّةِ ، وَالهَمِّ وَقْتَ السُّرُورِ ، وَالرِّضَا عِنْدَ الغَضَبِ ، لِيَقِلَّ الطَّغْىُ وَالبَغْىُ . وَقُوَّةُ الأَمَلِ ، وَحُسْنُ الرَّجَاءِ . وَالثِّقَةُ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَصَرْفُ جَمِيعِ البَالِ إِلَيْهِ .

﴿ ٢ — أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، الصَّخْرِىُّ أَبُو الفَضْلِ * ﴾

أحمد الصخرى

قُتِلَ فِى أَوَاخِرِ سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، هَكَذَا ذَكَرَ أَبُو مُحَمَّدٍ ، مَحْمُودُ بْنُ أَرْسَلَانَ ، فِى تَارِيخِ خُوَارِزْمَ ، وَقَالَ : هُوَ أَحَدُ مَفَاخِرِ خُوَارِزْمَ ، أَدِيبٌ كَامِلٌ ، وَعَالِمٌ مَاهِرٌ ، وَكَاتِبٌ بَارِعٌ ، وَشَاعِرٌ سَاحِرٌ .

قَالَ أَبُو مَنْصُورٍ الثَّعَالِبِىُّ فِى كِتَابِهِ : لَهُ ظَرْفٌ حِجَازِىٌّ ،

(*) راجع الوافى بالوفيات ج ٣ ص ٣٣٢

وَخطٌّ عِرَاقِىٌّ ، وَبَلَاغَةٌ جَزْلَةٌ سَهْلَةٌ ، وَمُرُوءَةٌ ظَاهِرَةٌ ، وَمَحَاسِنُ مُتَظَاهِرَةٌ ، وَلَهُ شِعْرٌ كَثِيرٌ ، يَجْمَعُ فِيهِ بَيْنَ الْإِسْرَاعِ وَالْإِبْدَاعِ ، وَيَأْخُذُ بِطرَفَى الْإِتْقَانِ وَالْإِحْسَانِ ، ثُمَّ هُوَ فِى الِارْتِجَالِ ، فَرْدُ الرِّجَالِ ، بِسُرْعَةِ خَاطِرِهِ ، وَسَلَامَةِ طَبْعِهِ ، وَحُصُولِ أَعِنَّةِ الْقَوَافِى فِى يَدِهِ ، وَكَانَ فِى عُنْفُوَانِ شَبَابِهِ ، أَلَمَّ بِحَضْرَةِ الصَّاحِبِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبَّادٍ ، فَاقْتَبَسَ مِنْ نُورِهَا ، وَاغْتَرَفَ مِنْ بَحْرِهَا (١) ، وَانْخَرَطَ (٢) فِى سِلْكِ أَعْيَانِ أَهْلِ الْفَضْلِ بِهَا ، وَتَزَوَّدَ مِنْ ثِمَارِهَا ، فَحَسُنَ (٣) أَثَرُهُ ، وَطَابَ خَبَرُهُ ، وَرَجَعَ إِلَى أَوْطَانِهِ ، وَأَقَامَ بِحَضْرَةِ سُلْطَانِهِ ، فِى أَجِلَّةِ الْكُتَّابِ ، وَوُجُوهِ الْعُمَّالِ ، وَهُوَ الْآنَ مِنْ أَخَصِّ جُلَسَاءِ الْأَمِيرِ ، وَأَقْرَبِ نُدَمَائِهِ ، وَأَفْضَلِ كُتَّابِهِ ، وَأَجَلِّ شُعَرَائِهِ ، وَلَا يَكَادُ يَخْلُو مِنْهُ مَجَالِسُ أُنْسِهِ ، وَلَا يَتَقَشَّعُ (٤) عَنْهُ سَحَائِبُ جُودِهِ ، وَمَا أَكْثَرَ مَا يَقْتَرِحُ عَلَيْهِ الْأَشْعَارَ فِى الْمَعَانِى الْبَدِيعَةِ ، وَيُكْمِلُ لَهَا وَيَفِى ، وَيُعْلِنُهَا فِى الْوَقْتِ وَالسَّاعَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَيَعْرِضُهَا عَلَيْهِ .

(١) فى الاصل : سحرها (٢) انخرط : انتظم (٣) كانت بالاصل : « فأحسن » وقد أصلحناه إلى ما ذكر ، ولعله هو الصواب (٤) يتقشع : يزول وينكشف

وَعَهْدِى بِذَلِكَ الْمَجْلِسِ الْعَالِى ، لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِى ، وَقَدْ جَرَى فِيهِ ذِكْرُ أَبِى الْفَضْلِ الْهَمَذَانِىِّ بَدِيعِ الزَّمَانِ ، وَإِعْجَازِ لَطَائِفِهِ (١) وَخَصَائِصِهِ فِى الارْتِجَالَاتِ ، وَسُرْعَةِ إِتْيَانِهِ وَإِثْبَاتِهِ بِالاقْتِرَاحَاتِ ، وَأَنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْمُقْتَرَحَ عَلَيْهِ ، وَيَبْتَدِئُ بِآخِرِ سَطْرٍ ، ثُمَّ هَلُمَّ جَرًّا إِلَى السَّطْرِ الْأَوَّلِ ، حَتَّى يُخْرِجَهُ مُسْتَوْفِىَ الْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِى ، كَأَمْلَحِ شَىْءٍ وَأَحْسَنِهِ ، فَانْتَدَبَ الصَّخْرِىَّ لِهَذِهِ النَّادِرَةِ ، وَضَمِنَ الاسْتِقْلَالَ بِهَذِهِ الْغَرِيبَةِ الصَّعْبَةِ ، فَرُسِمَ لَهُ عَلَى لِسَانِ الشَّيْخِ أَبِى الْحُسَيْنِ السُّهَيْلِىِّ ، أَنْ يَكْتُبَ فِى مَعْنَى مُؤَلِّفِ الْكِتَابِ ، كِتَابًا إِلَى الدَّهْخُدَا أَبِى سَعِيدٍ ، مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ الْحَوَالِىِّ ، يَذْكُرُ فِيهِ : أَنَّ أَخْبَارَ فُلَانٍ فِى مَحَاسِنِ أَدَبِهِ ، وَبَدِيعِ تَأْلِيفَاتِهِ ، لَمْ تَزَلْ تَأْتِينَا ، ثُمَّ تَشَوَّقْنَا إِلَى مُشَاهَدَةِ الْفَضْلِ ، فَأَخَذَ الْقَلَمَ وَالْقِرْطَاسَ ، وَكَتَبَ أَوَّلًا السَّطْرَ الَّذِى يَقَعُ فِى آخِرِهِ — إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى — ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَمْضِى قُدُمًا فِى الْكِتَابِ ، وَيَرْتَفِعُ عَنْ عَجُزِهِ إِلَى صَدْرِهِ ،

(١) فى الذى فى مكتبة اكسفورد : « الطائفة »

وَمِنْ سُفْلِهِ إِلَى عُلْوِهِ ، وَيَصِلُ أَوَاخِرَهُ بِأَوَائِلِهِ ، حَتَّى أَتَمَّ الْمَعْنَى الْمُقْتَرَحَ عَلَيْهِ ، مَعَ جَوْدَةِ الْأَلْفَاظِ وَسُهُولَتِهَا ، وَحُسْنِ مَطَالِعِهَا . وَفَرَغَ مِنَ الْكِتَابِ فِي زَمَانٍ قَصِيرِ الْمُدَّةِ ، وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ الشَّرَابُ ، وَأَثَّرَتْ فِيهِ الْكَاسَاتُ ، فَوَقَعَ ذَلِكَ أَحْسَنَ مَوْقِعٍ ، وَعُدَّ مِنْ مَحَاسِنِهِ . وَلَهُ كِتَابُ رَسَائِلَ مُدَوَّنَةٍ ، كِتَابُ دِيوَانُ شِعْرٍ مُجَلَّدٍ .

فَمِنْ مَنْثُورِ كَلَامِهِ :

الشَّيْخُ : أَصْدَقُ لَهْجَةً ، وَأَبْيَنُ فِي الْكَرَمِ مَحَجَّةً (١) ، مِنْ أَنْ يُخْلِفَ بَرْقَ ضَمَانِهِ ، وَلَا يُمْطِرَ سَحَابَ إِحْسَانِهِ ، فَلَيْتَ شِعْرِي : مَا الَّذِي فَعَلَهُ فِي أَمْرِ وَلِيِّهِ (٢) ، الْقَاصِرِ عَلَيْهِ أَمَلُهُ ؟ ، وَهَلْ بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ؟ ، وَقَدْ اسْتَهَلَّ (٣) الشَّهْرُ الثَّامِنُ اسْتِهْلَالًا ، وَلَا نَرَى (٤) لِأُفُقِ مَوَاعِدِهِ هِلَالًا .

آخَرُ :

طَبْعُ كَرَمِهِ : أَغْلَبُ مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى هَزٍّ ، وَحُسَامُ فَضْلِهِ ، أَقْطَعُ مِنْ أَنْ يَهُزَّ لِحَزٍّ .

---

(١) المحجة : جادة الطريق ، أى معظمه ووسطه ، وجمعه محاج

(٢) الولى : العبد والسيد وابن العم والمراد هنا : الاول تواضعا

(٣) أى ظهر وبدا (٤) كانت بالاصل : « بدا » ولعل ما ذكرناه أولى

آخرُ :

أَمَا إِنِّى لَا أَرْضَى مِنْ كَرَمِهِ الْعِدَّ ، أَنْ تَجُرَّ أَوْلِيَاؤُهُ عَلَى شَوْكِ الرَّدِّ ، فَبِحَقِّ مَجْدِهِ الْمَحْضِ ، الَّذِى فَاقَ بِهِ أَهْلَ الْأَرْضِ ، أَنْ يَرْفَعَ عَنْ حَاجَتِى قِنَاعَ الْخَجَلِ ، وَلَا يَقْبُرَ أَمَلِى فِيهَا قَبْلَ حُلُولِ الْأَجَلِ ، وَهَذَا قَسَمٌ أَرْجُو أَنْ يَصُونَهُ عَنِ الْحِنْثِ [1] ، وَعَهْدٌ أَظُنُّ أَنَّهُ لَا يُعَرِّضُهُ لِلنَّكْثِ [2] .

آخرُ :

لَا أَدْرِى : أُهَنِّئُ [3] الشَّيْخَ بِعَوْدِهِ إِلَى مَرْكَزِهِ ، وَمُسْتَقَرِّ عِزِّهِ ، سَالِماً فِى نَفْسِهِ ، الَّتِى سَلَامَتُهَا سَلَامَةُ الْمَعَالِى وَالْمَكَارِمِ ، وَهِىَ أَجْسَمُ الْمَتَاعِ وَأَنْفَسُ الْغَنَائِمِ ؟ ، أَمْ أُهَنِّئُ الْحَضْرَةَ بِهِ ، فَقَدْ عَادَ إِلَيْهَا مَاؤُهَا ، وَرَجَعَ بِرُجُوعِهِ حُسْنُهَا وَبَهَاؤُهَا ، أَمْ أُهَنِّئُ الْمُلْكَ — ثَبَّتَ اللَّهُ أَرْكَانَهُ — ؟ كَمَا نَضَّرَ بِمَكَانِهِ مِنْهُ زَمَانَهُ ، فَقَدْ آبَ [4] إِلَيْهِ رَوْنَقُهُ ، وَزَالَ عَنْ

(١) الحنث : الأثم والذنب ، ومنه قوله تعالى « وكانوا يصرون على الحنث العظيم »

(٢) النكث : النقض

(٣) حذفت همزة الاستفهام قبل أهنئ على حد حذفها فى قوله تعالى « سواء عليهم أأنذرتهم » فى قراءة ابن محيص « عبد الخالق »

(٤) أى عاد ورجع

أَمْرِهِ رَنَقُهُ (١)، أَمْ أُهَنِّئُ الْفَضْلَ، فَقَدْ كَانَ ذَوِيَ (٢) عُودُهُ، ثُمَّ اخْضَرَّ وَأَوْرَقَ، وَهَوَى نَجْمُهُ، ثُمَّ أَنَارَ وَأَشْرَقَ، أَمْ أُهَنِّئُ جَمَاعَةَ الْأَوْلِيَاءِ وَالْخَدَمِ، وَكَافَّةَ كُتَّابِ الإِنْشَاءِ (٣)، فَقَدْ عَاشُوا، وَانْتَعَشُوا وَارْتَاشُوا (٤)، وَارْتَفَعَتْ نَوَاظِرُهُمْ بَعْدَ الانْخِفَاضِ، وَانْشَرَحَتْ صُدُورُهُمْ غِبَّ (٥) الانْقِبَاضِ. وَأَنَا أَعُدُّ نَفْسِي مِنْ جُمْلَتِهِمْ، وَلَا أَنْحَرِفُ مَعَ طُولِ الْعَهْدِ عَنْ قِبْلَتِهِمْ.

وَلَهُ:

كِتَابِي – وَقَدْ عَرَتْنِي عِلَّةٌ مَنَعَتْنِي مِنِ اسْتِغْرَاقِ الْمَعَانِي وَاسْتِيعَابِهَا، وَإِشْبَاعِ الْكَلَامِ فِي وُجُوهِهَا وَأَبْوَابِهَا، فَاخْتَصَرْتُ وَقَصَّرْتُ، وَعَلَى النُّبَذِ الْيَسِيرَةِ اقْتَصَرْتُ، وَمَا أَعْرِفُ هَذِهِ الْعِلَّةَ، إِلَّا مِنْ عَوَادِي فِرَاقِهِ، وَدَوَاعِي اشْتِيَاقِهِ، وَإِنْ كَانَتِ النِّعْمَةُ بِمَكَانِهِ خَارِجَةً عَنِ الْقِيَاسِ، غَيْرَ خَافِيَةٍ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ، إِلَّا أَنَّهَا (٦) ازْدَادَتِ الْآنَ ظُهُوراً، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ

(١) الرنق: الكدرة
(٢) ذوى عوده: ذبل وجف
(٣) كانت بالاصل: إنشاء الكتاب، فأصلحناها إلى ما ذكر
(٤) أى حسنت حالهم (٥) أى عقب
(٦) سقط من الاصل كلمة «إلا» فزدناها ليفهم الكلام

قَدْرُهَا مَسْتُوراً ، وَقَدْرُ النِّعْمَةِ لَا يُعْرَفُ إِلَّا بَعْدَ الزَّوَالِ ، وَلَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا مَعَ الانْتِقَالِ ، — أَهَّلَنَا (١) اللهُ لِعَوْدِهَا — ، لِنُحْسِنَ جِوَارَهَا ، بِشُكْرِهَا وَحَمْدِهَا ، وَأَصْحَبَهُ السَّلَامَةَ حَالاً وَمُرْتَحِلاً ، وَمُقِيماً وَمُنْتَقِلاً ، إِنَّهُ خَيْرُ صَاحِبٍ ، يَصْحَبُ كُلَّ غَائِبٍ .

وَلَهُ :

وَصَلَ كِتَابُ الشَّيْخِ فِيمَا حَلَّانِي بِهِ ، مِنْ صِفَاتِهِ الَّتِي هُوَ بِهَا حَالٍ ، وَأَنَا مِنْهَا خَالٍ ، وَقَدْ كَانَ أَعَارَنِي مِنْهَا عَارِيَةً (٢) ، وَجَدْتُ نَفْسِي مِنْهَا عَارِيَةً (٣) ، لَكِنَّهُ نَظَرَ إِلَيَّ بِعَيْنِ رِضَاهُ ، وَشَهِدَ لِي بِقَلْبِ هَوَاهُ . فَلَا يَنْظُرَنَّ بِعَيْنِ الرِّضَى ، فَنَظْرَتُهَا رُبَّمَا تَجْنَحُ (٤) ، وَلَا يَشْهَدَنَّ بِقَلْبِ الْهَوَى ، فَإِنَّهَا شَهَادَةٌ تَجْرَحُ (٥) .

وَلَهُ :

كُلُّ مَنْ وَرَدَ جَنَابَ الشَّيْخِ مِنْ أَمْثَالِي ، إِنَّمَا وَرَدَ بِأَمَلٍ مُنْفَسِحٍ ، ثُمَّ صَدَرَ بِصَدْرٍ مُنْشَرِحٍ ، إِذْ مَا امْتَدَّتْ إِلَيْهِ يَدٌ فَارْتَدَّتْ عَاطِلًا (٦) . وَلَا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَهُ رَجَاءٌ فَعَادَ

(١) جعلنا أهلا مستحقين لها (٢) أى أعطانى منها جزءا على سبيل العارية

(٣) عارية : أى خالية (٤) أى تميل ، والقصد الانحراف عن الحقيقة

(٥) أى تؤلم (٦) أى خالية صفرا

بَاطِلًا ، وَأَنَا أُجِلُّهُ أَنْ يَفْسَخَ مِنْ بَيْنِهِمْ ذَرِيعَةَ (١) رَجَائِى ، وَيَنْسَخَ شَرِيعَةَ (٢) وَلَائِى ، بَلْ أَظُنُّ إِنْ لَمْ يُفَضِّلْنِي (٣) عَلَيْهِمْ فِى الْمَرَاتِبِ ، لَمْ يَنْقُصْنِى عَنْهُمْ فِى الْوَاجِبِ ، ثُمَّ لَيْسَ طَمَعِي فِى مَالِهِ ، فَكَفَانِى مَا شَمِلَنِى مِنْ أَفْضَالِهِ ، بَلْ كَفَاهُ مَا تَكَلَّفَهُ فِى هَذَا الْوَقْتِ مِنْ كُلْفَةِ الْمُرُوَّةِ ، الَّتِي تَنُوءُ (٤) بِالْعُصْبَةِ أُولِى الْقُوَّةِ ، وَلَكِنَّ طَمَعِي فِى جَاهِهِ ، وَمَنْ ضَنَّ بِهِ مَلُومٌ . إِذِ الْبُخْلُ بِهِ لُؤْمٌ .

وَمِنْ أَشْعَارِهِ يَمْدَحُ أَبَا الْعَبَّاسِ خُوَارِزْمشَاه :

أَشْبَهَ الْبَدْرَ فِى السَّنَا (٥) وَالسَّنَاء
وَحَوَى رِقَّةَ الْهَوَى وَالْهَوَاء

وَأَتَى الشَّيْبُ بَعْدَهَا مُنْقِذًا لِى
عَنْ يَدِ الدَّهْرِ بِالْبِلَى وَالْبَلَاء

وَإِذَا شَاءَ بِالنَّدَى الْمَلِكُ الْعَا
دِلُ فِى الْمَجْدِ وَالْعُلَى وَالْعَلَاء

---

(١) الذريعة : الوسيلة (٢) الشريعة : الطريقة

(٣) يفضلنى : أى يجعلنى زائداً عليهم (٤) تنوء : تثقل وتعجز

(٥) السنا بالقصر : الضوء . السناء بالمد : العلا . الهوى : الميل

أَبْدَلَ الشِّينَ[1] مِنْهُ سِيناً وَأَوْطَا
نِي الثُّرَيَّا مِنَ الثَّرَى وَالثَّرَاءِ[2]

وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضاً فِي الْهِجَاءِ :

أَيَاذَا الْفَضَائِلِ وَاللَّامُ حَاءُ
وَيَاذَا الْمَكَارِمِ وَالْمِيمُ هَاءُ
وَيَا أَنْجَبَ النَّاسِ وَالْبَاءُ سِينٌ
وَيَاذَا الصِّيَانَةِ وَالصَّادُ خَاءُ
وَيَا أَكْتَبَ النَّاسِ وَالتَّاءُ ذَالٌ
وَيَا أَعْلَمَ النَّاسِ وَالْعَيْنُ ظَاءُ
تَجُودُ عَلَى الْكُلِّ وَالدَّالُ رَاءٌ
فَأَنْتَ السَّخِيُّ وَيَتْلُوهُ فَاءُ

---

(١) فى الاصل فى مكتبة اكسفورد : يريد إبدال الشين فى الشيب سيناً ، فتكون سيباً وهو العطاء . واعتمادا على فطنة القارىء ، أشرت إلى حل لغز البيت الأول ليقاس عليه الباقى .

(٢) الثريا . نجم فى السماء . الثرى : التراب . الثراء : الغنى

لَقَدْ صِرْتَ عَيْبًا لِدَاءِ الْبِغَاءِ
وَمِنْ قَبْلُ كَانَ يُعَابُ الْبِغَاءْ

وَلَهُ يَسْتَهْدِى مَاءَ الْوَرْدِ :

يَا مَنْ حَكَى الْوَرْدَ الطَّرِىءَ بِعَرْفِهِ
وَبِظَرْفِهِ وَبِلُطْفِهِ وَبَهَائِهِ
إِنْ شِئْتَ وَالْإِفْضَالُ مِنْكَ سَجِيَّةٌ
أَهْدَيْتَ لِى قَارُورَةً مِنْ مَائِهِ

وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ فِى أَبِى الْفَتْحِ الْبُسْتِيِّ :

نَسَبٌ كَرِيمٌ فَاضِلٌ أَنْسَى بِهِ
مَنْ كَانَ مُعْتَمِدًا عَلَى أَنْسَابِهِ
قَدْ كُنْتُ فِى نُوَبِ الزَّمَانِ وَصَرْفِهِ (١)
إِذْ عَضَّنِى (٢) صَرْفُ الزَّمَانِ بِنَابِهِ
فَالْيَوْمَ جَانَبَتِ الْحَوَادِثُ جَانِبِى
إِذْ قَدْ نُسِبْتُ إِلَى كَرِيمِ جَنَابِهِ

(١) صرف الزمان وصروفه : نوائبه وملماته ، وتقلباته
(٢) أى أصابتنى نوائبه

وَمِنْ قَصِيدَةٍ فِى أَبِى الْحُسَيْنِ السُّهَيْلِيِّ :

نَفْسٌ مُصَدِّقَةٌ جَمِيعَ عِدَاتِهَا (١)
لَـكِنْ مُكَذِّبَةٌ ظُنُونَ عُدَاتِهَا

هِمَّاتُهُ حَكَمَتْ عَلَى هَامَاتِهَا (٢)
إِذْ أَصْبَحَتْ لِلْوَحْشِ مِنْ أَقْوَاتِهَا

يَا أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَاخَيْرَ مَنْ
وَلِىَ الْوَزَارَةَ عِنْدَ خَيْرِ وُلاَتِهَا

مَادَامَتِ الْأَيَّامُ فِى الْغَفَلاَتِ عَنْ
عَرَصَاتِ (٣) مَجْدِكَ فَاغْتَنِمْ غَفَلاَتِهَا

وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ :

لَئِنْ بَخِلَتْ بِإِسْعَادِى سُعَادُ
فَإِنِّى بِالْفُؤَادِ لَهَا جَوَادُ

وَإِنْ نَفِدَ اصْطِبَارِى فِى هَوَاهَا
فَدَمْعُ الْعَيْنِ لَيْسَ لَهُ نَفَادُ

---

(١) العداة جمع عدة ، والعداة جمع عدو ، يريد انجاز وعده ، وتكذيبه ظنون العداة من أنه يهزمهم ، وقد ظنوا الغلب عليه « عبد الخالق » (٢) هامات جمع هامة : الرأس
(٣) جمع عرصة وهي : الفناء المتسع أمام المنزل

أَرَى ثَلْجاً بِوَجْنَتِهَا (١) وَنَاراً
لِتِلْكَ النَّارِ فِي قَلْبِي اتِّقَادُ
فَهَبْ مِنْ نَارِهَا كَانَ احْتِرَاقِي
فَلِمْ بِالثَّلْجِ مَا بَرَدَ الْفُؤَادُ ؟
لَأَجْتَهِدَنَّ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي
بِسَعْيٍ مَا عَلَيْهِ مُسْتَزَادُ
فَإِنْ أَدْرَكْتُ آمَالِي وَإِلَّا
فَلَيْسَ عَلَيَّ إِلَّا الاجْتِهَادُ

وَلَهُ فِي بَعْضِ الصُّدُورِ :

جَمَعْتَ إِلَى الْعُلَى شَرَفَ الْأُبُوَّهْ
وَحُزْتَ إِلَى النَّدَى (٢) فَضْلَ الْمُرُوَّهْ
أَتَيْتُكَ خَادِماً فَرَفَعْتَ قَدْرِي
إِلَى حَالِ الصَّدَاقَةِ وَالْأُخُوَّهْ

(١) وفى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد : « بوجنته »
(٢) الندى : الجود والعطاء ، والمروة أى المروءة : الشهامة والنجدة

فَمَا شَبَّهْتَنِي إِلَّا بِمُوسَى
رَأَى نَارًا فَشُرِّفَ بِالنُّبُوَّهْ

وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ :

أَسَمِعْتَ يَا مَوْلَايَ دَهْـ ـرِي بَعْدَ بُعْدِكَ مَا صَنَعْ ؟
أَخْنَى عَلَيَّ بِصَرْفِهِ فَرَأَيْتُ هَوْلَ الْمُطَّلَعْ

﴿ ٣ – أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَبُو الْحُسَيْنِ السُّهَيْلِيُّ الْخُوَارِزْمِيُّ * ﴾

قَالَ مَحْمُودُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْإِسْلَامِيُّ فِي تَارِيخِ خُوَارِزْمَ : أحمد السهيلي
إِنَّهُ مَاتَ بِسُرَّ مَنْ رَأَى ، فِي سَنَةِ ثَمَانَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، عَلَى مَا يَذْكُرُهُ . قَالَ : وَهُوَ مِنْ أَجِلَّةِ خُوَارِزْمَ ، وَبَيْتُهُ بَيْتُ رِيَاسَةٍ وَوِزَارَةٍ ، وَكَرَمٍ وَمُرُوءَةٍ ، قَالَ الثَّعَالِبِيُّ : وَهُوَ وَزِيرُ ابْنُ وَزِيرٍ :

وَرِثَ الْوِزَارَةَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ
مَوْصُولَةَ الْإِسْنَادِ بِالْإِسْنَادِ

قَالَ : وَكَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ آلَاتِ الرِّيَاسَةِ ، وَأَدَوَاتِ الْوِزَارَةِ ،

(*) لم نعثر له على ترجمة فيما رجعنا إليه من مظان

وَيَضْرِبُ فِي الْعُلُومِ وَالْآدَابِ بِالسِّهَامِ الْفَائِزَةِ ، وَيَأْخُذُ مِنَ الْكَرَمِ وَحُسْنِ الشِّيَمِ بِالْحُظُوظِ الْوَافِرَةِ : وَلَهُ كِتَابُ الرَّوْضَةِ السُّهَيْلِيَّةِ فِي الْأَوْصَافِ وَالتَّشْبِيهَاتِ ، وَبِأَمْرِهِ وَالْتِمَاسِهِ ، صَنَّفَ الْحَسَنُ بْنُ الْحَارِثِ الْحَسُونِيُّ (١) فِي الْمَذْهَبِ كِتَابَ السُّهَيْلِيِّ، يَذْكُرُ فِيهِ الْمَذْهَبَيْنِ : مَذْهَبَ الشَّافِعِيِّ، وَالْحَنَفِيِّ.

وَلَهُ شِعْرٌ ، فَمِنْ ذَلِكَ وَلَمْ يُسْبَقْ إِلَى مَعْنَاهُ :

أَلَا سَقِّنَا الصَّهْبَاءَ (٢) صِرْفًا فَإِنَّهَا
أَعَزُّ عَلَيْنَا مِنْ عِتَاقِ التَّرَحُّلِ

وَإِنِّي لَأَقْلِي (٣) النَّقْلَ (٤) حُبًّا لِطَعْمِهَا (٥)
لِئَلَّا يَزُولَ الطَّعْمُ عِنْدَ التَّنَقُّلِ

وَلَهُ فِي النُّجُومِ :

فَالشُّهْبُ (٦) تَلْمَعُ فِي الظَّلَامِ كَأَنَّهَا
شَرَرٌ تَطَايَرَ مِنْ دُخَانِ النَّارِ

(١) فى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد: الحيولى : وفى كشف الظنون : إسم أبيه حرب
(٢) الصهباء : الخمر . والصرف بكسر الصاد : الخالص
(٣) أى أبغض وأكره (٤) ما يتنقل به على الشراب من تفاح وفستق وما اليها
(٥) فى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد : لطعمه (٦) فى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد : فى الشهب

فَكَأَنَّهَا فَوْقَ السَّمَاءِ بَنَادِقُ الْـ
كَافُورِ فَوْقَ صَلَايَةِ [1] الْعَطَّارِ

وَلَهُ فِي النُّجُومِ أَشْعَارٌ، مِنْهَا فِي شُعَاعِ الْقَمَرِ عَلَى الْمَاءِ:

كَأَنَّمَا الْبَدْرُ فَوْقَ الْمَاءِ مُطَّلِعاً
وَنَحْنُ بِالشَّطِّ فِي لَهْوٍ وَفِي طَرَبِ
مَلْكٌ رَآنَا فَأَهْوَى لِلْعُبُورِ فَلَمْ
يَقْدِرْ فَمَدَّ لَهُ جِسْراً [2] مِنَ الذَّهَبِ

خَرَجَ السُّهَيْلِيُّ مِنْ خُوَارِزْمَ، فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ إِلَى بَغْدَادَ، وَتَوَطَّنَهَا، وَتَرَكَ وِزَارَةَ خُوَارِزْمَ شَاه، أَبِي الْعَبَّاسِ مَأْمُونٍ خَوْفاً مِنْ شَرِّهِ، وَلَمَّا قَدِمَ بَغْدَادَ، أَكْرَمَهُ فَخْرُ الْمُلْكِ أَبُو غَالِبٍ، مُحَمَّدُ بْنُ خَلَفٍ، وَهُوَ وَالِي الْعِرَاقِ يَوْمَئِذٍ، وَتَلَقَّاهُ بِالْجَمِيلِ، فَلَمَّا مَاتَ فَخْرُ الْمُلْكِ، خَرَجَ مِنْ بَغْدَادَ هَارِباً أَيْضاً، حَتَّى لَحِقَ بِغَرِيبِ بْنِ مُقْنٍ، خَوْفاً عَلَى مَالِهِ، وَكَانَ غَرِيبٌ صَاحِبَ الْبِلَادِ الْعُلْيَا، تَكْرِيتَ،

(١) يريد مدق الطيب (٢) ما يعبر عليه كالقنطرة ونحوها وتفتح الجيم

وَدُجَيلَ، وَمَا لَاصَقَهَا، فَأَقَامَ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ، وَخَلَّفَ عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، سَلَّمَهَا غَرِيبٌ إِلَى وَرَثَتِهِ.

٤ — أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ، بْنِ الْحَسَنِ الْمَرْزُوقِيُّ *

أحمد بن محمد المرزوق

أَبُو عَلِيٍّ، مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ، كَانَ غَايَةً فِي الذَّكَاءِ وَالْفِطْنَةِ، وَحُسْنِ التَّصْنِيفِ، وَإِقَامَةِ الْحُجَجِ، وَحُسْنِ الِاخْتِيَارِ. وَتَصَانِيفُهُ لَا مَزِيدَ عَلَيْهَا فِي الْجَوْدَةِ. مَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ أَبُو زَكَرِيَّا، يَحْيَ بْنُ مَنْدَةَ فِي ذِي الْحِجَّةِ، سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، قَالَ: وَكَتَبَ [١] عَنْهُ سَعِيدٌ الْبَقَّالُ، وَأَخْرَجَهُ فِي مُعْجَمِهِ. وَجَدْتُ خَطَّهُ عَلَى كِتَابِ شَرْحِ الْحَمَاسَةِ مِنْ تَصْنِيفِهِ، وَقَدْ قُرِئَ [٢] عَلَيْهِ فِي شَعْبَانَ،

(*) ترجم له فى بغية الوعاة صفحة ١٥٩ بما يأتى :

« أحمد بن محمد ، بن الحسن ، الامام المرزوق أبو على ، من أهل اصبهان »

كان غاية فى الذكاء والفطنة ، وحسن التصنيف ، وإقامة الحجج ، وحسن الاختيار ، وتصانيفه لامزيد على حسنها . قرأ على أبى على الفارسى ، ودخل عليه الصاحب بن عباد ، فلم يقم له ، فلما ولى الوزارة جفاه . صنف شرح الحماسة ، وشرح الفصيح ، وشرح المفضليات ، وشرح أشعار هذيل ، وشرح الموجز وغيرها . ومات فى ذى الحجة ، سنة إحدى وعشرين وأربعمائة

(١) وفى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد « وكنت عند »

(٢) كانت فى الاصل « قرأ » فأصلحت إلى ما ذكر

سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَكَانَ قَدْ قَرَأَ كِتَابَ سِيبَوَيْهِ ، عَلَى أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ ، وَتَتَلْمَذَ لَهُ ، بَعْدَ أَنْ كَانَ رَأْساً بِنَفْسِهِ . وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ شَرْحِ الْحَمَاسَةِ ، أَجَادَ فِيهِ جِدًّا ، كِتَابُ شَرْحِ الْمُفَضَّلِيَّاتِ ، كِتَابُ شَرْحِ الْفَصِيحِ ، كِتَابُ شَرْحِ أَشْعَارِ هُذَيْلٍ ، كِتَابُ الْأَزْمِنَةِ ، كِتَابُ شَرْحِ الْمُوجَزِ ، كِتَابُ شَرْحِ النَّحْوِ . قَالَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ : فَازَ بِالْعِلْمِ مِنْ أَصْبَهَانَ ثَلَاثَةٌ : حَائِكٌ ، وَحَلَّاجٌ ، وَإِسْكَافٌ ، فَالْحَائِكُ هُوَ الْمَرْزُوقِيُّ ، وَالْحَلَّاجُ أَبُو مَنْصُورِ بْنُ مَاشِدَةَ ، وَالْإِسْكَافُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْخَطِيبُ بِالرَّيِّ ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ فِي اللُّغَةِ . وَوَجَدْتُ فِي الْمَجْمُوعِ بِخَطِّ بَعْضِ فُضَلَاءِ الْعَجَمِ ، نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ الْأَبِيوَرْدِيِّ : أَبُو عَلِيٍّ الْمَرْزُوقِيُّ ، صَاحِبُ شَرْحِ الْحَمَاسَةِ ، وَالْهُذَلِيِّينَ : قَرَأَ عَلَى أَبِي عَلِيٍّ ، وَهُوَ يَتَفَاصَحُ فِي تَصَانِيفِهِ كَابْنِ جِنِّيٍّ ، وَكَانَ مُعَلِّمَ أَوْلَادِ بَنِي بُوَيْهِ بِأَصْبَهَانَ ، وَدَخَلَ إِلَيْهِ الصَّاحِبُ فَمَا قَامَ لَهُ ، فَلَمَّا أَفْضَتِ الْوَزَارَةُ إِلَى الصَّاحِبِ جَفَاهُ(١) .

---

(١) أى : أعرض عنه

﴿ ٥ – أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ، بْنِ إِبْرَاهِيمَ، أَبُو إِسْحَاقَ الثَّعْلَبِيُّ * ﴾

أحمد بن محمد الثعلبي

الْمُفَسِّرُ، صَاحِبُ الْكِتَابِ الْمَشْهُورِ بِأَيْدِي النَّاسِ، الْمَعْرُوفِ بِتَفْسِيرِ الثَّعْلَبِيِّ. مَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ عَبْدُ الْغَنِيِّ بْنُ سَعِيدٍ، الْحَافِظُ الْمِصْرِيُّ، وَنَقَلْتُهُ مِنْ حَاشِيَةِ كِتَابِ الْإِكْمَالِ لِابْنِ مَاكُولَا، فِي مُحَرَّمٍ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ. فَقَالَ: أَبُو إِسْحَاقَ الثَّعْلَبِيُّ الْمُفَسِّرُ، جَلِيلٌ خُرَاسَانِيٌّ، وَذَكَرَ وَفَاتَهُ. وَذَكَرَهُ عَبْدُ الْغَافِرِ

(*) ترجم له فى وفيات الاعيان جزء أول صفحة ٢٢ بما يأتى :

« أبو إسحاق ، أحمد بن محمد ، بن ابراهيم الثعلبي النيسابورى المفسر المشهور »

كان أوحد زمانه فى علم التفسير الكبير ، الذى فاق غيره من التفاسير ، وله كتاب العرائس فى قصص الانبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم ، وغير ذلك ، ذكره السمعانى ، وقال : يقال له الثعلبي والثعالبي ، وهو لقب له وليس بنسب ، قاله بعض العلماء . وقال أبو القاسم القشيرى : رأيت رب العزة عز وجل فى المنام ، وهو يخاطبنى وبخاطبه ، فكان فى أثناء ذلك ، أن قال الرب تعالى اسمه ، أقبل الرجل الصالح ، فالتفت ، فاذا أحمد الثعلبي مقبل ، وذكره عبد الغافر بن اسماعيل الفارسى ، فى كتاب سياق تاريخ نيسابور ، وأثنى عليه .وقال: هو صحيح النقل، موثوق به ، حدث عن أبى طاهر بن خزيمة ، والامام أبى بكر ابن مهران المقرىء ، وكان كثير الحديث ، كثير الشيوخ ، توفى سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، وقال غيره :توفى فى المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، وقال غيره : توفى يوم الاربعاء لسبع بقين من المحرم ، سنة سبع وثلاثين وأربعمائة — رحمه الله تعالى — والثعلبي بفتح الثاء المثلثة ، وسكون العين المهملة ، وبعد اللام المفتوحة باء موحدة . والنيسابورى بفتح النون وسكون الياء المثناة من تحتها ، وفتح السين المهملة ، وبعد الالف باء موحدة مضمومة ، وبعد الواو الساكنة راء ، هذه النسبة الى نيسابور ، وهي من أحسن مدن خراسان ، وأعظمها وأجمعها للخيرات ، وإنما قيل لها نيسابور ، لأن سابور ذا الاكتاف ، أحد ملوك الفرس المتأخرة ، لما وصل الى مكانها أعجبه ، وكان مقصبة ، فقال : يصلح أن —

فِي السِّيَاقِ فَقَالَ: أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ، بْنِ إِبْرَاهِيمَ، أَبُو إِسْحَاقَ الثَّعْلَبِيُّ، الْمُقْرِئُ الْمُفَسِّرُ، الْوَاعِظُ الْأَدِيبُ، الثِّقَةُ الْحَافِظُ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ الْجَلِيلَةِ، مِنَ التَّفْسِيرِ الْحَاوِي أَنْوَاعَ الْفَرَائِدِ، مِنَ الْمَعَانِي وَالْإِشَارَاتِ، وَكَلِمَاتِ أَرْبَابِ الْحَقَائِقِ، وَوُجُوهِ الْإِعْرَابِ وَالْقِرَاءَاتِ، ثُمَّ كِتَابِ الْعَرَائِسِ وَالْقِصَصِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، مِمَّا لَا يُحْتَاجُ إِلَى ذِكْرِهِ لِشُهْرَتِهِ، وَهُوَ صَحِيحُ النَّقْلِ، مَوْثُوقٌ بِهِ. حَدَّثَ عَنْ أَبِي طَاهِرِ بْنِ خُزَيْمَةَ، وَأَبِي بَكْرِ بْنِ مِهْرَانَ الْمُقْرِئِ، وَأَبِي بَكْرِ بْنِ هَانِئٍ، وَأَبِي بَكْرِ بْنِ الطَّرَازِيِّ، وَالْمَخْلَدِيِّ، وَالْخَفَّافِ، وَأَبِي

— يكون ههنا مدينة، وأمر بقطع القصب، وبنى المدينة، فقيل لها نيسابور.

وترجم له أيضاً فى كتاب طبقات المفسرين ورقة ٢٨ بما يأتى:

كان أوحد زمانه فى علم القرآن، وله كتاب العرائس فى قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام، وكتاب ربيع المذكرين. قال ابن السمعانى: يقال له الثعلبي والثعالبي، وهو لقب لا نسب. روى عن أبى طاهر محمد بن الفضل، بن خزيمة، وكثير. وعنه أخذ أبو الحسن الواحدى، وقد جاء عن الاستاذ أبى القاسم القشيرى أنه قال: رأيت رب العزة فى المنام وهو يخاطبنى وأخاطبه فكان فى أثناء ذلك، أن قال الرب جل اسمه: أقبل الرجل الصالح، فالتفت فاذا الثعلبى مقبل. ومن شعر الثعلبى:

وإنى لأدعو الله والأمر ضيق — على فما ينفك أن يتفرجا
ورب فتى سدت عليه وجوهه — أصاب له فى دعوة الله مخرجا

توفى فى المحرم، سنة سبع وعشرين واربعمائة.

مُحَمَّدِ بْنِ الرُّومِيِّ ، وَطبقتهم . وَهُوَ كَثِيرُ الْحَدِيثِ ، كَثِيرُ الشُّيُوخِ ، وَذَكَرَ وَفَاتَهُ كَمَا تقدَّمَ . قَالَ : وَسَمِعَ مِنْهُ الْوَاحِدِيُّ التَّفْسِيرَ ، وَأَخَذَهُ عَنْهُ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَحَدَّثَ عَنْهُ بِإِسْنَادٍ رَفَعَهُ إِلَى عَاصِمٍ ، قَالَ : الرِّيَاسَةُ بِالْحَدِيثِ رِيَاسَةٌ نَذْلَةٌ ، إِنْ أَصَحَّ(١) الشَّيْخُ وَحَفِظَ ، وَصَدَقَ فَأَحْمَى ، قَالُوا(٢) هَذَا شَيْخٌ كَيِّسٌ(٣) ، وَإِذَا وَهِمَ(٤) قَالُوا شَيْخٌ كَذَّابٌ . وَلَهُ كِتَابُ رَبِيعِ الْمُذَكِّرِينَ .

﴿ ٦ – أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ ، بْنِ أَحْمَدَ ، بْنِ مَحْمُودِ ، بْنِ دَلُّوَيْهِ * ﴾

أحمد الاستوائى

أَبُو حَامِدٍ الاسْتِوَائِيُّ ، مَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ الْخَطِيبُ ، فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَقَالَ : يُعْرَفُ بِالدَّلُوِيِّ ،

(١) فى الاصل : صح بغير الهمزة

(٢) وفى الاصل : قال ، والصواب ما ذكر بدليل قوله بعد : قالوا

(٣) الكيس : العاقل الفطن

(٤) وهم : غلط وأخطأ

(*) ترجم له فى بغية الوعاة صفحة ١٥٥ بترجمة موجزة لا محيص من اثباتها : احمد بن احمد ، بن محمد ، بن محمود ، بن دلويه الاستوائى الدلوى ، أبو حامد ، قال الخطيب : قدم بغداد ، وسمع الدارقطنى ، وولى القضاء بعكبرا ، وكان شافعيا أشعريا ، ذا حظ من العربية والادب ، صدوقا ، حدث يسيرا . مولده ظنا سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، ومات فى الثامن والعشرين من ربيع الاول ، سنة أربع وثلاثين وأربعمائة .

وَاستوَى الّتِي نُسِبَ إِلَيهَا : قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى نَيْسَابُورَ ، قَدِمَ بَغْدَادَ ، فَسَمِعَ مِنَ الدَّارَقُطْنِيِّ ، وَاسْتَوْطَنَهَا إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ ، وَوَلِيَ الْقَضَاءَ بِعُكْبَرَا[١] ، مِنْ قِبَلِ الْقَاضِي أَبِي بَكْرِ بْنِ الطَّيِّبِ الْبَاقِلَّانِيِّ ، وَكَانَ يَنْتَحِلُ فِي الْفِقْهِ مَذْهَبَ الشَّافِعِيِّ ، وَفِي الْأُصُولِ مَذْهَبَ الْأَشْعَرِيِّ[٢] ، وَلَهُ حَظٌّ فِي مَعْرِفَةِ الْأَدَبِ ، وَالْعَرَبِيَّةِ ، وَحَدَّثَ بِشَيْءٍ يَسِيرٍ . قَالَ الْخَطِيبُ : وَكُتِبَ عَنْهُ ، وَكَانَ صَدُوقاً ، وَلَمَّا مَاتَ دُفِنَ بِالشُّونِيزِيَّةِ . قَالَ الْمُؤَلِّفُ : كَانَ الدَّلْوِيُّ أَدِيباً ، فَاضِلًا ، وَكَثِيراً مَا تُوجَدُ كُتُبُ الْأَدَبِ بِخَطِّهِ ، وَكَانَ صَحِيحَ النَّقْلِ ، جَيِّدَ الضَّبْطِ ، مُعْتَبَرَ الْخَطِّ فِي الْغَالِبِ .

﴿ ٧ – أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ ، بْنِ عَمَّارٍ ، بْنِ مَهْدِيٍّ ، بْنِ إِبْرَاهِيمَ * ﴾

أحمد المهدوى

الْمَهْدَوِيُّ ، أَبُو الْقَاسِمِ الْمُقْرِئُ ، ذَكَرَهُ الْحُمَيْدِيُّ فَقَالَ :

---

(١) عكبرا : بضم أوله ، وسكون ثانيه ، وفتح ثالثه ، وقد يمد ويقصر ، إسم بلدة من نواحي دجيل ، قرب صريفين ، وأوانا ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ ، والنسبة اليها عكبرى ، وعكبراوى

(٢) أى مذهب أهل السنة :

(*) ترجم له فى كتاب طبقات المفسرين صفحة ٢٤ بما يأتى :

هو الامام أبو العباس المهدوى ، نسبة إلى المهدية بالمغرب ، أستاذ مشهور —

أَصْلُهُ مِنَ الْمَهْدِيَّةِ، مِنْ بِلَادِ الْقَيْرَوَانِ، وَدَخَلَ الْأَنْدَلُسَ فِي حُدُودِ الثَّلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، أَوْ نَحْوِهَا، وَكَانَ عَالِماً بِالْقِرَاءَاتِ وَالْأَدَبِ مُتَقَدِّماً، ذَكَرَهُ لِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْقِرَاءَاتِ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَأَنْشَدَنِي لَهُ فِي ظَاءَاتِ الْقُرْآنِ:

ظَنَّتْ عَظِيمَةَ ظُلْمِنَا مِنْ حَظِّهَا
فَظَلِلْتُ أُوقِظُهَا لِتَكْظِمَ غَيْظَهَا
وَظَعَنْتُ (١) أَنْظُرُ فِي الظَّلَامِ وَظِلِّهِ
ظَمْآنَ أَنْتَظِرُ الظُّهُورَ لِوَعْظِهَا
ظَهْرِي وَظُفْرِي (٢) ثُمَّ عَظْمِي فِي لَظًى (٣)
لَا ظَاهَرَنَّ لِحِظِّهَا وَلِحِفْظِهَا

— رحل وقرأ على محمد بن سفيان، وعلى جده لأمه مهدى بن إبراهيم، وأبى الحسن أحمد بن محمد القبنطرى بمكة، وألف التواليف، منها: التفسير المشهور، والهداية فى القراءات السبع، وهو الذى ذكره الشاطبى فى باب الاستعاذة. وروى عن أبى الحسن القابسى، قرأ عليه غانم بن الوليد وغيره. قال الذهبى: توفى بعد الثلاثين وأربعمائة، — رحمه الله تعالى —.

(١) ظعنت: سافرت

(٢) وعند الحميدى والاصل الذى فى مكتبة اكسفورد: فظفرى

(٣) اللظى مصدر: النار أو لهيبها. واللظى معرفة: جهنم

لَفْظِي شُوَاظٌ (١) أَوْ كَشَمْسِ ظَهِيرَةٍ
ظَفَرٌ لَدَى غِلَظِ الْقُلوبِ وَفَظِّهَا

٨ — أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ، بْنِ أَحْمَدَ، بْنِ بُرْدٍ الْأَنْدَلُسِي (*)

أحمد الاندلسى

ذَكَرَهُ الْحُمَيْدِيُّ وَقَالَ: هُوَ مَوْلَى أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، ابْنِ عُمَرَ، بْنِ مُحَمَّدِ، بْنِ شُهَيْدٍ، أَبُو حَفْصٍ الْكَاتِبُ، مَلِيحُ الشِّعْرِ، بَلِيغُ الْكِتَابَةِ، مِنْ أَهْلِ بَيْتِ أَدَبٍ وَرِيَاسَةٍ، لَهُ رِسَالَةٌ فِي السَّيْفِ وَالْقَلَمِ، وَالْمُفَاخَرَةِ بَيْنَهُمَا، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَبَقَ إِلَى الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ بِالْأَنْدَلُسِ، وَقَدْ رَأَيْتُهُ بِالْمَرِيَّةِ، بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَلَهُ كُتُبٌ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ، مِنْهَا: كِتَابُ التَّحْصِيلِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، كِتَابُ التَّفْصِيلِ فِي تَفْسِيرِهِ أَيْضاً، وَلَهُ غَيْرُ ذَلِكَ. وَكَانَ جَدُّهُ أَحْمَدُ بْنُ بُرْدٍ

(١) الشواظ بضم الشين وكسرها: لهب لا دخان فيه، وحر النار

(*) ترجم له فى كتاب طبقات المفسرين، ورقة ٢٨ بما يأتى:
«أحمد بن محمد، بن أحمد، بن برد، الاندلسى، أبو جعفر الكاتب» قال الحميدى: مليح الشعر، بليغ الكتابة، من أهل بيت أدب، ورياسة، له كتب فى علم القرآن، منها: كتاب التحصيل فى تفسير القرآن، وكتاب التفصيل فى تفسيره أيضاً، وله رسالة فى المفاخرة بين السيف والقلم، وهو اول من سبق إلى القول فى ذلك بالاندلس، رأيته بالمرية، بعد الاربعين والاربعمائة.

وَزِيراً فِي الْأَيَّامِ الْعَامِرِيَّةِ ، وَكَاتِباً بَلِيغاً أَيْضاً . مَاتَ سَنَةَ ثَمَانَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، أَعْنِي الْوَزِيرَ . وَمِنْ شِعْرِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ هَذَا :

تَأَمَّلْ فَقَدْ شَقَّ الْبَهَارُ (١) مُغَلِّساً
كِمَامَيْهِ عَنْ نُوَّارِهِ الْخَضِلِ النَّدِي
مَدَاهِنَ تِبْرٍ فِي أَنَامِلِ فِضَّةٍ
عَلَى أَذْرُعٍ مَخْرُوطَةٍ مِنْ زَبَرْجَدِ

وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضاً :

لَمَّا بَدَا فِي لَازَوَرْ دِيِّ الْحَرِيرِ وَقَدْ بَهَرْ
كَبَّرْتُ مِنْ فَرْطِ الْجَمَا لِ وَقُلْتُ مَا هَذَا بَشَرْ
فَأَجَابَنِي لَا تُنْكِرَنْ ثَوْبَ السَّمَاءِ عَلَى الْقَمَرْ

---

(١) البهار : نبت طيب الرائحة ، ويقال له : عين البقر ، وهو بهار البر . والمغلس : السائر فى الظلمة ، والكم بكسر الكاف : الغلاف الذى يحيط بالزهر أو الثمر ، أو غيره فيستره ويغطيه ، ثم ينشق عنه . ويجمع على أكمة بكسر الكاف وتشديد الميم ، وأكمام بسكون الكاف ، وكمام بكسر الكاف ، وأكاميم . والنوار : الزهر ، ، والخضل : الذى كثرت أوراقه وأغصانه .

وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضاً :

قَلْبِي وَقَلْبُكَ لَا مَحَالَةَ وَاحِدُ
شَهِدَتْ بِذَلِكَ بَيْنَنَا أَلْحَاظُ
فَتَعَالَ فَلْنَغِظِ الْحَسُودَ بِوَصْلِنَا
إِنَّ الْحَسُودَ بِمِثْلِ ذَاكَ يُغَاظُ

﴿ ٩ — أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ، بْنِ هَارُونَ النَّزُلِيُّ، (١) أَبُو الْفَتْحِ * ﴾

أحمد النزلى

النَّحْوِيُّ، أَخَذَ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ، عَلِيِّ بْنِ عِيسَى الرَّبَعِيِّ، وَهُوَ مِنْ أَقْرَانِ أَبِي يَعْلَى بْنِ السَّرَّاجِ .

﴿ ١٠ — أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ الْعَمُودِيُّ الْهَمَذَانِيُّ أَبُو عَبْدِ اللهِ * ﴾

أحمد العمودى

اللُّغَوِيُّ، ذَكَرَهُ شِيرَوَيْهِ بْنُ شَهْرَ دَارَ، فَقَالَ : رَوَى عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَمْدَانَ الْجَلَّابِ ، وَأَبِي الْحُسَيْنِ مُحَمَّدِ

(*) راجع بغية الوعاة ص ١٦٨

(١) النزلى بفتح الزاى وكسر اللام : نسبة إلى نزل محركة : إسم جبل .

(*) راجع كتاب الوافى بالوفيات ، جزء ثالث ، قسم ثالث ، صفحة ٢٦٠

الْحَرِيرِيّ ، صَاحِبِ أَبِي شُعَيْبٍ الْحَرَّانِيّ (١) ، وَغَيْرِهِمَا . رَوَى عَنْهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الإِمَامُ وَغَيْرُهُ .

﴿ ١١ – أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ ، بْنِ أَحْمَدَ بْنِ شَهْرَدَارَ الْمُعَلِّمُ * ﴾

أحمد بن شهردار المعلم

الْأَصْبَهَانِيّ ، كَانَ أَدِيبًا فَاضِلًا ، بَارِعًا فِي الْأَدَبِ ، فَصِيحًا ، كَثِيرَ السَّمَاعِ ، حَسَنَ الْخَطِّ . صَاحِبَ أُصُولٍ ، مَاتَ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . قَالَ يَحْيَى بْنُ « مَنْدَةَ » سَمِعْتُ مِنَ الثِّقَاتِ ، مِنْهُمْ أَبُو غَالِبِ بْنُ هَارُونَ تِلْمِيذُهُ ، أَنَّهُ كَانَ رَجُلًا فَاضِلًا ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لَا يُصَلِّي الصَّلَوَاتِ كَمَا قِيلَ .

---

(١) الحرانى : نسبة إلى حران : مدينة عظيمة مشهورة ، من جزيرة أقور ، وهى قصبة ديار مضر ، بينها وبين الرها يوم ، وبين الرقة يومان ، وهى على طريق الموصل ، والشام ، والروم . وذكر قوم أنها أول مدينة بنيت على الارض بعد الطوفان ، وكانت منازل الصابئة ، وهم الحرانيون الذين يذكرهم أصحاب كتب الملل والنحل ، وقال المفسرون فى قوله تعالى « إنى مهاجر إلى ربى » إنه أراد حران ، وقالوا أيضاً فى قوله تعالى « ونجيناه ولوطا إلى الارض التى باركنا فيها للعالمين » هى حران . معجم البلدان ج ٣ ص ٢٤٢ «منصور»

(*) لم نعثر له على من ترجم له غير ياقوت

١٢ – أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ ، بْنِ أَحْمَدَ ، «ابْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمَيْدَانِى *»

أحمد الميدانى

أَبُو الْفَضْلِ النَّيْسَابُورِىُّ ، وَالْمَيْدَانُ مَحِلَّةٌ مِنْ مَحَالِّ نَيْسَابُورَ ، كَانَ يَسْكُنُهَا ، فَنُسِبَ إِلَيْهَا ، ذَكَرَ ذَلِكَ عَبْدُ الْغَافِرِ ، وَهُوَ أَدِيبٌ فَاضِلٌ ، عَالِمٌ نَحْوِىٌّ لُغَوِىٌّ . مَاتَ — فِيمَا ذَكَرَهُ عَبْدُ الْغَافِرِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْفَارِسِىُّ فِى السِّيَاقِ — ، فِى رَمَضَانَ ، سَنَةَ ثَمَانَ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، لَيْلَةَ الْقَدْرِ ، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ الْمَيْدَانِ ، قَرَأَ عَلَى أَبِى الْحَسَنِ ، عَلِىِّ بْنِ أَحْمَدَ الْوَاحِدِىِّ (١) ، وَعَلَى يَعْقُوبَ بْنِ أَحْمَدَ النَّيْسَابُورِىِّ ، وَلَهُ مِنَ

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة ص ١٥٥ قال :

قرأ على الواحدى وغيره ، وأتقن اللغة العربية ، وصنف كثيراً من الكتب ، ذكرها ياقوت ، غير أنه أغفل ذكر كتاب المصادر .

قرأ عليه أئمة ، ومات فى يوم الاربعاء ، الخامس والعشرين من شهر رمضان ، من السنة التى ذكرها ياقوت .

وله ترجمة أخرى فى كتاب وفيات الاعيان جزء أول ص ٥٧ قال :

كان أديباً فاضلا ، عارفاً باللغة ، اختص بصحبة أبى الحسن الواحدى ، صاحب التفسير ، ثم قرأ عليه ، وأتقن فن العربية ، خصوصاً اللغة ، وأمثال العرب ، وله فيها التصانيف المفيدة ، وكتب ذكرها ياقوت ، وكان قد سمع الحديث ورواه ، وكان ينشد كثيراً ، هذين البيتين ، وأظنهما له :

« تنفس صبح الشيب فى ليل عارضى » الخ

(١) نسبة الى جبل لبنى كلب ، قال عمرو بن العداء الاجدارى ، ثم الكلبى : —

التَّصَانِيفِ : كِتَابُ جَامِعِ الْأَمْثَالِ ، جَيِّدٌ بَالِغٌ ، كِتَابُ السَّامِي فِي الْأَسَامِي ، كِتَابُ النَّمُوذَجِ (١) فِي النَّحْوِ ، كِتَابُ الْهَادِي لِلشَّادِي ، كِتَابُ النَّحْوِ الْمَيْدَانِيِّ ، كِتَابُ نُزْهَةِ الطَّرْفِ فِي عِلْمِ الصَّرْفِ ، كِتَابُ شَرْحِ الْمُفَضَّلِيَّاتِ ، كِتَابُ مُنْيَةِ الرَّاضِي فِي رَسَائِلِ الْقَاضِي ، وَفِي كِتَابِ السَّامِي فِي الْأَسَامِي يَقُولُ أَسْعَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمِرْسَانِيُّ (٢) :

هَذَا الْكِتَابُ الَّذِي سَمَّاهُ بِالسَّامِي
دُرْجٌ مِنَ الدُّرِّ بَلْ كَنْزٌ مِنَ السَّامِ (٣)
مَا صَنَّفَتْ مِثْلَهُ فِي فَنِّهِ أَبَداً
خَوَاطِرُ النَّاسِ مِنْ حَامٍ (٤) وَمِنْ سَامِ
فِيهِ قَلَائِدُ يَاقُوتٍ مُفَصَّلَةٌ
لِكُلِّ أَرْوَعَ مَاضِي الْعَزْمِ بَسَّامِ (٥)

— ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة — بايبنبط أو بالروض شرقىّ واحد
بمنزلة جاد الربيع رياضها — قصير بها ليل المذارى الرواقد
وحيث ترى الجرد الجياد صوافنا — يقوّدها غلماننا بالقلائد

(١) كانت فى الأصل : « الأنموذج » وهو خطأ ، فأصلحتها الى ما ذكر وهو الصواب ، لأن كتب اللغة ، قد نصت على أن الأنموذج بضم الهمزة لحن لا يعتد به ، ولم أعثر فى اللغة على أنموذج بفتح الهمزة « منصور »

(٢) كذا بالأصل : ولعله الميهنى (٣) السام : السبائك من الذهب أو الفضة

(٤) هما من أولاد نوح عليه السلام (٥) بسام صيغة مبالغة فى باسم : كثير التبسم

فَكَعْبُ أَحْمَدَ مَوْلَاىَ الإِمَامُ سَمَا

فَوْقَ السِّمَاكَيْنِ (١) مِنْ تَصْنِيفِهِ السَّامِي

وَسَمِعْتُ فِي الْمُفَاوَضَةِ مِمَّنْ لَا أُحْصِي : أَنَّ الْمَيْدَانِيَّ لَمَّا صَنَّفَ كِتَابَ الْجَامِعِ فِي الْأَمْثَالِ ، وَقَفَ عَلَيْهِ أَبُو الْقَاسِمِ الزَّمَخْشَرِيُّ ، فَحَسَدَهُ عَلَى جَوْدَةِ تَصْنِيفِهِ ، وَأَخَذَ الْقَلَمَ وَزَادَ فِي لَفْظَةِ الْمَيْدَانِيِّ نُونًا (٢) ، فَصَارَ النَّمَيْدَانِيُّ ، وَمَعْنَاهُ بِالْفَارِسِيَّةِ : الَّذِي لَا يَعْرِفُ شَيْئًا ، فَلَمَّا وَقَفَ الْمَيْدَانِيُّ عَلَى ذَلِكَ ، أَخَذَ بَعْضَ تَصَانِيفِ الزَّمَخْشَرِيِّ ، فَصَيَّرَ مِيمَ نِسْبَتِهِ (٣) نُونًا ، فَصَارَ الزَّنَخْشَرِيَّ ، مَعْنَاهُ مُشْتَرِي زَوْجَتِهِ . وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْمَعَالِيِّ ، بْنِ الْحَسَنِ الْخَوَارِيُّ فِي كِتَابِهِ ضَالَّةِ الْأَدِيبِ ، مِنَ الصِّحَاحِ وَالتَّهْذِيبِ ، وَقَدْ ذَكَرَ الْمَيْدَانِيَّ فَقَالَ : وَسَمِعْتُ غَيْرَ مَرَّةٍ مِنْ كُتَّابِ أَصْحَابِهِ يَقُولُونَ : لَوْ كَانَ لِلذَّكَاءِ ، وَالشَّهَامَةِ ، وَالْفَضْلِ ، صُورَةٌ ، لَكَانَ

(١) السماكان : كوكبان نيران — وكانت فى الاصل : المساكين ، وقد أصلحت

(٢) فى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد : سينة ، وفى روضات الجنات : نوناً قبل الميم

(٣) كانت فى الاصل : وزاد فى نسبته سينة فصار الزنخشرى ، معناه بائع زوجته ، وقد أصلحت إلى ما ذكر .

الْمَيْدَانِىُّ تِلْكَ الصُّورَةَ ، وَمَنْ تَأَمَّلَ كَلَامَهُ ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ ، عَلِمَ صِدْقَ دَعْوَاهُمْ . وَكَانَ مِمَّنْ قَرَأَ عَلَيْهِ وَتَخَرَّجَ بِهِ ، الْإِمَامُ أَبُوجَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْمُقْرِئُ الْبَيْهَقِىُّ ، وَابْنُهُ سَعِيدٌ ، وَكَانَ إِمَامًا بَعْدَهُ .

قَالَ عَبْدُ الْغَافِرِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ : وَمِنْ أَشْعَارِهِ :

تَنَفَّسَ صُبْحُ الشَّيْبِ فِى لَيْلِ عَارِضِى (١)
فَقُلْتُ عَسَاهُ يَكْتَفِى بِعِذَارِى

فَلَمَّا فَشَا عَاتَبْتُهُ فَأَجَابَنِى
أَلَا (٢) هَلْ يُرَى صُبْحٌ بِغَيْرِ نَهَارِ ؟

وَذَكَرَهُ أَبُو الْحَسَنِ الْبَيْهَقِىُّ فِى كِتَابِ وِشَاحِ الدُّمْيَةِ ، فَقَالَ : الْإِمَامُ أُسْتَاذُنَا ، صَدْرُ الْأَفَاضِلِ ، أَبُو الْفَضْلِ ، أَحْمَدُ ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْمَيْدَانِىُّ ، صَدْرُ الْأُدَبَاءِ ، وَقُدْوَةُ الْفُضَلَاءِ ، قَدْ صَاحَبَ الْفَضْلَ فِى أَيَّامٍ نَفِدَ زَادُهُ . وَفَنِىَ عَتَادُهُ ، وَذَهَبَتْ (٣) عُدَّتُهُ ، وَبَطَلَتْ أُهْبَتُهُ ، فَقَوَّمَ سِنَادَ الْعُلُومِ ، بَعْدَ مَا غَيَّرَتْهَا

(١) تنفس الخ : أى ظهر أول الشيب فى لحيتى
(٢) فى وفيات الاعيان ج ١ ص ٥٧ « أيا هل الخ »
(٣) وفى الاصل : سقطت كلمة « وذهبت »

الْأَيَّامُ بِصُرُوفِهَا (١) ، وَوَضَعَ أَنَامِلَ الْأَفَاضِلِ ، عَلَى خُطُوطِهَا وَحُرُوفِهَا ، وَلَمْ يَخْلُقِ اللهُ تَعَالَى فَاضِلًا فِى عَهْدِهِ ، إِلَّا وَهُوَ فِى مَائِدَةِ (٢) آدَابِهِ ضَيْفٌ ، وَلَهُ بَيْنَ بَابِهِ وَدَارِهِ شِتَاءٌ وَصَيْفٌ ، وَمَا عَلَى مَنْ عَامَ لُجَجَ الْبَحْرِ الْخِضَمِّ (٣) ، وَاسْتَنْزَفَ الدُّرَرَ ظُلْمٌ وَحَيْفٌ (٤) ، وَكَانَ هَذَا الْإِمَامُ يَأْكُلُ مِنْ كَسْبِ يَدِهِ ، وَمِمَّا أَنْشَدَنِى – رَحِمَهُ اللهُ – لِنَفْسِهِ :

حَنَنْتُ إِلَيْهِمْ وَالدِّيَارُ قَرِيبَةٌ
فَكَيْفَ إِذَا سَارَ الْمَطِيُّ مَرَاحِلَا
وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْبَيْنِ (٥) – لَا كَانَ بَيْنُهُمْ (٦) –
أُعَايِنُ لِلْهِجْرَانِ فِيهِمْ دَلَائِلَا
وَتَحْتَ سُجُوفِ الرَّقْمِ (٧) أَغْيَدُ نَاعِمٌ
يَمِيسُ كَخُوطِ (٨) الْخَيْزُرَانَةِ مَائِلَا

---

(١) صروف الايام : حوادثها ، ونوائبها ، وملماتها (٢) وفى الاصل الموجود بمكتبة اكسفورد : مادته (٣) البحر الخضم : الزاخر المملوء (٤) الحيف : الجور (٥) البين : الفراق (٦) وبينهم الثانية : بمعنى البعد أيضاً والجملة دعائية : والبيت قبله يشبه قول الشاعر

أشوقاً ولما يمض لى غير ليلة فكيف اذا خب المطى بنا عشرا (عبد الخالق)

(٧) سجوف جمع سجف : الستر ، وقيل السجف : الستران المقرونان بينهما فرجة . وقيل غير ذلك . والرقم : ضرب مخطط من الوشى ، أو الخز ، أو البرود ، وفى الحديث : « وما أنا والدنيا والرقم » والأغيد : الذى مالت عنقه ، ولانت أعطافه

(٨) أى كعود

وَيَنْضُو (١) عَلَيْنَا السَّيْفَ مِنْ جَفْنِ مُقْلَةٍ

تُرِيقُ دَمَ الْأَبْطَالِ فِي الْحُبِّ بَاطِلَا

وَتُسْكِرُنَا لَحْظاً وَلَفْظاً كَأَنَّمَا

بِفِيهِ وَعَيْنَيْهِ سُلَافَةُ (٢) بَابِلَا

وَلَهُ أَيْضاً :

شَفَةٌ لَمَاهَا (٣) زَادَ فِي آلَامِي

فِي رَشْفِ رِيقَتِهَا شِفَاءُ سَقَامِي

قَدْ ضَمَّنَا جُنْحُ الدُّجَى وَلِلَثْمِنَا (٤)

صَوْتٌ كَقَطِّكَ أَرْؤُسَ الْأَقْلَامِ

ثُمَّ ذَكَرَ الْبَيْتَيْنِ اللَّذَيْنِ أَوَّلُهُمَا :

تَنَفَّسَ صُبْحُ الشَّيْبِ فِي لَيْلِ عَارِضِي

وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُمَا آنِفاً ، ثُمَّ قَالَ : وَلَهُ :

يَا كَاذِباً أَصْبَحَ فِي كِذْبِهِ أُعْجُوبَةً أَيَّةَ أُعْجُوبَهْ

---

(١) أى يستل

(٢) السلافة : الخمر . وبابل اسم ناحية ، منها الكوفة ، والحلة ، ينسب إليها السحر والخمر ، وهي التى ذكرت فى قوله تعالى « وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت » (٣) اللمى : سواد فى الشفة ، وهو ضرب من الجمال

(٤) الدجى : سواد الليل . واللثم : التقبيل

وَنَاطِقاً يَنْطِقُ فِي لَفْظَةٍ وَاحِدَةٍ سَبْعِينَ أُكْذُوبَهْ
شَبَّهَكَ النَّاسُ بِعُرْقُوبِهِمْ لَمَّا رَأَوْا أَخْذَكَ أُسْلُوبَهْ
فَقُلْتُ : كَلَّا ، إِنَّهُ كَاذِبٌ عُرْقُوبُ لَايَبْلُغُ عُرْقُوبَهْ

ثُمَّ ذَكَرَ وَفَاتَهُ كَمَا تَقَدَّمَ فِي رِوَايَةِ عَبْدِ الْغَافِرِ ، ثُمَّ ذَكَرَ وَلَدَهُ سَعِيداً ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ فِي بَابِهِ .

﴿ ١٣ — أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّلْحِيُّ أَبُو الْخَطَّابِ * ﴾

أحمد الصلحى

كَانَ أَدِيباً ، فَاضِلاً ، كَاتِباً ، حَسَنَ الْخَطِّ ، وَلَهُ شِعْرٌ رَقِيقٌ سَائِرٌ ، ذَكَرَهُ أَبُو سَعْدٍ فِي الْمُذَيَّلِ ، وَأَوْرَدَ لَهُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ، وَهُمَا :

يَارَاقِدَ الْعَيْنِ : عَيْنِي فِيكَ سَاهِرَةٌ
وَفَارِغَ الْقَلْبِ : قَلْبِي فِيكَ مَلْآنُ
إِنِّي أَرَى مِنْكَ عَذْبَ الثَّغْرِ عَذَّبَنِي
وَأَسْهَرَ الْجَفْنَ ، جَفْنٌ مِنْكَ وَسْنَانُ

(*) راجع الوافى بالوفيات ج ثان قسم ثالث ص ٢١٦

احمد الاخسيكثي

﴿ ١٤ – أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ ، بْنِ الْقَاسِمِ ، بْنِ أَحْمَدَ ، بْنِ خِذِيوِ ﴾

الْأَخْسِيكَثِيُّ (١) ، أَبُو رَشَادٍ ، الْمُلَقَّبُ بِذِي الْفَضَائِلِ . مَاتَ لَيْلَةَ الْأَحَدِ الثَّامِنِ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى ، سَنَةَ ثَمَانٍ

---

(١) الاخسيكثي : نسبة إلى أخسكيث بفتح الهمزة وسكون الخاء وكسر السين ، وبعدها ياء ساكنة ، مع فتح الكاف ، وضم الثاء ، وبعضهم يقول : هى بالتاء المثناة ، وهو الأولى ، لأن المثلثة ليست من حروف العجم : إسم مدينة بما وراء النهر ، وهى قصبة ناحية فرغانة ، وهى على شاطىء نهر الشاش ، على أرض مستوية ، بينها وبين الجبال نحو من فرسخ ، على شمالى النهر ، ولها قهندز أى حصن ، ولها ربض ، ومقدارها فى الكبر نحو ثلاثة فراسخ ، وبناؤها طين ، وقد خرج منها جماعة من أهل العلم والادب ، منهم أبو الوفاء محمد بن محمد ، بن القاسم الاخسيكثى ، وكان إماماً فى اللغة ، والتاريخ ، توفى بعد سنة ٥٢٠ هـ وأخوه أبو رشاد أحمد بن محمد بن القاسم ، وهو المترجم له ، كان أديباً ، فاضلا ، شاعراً ، وكان مقامهما بمرو ، وبها ماتا . ومن شعر أحمد يصف بلده :

من سوى تربة أرضى خلق الله الأناما
إن أخسيكث أم لم تلد إلا الكراما

ومنها أيضاً : نوح بن نصر ، بن محمد ، بن أحمد ، بن عمرو ، بن الفضل ، بن العباس ، ابن الحارث ، الفرغانى الاخسيكثى ، أبو عصمة . قال شيرويه : قدم همذان سنة ٤١٥ هـ وروى عن بكر بن فارس الناطق ، وأحمد بن محمد ، بن أحمد الهروى ، وغيرهما . حدثنا عنه أبو بكر الصندوق ، وذكره الحافظ أبو القاسم ، وقال : فى حديثه نكارة ، وهو مكثر ، وسمع بالعراق ، والشام ، وخراسان . معجم البلدان جزء ١ ص ١٥٠ . هـ .

« منصور »

(*) وترجم له أيضاً فى بغية الوعاة ص ١٦٢ بترجمة موجزة ، وهى كالآتى : « أحمد بن محمد ، بن القاسم ، بن أحمد ، بن خذيو الاخسيكثى ، أبو رشاد ، والملقب بذى الفضائل »

وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَأَخْسِيكَثُ مَدِينَةٌ مِنْ فَرْغَانَةَ ، يُقَالُ بِالثَّاءِ وَالتَّاءِ ، وَكَانَ هُوَ وَأَخُوهُ ذُو الْمَنَاقِبِ مُحَمَّدٌ ، أَدِيبَيْ مَرْوَ ، غَيْرَ مُدَافَعَيْنِ ، يُقِرُّ لَهُمَا بِذَلِكَ كُلُّهُمْ ، قَدِمَا مَرْوَ ، وَسَكَنَاهَا إِلَى أَنْ مَاتَا . وَكَانَ ذُو الْفَضَائِلِ هَذَا ، شَاعِراً أَدِيباً ، مُصَنِّفاً كَاتِباً ، مُتَرَسِّلاً فِي دِيوَانِ السَّلَاطِينِ ، وَلَهُ تَصَانِيفُ ، مِنْهَا : كِتَابٌ فِي التَّارِيخِ ، كِتَابٌ فِي قَوْلِهِمْ كَذَبَ عَلَيْكَ كَذَا ، كِتَابُ زَوَائِدَ فِي شَرْحِ سَقْطِ الزَّنْدِ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ . قَرَأْتُ فِي دِيوَانِ شِعْرِهِ بِخَطِّهِ ، أَنْشَدْتُ لِأَبِي الْعَلَاءِ :

هَفَتِ الْحَنِيفَةُ وَالنَّصَارَى مَا اهْتَدَتْ
وَمَجُوسُ حَارَتْ وَالْيَهُودُ مُضَلَّلَهْ
إِثْنَانِ أَهْلُ الْأَرْضِ : ذُو عَقْلٍ بِلَا
دِينٍ ، وَآخَرُ دَيِّنٌ لَا عَقْلَ لَهْ

— كان أديباً ، فاضلا ، بارعاً ، له الباع الطويل فى النحو ، واللغة ، واليد الباسطة فى النظم ، والنثر ، أخذ عنه أكثر فضلاء خراسان ، وتتلمذوا له ، وسمع أبا المظفر السمعانى ، وله زوائد شرح سقط الزند ، والتاريخ ، وكتاب فى قولهم كذب عليك كذا ، وله ورود على جماعة من قدماء الفضلاء ، ومناظرات مع الفحول الكبراء

ولد فى حدود سنة ستين وأربعمائة ، ومات بمرو فجأة ليلة الاحد ، ثامن جمادى الاولى ، وقيل ليلة الاثنين ، لاربع بقين من جمادى الآخرة ، سنة ست وعشرين وخمسمائة .

فقلتُ مُجيباً لَهُ :

الدِّينُ آخِذُهُ وَتَارِكُهُ

لَمْ يَخْفَ رُشْدُهُمَا وَغَيُّهُمَا

رَجُلانِ أَهلُ الأَرْضِ قُلْتَ فَقُلْ :

يَا شَيْخَ سُوءٍ أَنْتَ أَيُّهُمَا ؟

ذَكَرَهُ السَّمْعَانِيُّ فِي مَشْيَخَتِهِ ، فَقَالَ : كَانَ أَدِيباً ، فَاضِلًا ، بَارِعاً ، لَهُ الْبَاعُ الطَّوِيلُ فِي مَعْرِفَةِ النَّحْوِ وَاللُّغَةِ ، وَالْيَدُ الْبَاسِطَةُ فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ ، وَلَهُ وُرُودٌ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ قُدَمَاءِ الْفُضَلَاءِ ، وَمُشَاعَرَاتٌ وَمُنَافَرَاتٌ ، مَعَ الْفُحُولِ وَالْكُبَرَاءِ ، وَكَانَ أَكْثَرُ فُضَلَاءِ خُرَاسَانَ ، قَرَءُوا الْأَدَبَ عَلَيْهِ ، وَتَتَلْمَذُوا لَهُ ، سَمِعَ بِأَخْسِيكَثَ : أَبَا الْقَاسِمِ مَحْمُودَ بْنَ مُحَمَّدٍ الصُّوفِيَّ ، وَبِمَرْوَ : جَدِّي أَبَا الْمُظَفَّرِ السَّمْعَانِيَّ . سَمِعْتُ مِنْهُ كِتَابَ الْآدَابِ وَالْمَوَاعِظِ ، لِلْقَاضِي أَبِي سَعْدٍ الْخَلِيلِ ، ابْنِ أَحْمَدَ السِّجْزِيِّ ، بِرِوَايَتِهِ عَنْ مَحْمُودٍ الصَّيْرَفِيِّ ، عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ الْكَرْوَانِيِّ ، عَنِ الْمُصَنِّفِ . كَانَتْ وِلَادَتُهُ فِي حُدُودِ سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . وَتُوُفِّيَ بِمَرْوَ فَجْأَةً لَيْلَةَ

الاِثْنَيْنِ ، لِأَرْبَعِ لَيَالٍ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

﴿ ١٥ – أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْآبِىُّ أَبُو الْعَبَّاسِ * ﴾

كَانَ مِنْ أَهْلِ آبَهْ (١) ، مِنْ نَاحِيَةِ بَرْقَةَ ، وَسَافَرَ إِلَى الْيَمَنِ تَاجِراً ، وَاجْتَمَعَ بِأَبِى بَكْرٍ السَّعِيدِىِّ بِعَدَنَ . وَحَدَّثَنِى

احمد بن محمد الآبى

(١) آبه بالباء الموحدة مع فتحها . قال أبو سعد : قال الحافظ أبو بكر ، أحمد بن موسى ، بن مردويه : آبه : من قرى أصبهان . وقال غيره : إن آبه : قرية من قرى ساوة ، منها جرير بن عبد الحميد الآبى ، سكن الرى ، قلت أنا ، أما آبه : بليدة تقابل ساوة ، تعرف بين العامة بآوه ، فلا شك فيها ، وأهلها شيعة ، وأهل ساوة سنية ، لاتزال الحروب بين البلدين قائمة على المذهب .
قال أبو طاهر بن سلفة : أنشدنى القاضى أبو نصر ، أحمد بن العلاء الميندى بأهر ، من مدن أذربيجان لنفسه :

وقائلة أتبغض أهل آبه وهم أعلام نظم والكتابه
فقلت اليك عنى إن مثلى يعادى كل من عادى الصحابه

واليها فيما أحسب ، ينسب الوزير أبو سعد ، منصور بن الحسين الآبى ، ولى أعمالا جليلة ، وصحب الصاحب بن عباد ، ثم وزر لمجد الدولة ، رستم بن فخر الدولة ، ابن ركن الدولة بن بويه ، وكان أديبا ، شاعراً ، مصنفاً ، وهو مؤلف كتاب نثر الدرر ، وتاريخ الرى ، وغير ذلك . وأخوه أبو منصور محمد ، كان من عظماء الكتاب ، وجلة الوزراء ، وزر لملك طبرستان ، وآبه أيضاً من قرى البهنسا من صعيد مصر ، أخبرنى بذلك : القاضى المفضل ، بن أبى الحجاج ، عارض الجيوش بمصر . معجم البلدان ج ١ ص ٥٣

ومن هذا يعلم ، أنها ليست من ناحية برقة كما ذكر فى معجم الادباء ولقد أجاد معجم البلدان فى ذلك ، حيث بين الاقوال فيها ، ولم يرد لما ذكره معجم الادباء ذكر ؟ . ا . هـ . « منصور »

(*) راجع بغية الوعاة ص ١٦٩

الْمَوْلَى الْمُفَضَّلُ ، جَمَالُ الدِّينِ بِقِصَّتِهِ مَعَ السَّعِيدِيِّ عَنْهُ ، أَنَّهُ (١) سَمِعَهَا مِنْهُ ، ثُمَّ قَدِمَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةَ وَأَقَامَ بِهَا ، فَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَاضِي شَرَفِ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، بْنِ قَاضِي الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ مَا أَحْوَجَهُ إِلَى قُدُومِهِ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، وَشَكَا مِنْهُ إِلَى الصَّاحِبِ صَفِيِّ الدِّينِ شُكْرٍ ، فَلَمْ يُشْكِهِ (٣) ، فَأَقَامَ بِالْقَاهِرَةِ إِلَى أَنْ مَاتَ ، وَكَانَ شَكْوَاهُ مِنْ قَطْعِ رِزْقِهِ ، مِنْ مَسْجِدٍ كَانَ يُصَلِّى فِيهِ ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ ، وَكَانَ قُدُومُهُ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . وَمَاتَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي نَحْوِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ. وَصَنَّفَ كِتَابًا فِي النَّحْوِ ، رَأَيْتُهُ بِخَطِّهِ ، وَهِيَ مَسَائِلُ مَنْثُورَةٌ .

حَدَّثَنِي الْمَوْلَى الْقَاضِي الْمُفَضَّلُ ، جَمَالُ الدِّينِ قَالَ : دَخَلْتُ إِلَى الصَّاحِبِ أَبِي بِشْرٍ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ ، فَجَلَسْتُ إِلَى جَانِبِهِ ، فَأَنْشَدَنِي مُتَمَثِّلاً :

إِنَّكَ لَاتَشْكُو إِلَى مُصْمِتٍ
فَاصْبِرْ عَلَى الْحِمْلِ الثَّقِيلِ أَوْ مُتِ

إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ لَمْ يُشْكِهِ . قَالَ أَبُو زِيَادٍ الْكِلَابِيُّ :

---

(١) وفى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد : « إنها » (٣) أشكاه : أزال شكواه وانتصف له ، فالهمزة للازالة ، كأعجم الكتاب أزال عجمته . « عبد الخالق »

وَمَثَلٌ مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ : إِنَّكَ لَاتَشْكُو إِلَى مُصْمِتٍ ، وَالتَّصْمِيتُ : أَنْ تَقُولَ الْمَرْأَةُ إِذَا بَكَى صَبِيُّهَا الرَّضِيعُ ، وَهِيَ مَشْغُولَةٌ عَنْهُ لِبَعْضِ صِبْيَانِهَا ، أَوْ لِزَوْجِهَا : صَمِّتْ هَذَا الصَّبِيَّ ، فَيَأْتِيهِ فَيَحْضُنُهُ(١) بِيَدِهِ حَتَّى يَسْكُتَ . قَالَ : وَحَدَّثَنِي قَالَ : دَخَلْتُ إِلَى مَجْلِسِ الشَّيْخِ الْمُوَفَّقِ أَبِي الْحَجَّاجِ يُوسُفَ ، الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْخَلَّالِ ، كَاتِبِ الْإِنْشَاءِ فِي أَيَّامِ الْمِصْرِيِّينَ ، وَكَانَ الْمُوَفَّقُ قَدْ عَمِلَ مُعَمًّى(٢) فِي الْمِرْآةِ نَثْرًا ، فَقَالَ لِمَنْ بِحَضْرَتِهِ : مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِي : شَيْءٌ شَدِيدُ الْبَاسِ(٣) ، يُغَيِّرُهُ ضَعِيفُ الْأَنْفَاسِ(٤) . وَذَكَرَ كَلَامًا بَعْدَهُ ، فَاسْتَدْلَلْتُ بِهَذِهِ الْفَاتِحَةِ ، عَلَى أَنَّهُ الْمِرْآةُ ، لِأَنَّ الشَّدِيدَ الْبَاسِ ، هُوَ الْحَدِيدُ ، وَيُغَيِّرُ صِقَالَهَا النَّفَسُ ، فَقُلْتُ لَهُ ذَلِكَ ، فَاسْتَحْسَنَ حِدَّةَ خَاطِرِي . أَنْشَدَنِي مَوْلَانَا الْقَاضِي ، الْإِمَامُ جَمَالُ الدِّينِ ، أَبُو الْحَجَّاجِ يُوسُفُ بْنُ الْقَاضِي الْأَكْرَمِ ، عَلَمِ الدِّينِ ، أَبِي طَاهِرٍ إِسْمَاعِيلَ بْنِ

---

(١) كانت فى الاصل : فيختصه ، فأصلحت إلى ما ذكر ، يريد أنه رفعه بيده ، وضمه إلى حضنه

(٢) المعمى من الكلام والشعر : ما خفى معناه وأشكل (٣) يريد البأس بمعنى القوة والمتانة (٤) يريد ان الانسان إذا نفخ عليها ، تغيرت عن حالتها قبل النفخ .

عَبْدِ الْجَبَّارِ، بْنِ أَبِى الْحَجَّاجِ ، قَالَ : أَنْشَدَنِى أَبُو الْعَبَّاسِ ، أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الآبِيُّ ، مُمْتَدِحًا لِى ، وَكَتَبْتُهُ أَنَا مِنْ خَطِّهِ بِيَدِهِ :

يَا خَيْرَ مَنْ فَاقَ الْأَفَاضِلَ سُودَدَا
وَامْتَازَ خِيمًا(١) فِى الْفَخَارِ وَمَحْتِدَا
وَسَمَا لِأَعْلَامِ الْمَعَالِى فَاحْتَوَى
فَضْلًا بِهِ يُهْدَى وَفَضْلًا يُجْتَدَا(٢)
وَإِذَا الرِّيَاسَةُ لَمْ تُزَنْ بِمَعَارِفٍ
وَعَوَارِفٍ يُسْدَى بِهَا كَانَتْ سُدًا(٣)
لَا تَنْسَ مَنْ لَمْ يَنْسَ ذِكْرَكَ أَحْمَدًا
وَافَى(٤) جَنَابَكُمُ الْكَرِيمَ فَأَحْمَدَا
يُهْدِى إِلَى الْأَسْمَاعِ مِنْ أَوْصَافِكُمْ
مُلَحًا كَزَهْرِ الرَّوْضِ بَاكَرَهُ النَّدَا

---

(١) الخيم : الطبع والسجية . والمحتد : الأصل
(٢) يجتدى : أى يطلب جدواه
(٣) كانت سدى : أى باطلة
(٤) وفى الأصل الموجود بمكتبة اكسفورد : وفى .

مُسْتَحْسَنَاتٌ كُلَّمَا كَرَّرْتَهَا
لَمْ تَسْأَمِ الْأَسْمَاعُ مِنْهَا مَوْرِدَا
وَالْفَضْلُ فِيهِ لَكُمْ وَمِنْكُمْ إِنَّمَا
يُعْزَى الْمُضَاعَفُ فِي الْجَمِيلِ لِمَنْ بَدَا
كَالزَّهْرِ يُسْقَى الزَّهْرُ صَيِّبَ أُفْقِهَا
فَيَعُودُ مِنْهُ نَشْرُهُ مُتَصَعِّدَا
جَادَ الْغَمَامُ عَلَى الْكِمَامِ (١) بِمَائِهِ
عَذْبًا فَنَضَّرَ مَا حَوَتْهُ وَنَضَّدَا
وَإِذَا امْرُؤٌ أَسْدَى لِحُرٍّ نِعْمَةً
بَدْءًا تَمَلَّكَهُ بِهَا وَاسْتَعْبَدَا
دُعِيَ الْمُفَضَّلُ إِذْ تَسَامَى فَضْلُهُ
شَرَفًا عَلَى نُظَرَائِهِ وَاسْتَمْجَدَا

١٦ ـ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ، بْنِ جَعْفَرِ، بْنِ مُخْتَارِ الْوَاسِطِيُّ (*)

أحمد الواسطى

أَبُو عَلِيٍّ النَّحْوِيُّ الْعَدْلُ، بْنُ أَخِي أَبِي الْفَتْحِ، مُحَمَّدِ

---

(١) الكمام جمع كم : وهو وعاء الطلع ، وغطاء النور ، يقال : أكمت النخلة وكممت : إذا أخرجت أكمامها

(*) راجع بغية الوعاة ص ١٦٩

ابْنِ مُحَمَّدِ ، بْنِ جعفرِ ، بْنِ مُخْتَارٍ النَّحْوِىّ ، الَّذِى يَأْتِى ذِكْرُهُ فِيمَا بَعْدُ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تعالَى . مَاتَ بَعْدَ سَنَةِ خَمْسِمِائَةٍ . وَلَهُ عَقِبٌ بِوَاسِطَ ، أَخَذَ النَّحْوَ عَنْ أَبِى غَالِبِ بْنِ بِشْرَانَ ، وَكَانَ مَنْزِلُهُ مَأْلَفاً لِأَهْلِ الْعِلْمِ ، وَكَانَ مِنَ الشُّهُودِ الْمُعَدَّلِينَ ، وَكَانَ طَحَّاناً بِمَشْرَعَةِ التَّنَانِيرِيِّينَ(١) بِوَاسِطَ . حَدَّثَنِى أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ ، بْنِ الْحَجَّاجِ الدَّبِيثِىّ ، قَالَ : حَدَّثَنِى عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ غَالِبٍ ، عَنِ الشَّرِيفِ أَبِى الْعَلَاءِ ابْنِ التَّقِىّ قَالَ : قَدِمَ إِلَى وَاسِطَ فِى بَعْضِ الْأَعْوَامِ عَسْكَرُ الْأَعَاجِمِ ، فَنَهَبُوا قِطْعَةً مِنَ الْبَلَدِ ، وَنَهَبُوا دُكَّانَ الشَّيْخِ أَبِى عَلِىّ بْنِ مُخْتَارٍ ، وَنَزَلُوا بِدَارِهِ . قَالَ الشَّرِيفُ : فَدَخَلْتُ مَعَهُ إِلَيْهِمْ ، نَسْتَعْطِفُهُمْ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ بَعْضَ مَا أَخَذُوا مِنْهُ ، فَلَمْ نَرَ لِذَلِكَ وَجْهاً ، وَخَرَجْنَا وَهُوَ يَقُولُ :

تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعُذَيْبِ وَبَارِقِ
مَجَرَّ عَوَالِينَا وَمَجْرَى السَّوَابِقِ

(١) أى الخبازين

ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ : مَا الْعَامِلُ فِي الظَّرْفِ فِي هَذَا الْبَيْتِ ؟ فَقُلْتُ لَهُ يَاسَيِّدِي : مَا أَشْغَلَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ عَنِ النَّحْوِ وَالنَّظَرِ فِيهِ ! فَقَالَ : يَا بُنَيَّ : وَمَا يُفِيدُنِي إِذَا حَزِنْتُ ؟ وَحَدَّثَ الْحَافِظُ أَبُوطَاهِرٍ ، أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ السِّلَفِيُّ قَالَ : أَنْشَدَنِي الشَّيْخُ أَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، بْنِ مُخْتَارٍ الْمُعَدَّلُ بِوَاسِطَ لِنَفْسِهِ ، وَأَفَادَنِيهِ خَمِيسُ بْنُ عَلِيٍّ الْحَافِظُ :

كَمْ جَاهِلٍ مُتَوَاضِعٍ سَتَرَ التَّوَاضُعُ جَهْلَهُ
وَمُمَيِّزٍ فِي عِلْمِهِ هَدَمَ التَّكَبُّرُ فَضْلَهُ
فَدَعِ التَّكَبُّرَ مَا حَيِيتَ وَلَا تُصَاحِبْ أَهْلَهُ
فَالْكِبْرُ عَيْبٌ لِلْفَتَى أَبَدًا يُقَبِّحُ فِعْلَهُ

وَأَنْشَدَ لَهُ :

مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارِ مَسَرَّةٍ
وَتَخُونُنِي مَكْراً لَهَا وَخِدَاعَا
بَيْنَا الْفَتَى فِيهَا يُسَرُّ بِنَفْسِهِ
وَبِمَالِهِ يَسْتَمْتِعُ اسْتِمْتَاعَا(١)

(١) ما أشبه هذا بقول الشاعر :

بينا يرى الانسان فيها مخبرا يمسى يرى خبرا من الأخبار

« عبد الخالق »

حَتَّى سَقَتْهُ مِنَ الْمَنِيَّةِ شَرْبَةً
وَحَمَتْهُ مِنْهَا (١) بَعْدَ ذَاكَ رِضَاعَا
فَغَدَا بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهُ رَهِينَةً
لَا يَسْتَطِيعُ لِمَا عَرَاهُ دِفَاعَا
لَوْ كَانَ يَنْطِقُ قَالَ مِنْ تَحْتِ الثَّرَى
فَلْيُحْسِنِ الْعَمَلَ الْفَتَى مَا اسْتَطَاعَا

﴿ ١٧ — أَحْمَدُ بْنُ مَرْوَانَ ، الْمُؤَدِّبُ أَبُو مُسْهِرٍ * ﴾

احمد بن مروان

مِنْ أَهْلِ الرَّمْلَةِ ، عَالِمٌ بِاللُّغَةِ ، كَانَ فِي أَيَّامِ الْمُتَوَكِّلِ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :

غَيْثٌ وَلَيْثٌ : فَغَيْثٌ حِينَ تَسْأَلُهُ
عُرْفًا ، وَلَيْثٌ : لَدَى الْهَيْجَاءِ ضِرْغَامُ
يَحْيَا الْأَنَامُ بِهِ فِي الْجَدْبِ إِنْ قُحِطُوا (٢)
جُودًا وَيَشْقَى بِهِ يَوْمَ الْوَغَى الْهَامُ

(١) فى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد : منه ، وحمته : بمعنى منعته

(٢) قحطوا بالبناء للمجهول : أصابهم القحط ، أى احتبس عنهم المطر ، واستعمال المجهول فى هذا ، قليل .

(*) راجع بغية الوعاة ص ١٧٠

حَالَانِ ضِدَّانِ مَجْمُوعَانِ فِيهِ فَمَا
يَنْفَكُّ بَيْنَهُمَا بُوسَى وَإِنْعَامُ
كَالْمُزْنِ يَجْتَمِعُ الضِّدَّانِ (١) فِيهِ مَعًا
مَاءٌ وَنَارٌ وَأَرْهَامٌ (٢) وَأَضْرَامُ

﴿ ١٨ – أَحْمَدُ بْنُ مُطَرِّفِ، بْنِ إِسْحَاقَ الْقَاضِي * ﴾

أحمد بن مطرف القاضى

أَبُو الْفَتْحِ الْمِصْرِيُّ، كَانَ فِي الدَّوْلَةِ الْمِصْرِيَّةِ فِي أَيَّامِ الْحَاكِمِ، وَلَهُ تَآلِيفُ فِي الْأَدَبِ، مِنْهَا: كِتَابُ النَّوَائِحِ، كِتَابٌ كَبِيرٌ فِي اللُّغَةِ، وَرِسَالَةٌ فِي الضَّادِ وَالظَّاءِ، كَتَبَ بِهَا إِلَى الشَّرِيفِ أَبِي الْحَسَنِ، مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ الْحُسَيْنِيِّ، عَامِلِ تِنِّيسَ (٣).

﴿ ١٩ – أَحْمَدُ بْنُ مُطَرِّفٍ، أَبُو الْفَتْحِ الْعَسْقَلَانِيُّ * (٥) ﴾

أحمد بن مطرف العسقلانى

كَانَ يَلِي الْقَضَاءَ بِدِمْيَاطَ، وَمَاتَ فِي سَنَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ

---

(١) فى الاصل الحارات (٢) الارهام جمع رهمة: المطر. والاضرام جمع ضرم: النار فتراه ذكر نوعين من التضاد الماء والنار، والرهمة والضرم «عبد الخالق»

(٣) تنيس: بكسرتين وتشديد النون: جزيرة فى بحر مصر قريبة من البر، ما بين الفرما، ودمياط. معجم البلدان ج ٢ ص ٤١٩

(*) راجع بغية الوعاة ص ١٧٠

(٥) راجع بغية الوعاة ص ١٧١

وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ نَيِّفٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ أَدِيبًا ، فَاضِلًا ، وَلَهُ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ مُصَنَّفَةٌ فِي الْأَدَبِ ، وَفِي اللُّغَةِ ، وَغَيْرِهِمَا [1] . وَدِيوَانُ شِعْرِهِ جَمَعَهُ عَلَى نُسْخَتَيْنِ : إِحْدَاهُمَا مُعْرَبَةٌ [2] ، وَالْأُخْرَى مُجَرَّدَةٌ ، يَكُونُ دُونَ أَلْفِ وَرَقَةٍ ، قَالَ ذَلِكَ كُلَّهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الصُّورِيُّ الْحَافِظُ .

وَحُكِيَ : أَنَّهُ أَنْشَدَهُ قِطْعَةً مِنْ شِعْرِهِ ، وَنَاوَلَهُ بَقِيَّتَهُ ، وَأَذِنَ لَهُ فِي رِوَايَتِهِ عَنْهُ ، وَرِوَايَةِ سَائِرِ مُصَنَّفَاتِهِ ، قَالَ : وَمِمَّا أَحْفَظُ لَهُ مِنْ قِطْعَةٍ أَنْشَدَنِيهَا لِنَفْسِهِ ، أَوَّلُهَا :

عِلْمِي بِعَاقِبَةِ الْأَيَّامِ يَكْفِينِي
وَمَا قَضَى اللهُ لِي : لَا بُدَّ يَأْتِينِي

يَقُولُ فِيهَا :

وَلَا خِلَافَ بِأَنَّ النَّاسَ مُذْ [3] خُلِقُوا
فِيمَا يَرُومُونَ مَعْكُوسُو الْقَوَانِينِ
إِذْ يُنْفَقُ الْعُمْرُ فِي الدُّنْيَا مُجَازَفَةً
وَالْمَالُ يُنْفَقُ فِيهَا بِالْمَوَازِينِ

---

(١) وفى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد : وغيرها

(٢) من أعرب ولعله يريد بالاعراب شرحاً لها ، وبالتجريد عدم الشرح

(٣) فى روضات الجنات ، والاصل الذى فى مكتبة اكسفورد : قد

﴿ ٢٠ – أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى ، بْنِ أَبِي عَمَّارٍ الْخَنَّاطُ * ﴾

صَاحِبُ أَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ ، مَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ ابْنُ بِنْتِ الْغِرْيَانِي (١) فِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ . أحمد الخناط

﴿ ٢١ – أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى ، بْنِ الْعَبَّاسِ ، بْنِ مُجَاهِدٍ * ﴾

الْمُقْرِئُ ، أَبُو بَكْرٍ ، قَالَ الْخَطِيبُ : كَانَ شَيْخَ الْقُرَّاءِ أحمد المقرىء

(*) ترجم له في تاريخ بغداد جزء ٥ صفحة ٥٦ بما يأتي :

« أحمد بن محمد موسى ، أبو الحسين البزار ، المعروف بابن الخناط »

سمع أبا بكر النجاد ، ومحمد بن جعفر الادمي القارىء ، وعبد الصمد بن علي الطسطي ، ونحوه . كتبت عنه في سنة خمس عشرة وأربعمائة ، وكان ثقة ، أخبرنا أبو الحسن بن الخناط ، في نهر البزازين . أخبرنا عبد الصمد بن علي ، بن محمد ، بن مكرم البزار . حدثنا الحارث بن محمد التميمي . حدثنا الحسن بن موسى . حدثنا زهير أبو خيثمة . عن أبي اسحاق ، عن علقمة بن قيس ، عن ابن مسعود قال : لقد رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في الخفين والنعلين .

(١) وفي الاصل : الفريابي .

(*) ترجم له في كتاب غاية النهاية ص ٤٢٢ قال :

هو أحمد بن موسى ، بن العباس ، بن مجاهد التميمي الحافظ ، الاستاذ أبو بكر بن مجاهد البغدادي ، شيخ الصنعة ، وأول من سبع السبعة ، ولد سنة خمس وأربعين ومائتين بسوق العطش ببغداد ، قرأ على عبد الرحمن بن عبدوس عشرين ختمة ، وعلى قنبل المكي ، وعبدالله ابن كثير المؤدب صاحب أبي أيوب اليزيدي ، وروى الحروف سماعا ، عن إسحاق بن أحمد الخزاعي ، ومحمد بن عبد الرحيم الاصبهاني ، ومحمد بن إسحاق بن ربيعة ، ومحمد بن يحيى الكسائي الصغير ، وأحمد بن يحيى بن ثعلب ، وموسى بن إسحاق الانصاري ، وأحمد ابن فرج ، ومحمد بن الفرج الحراني ، ومحمد بن فرج الغساني ، وإدريس بن عبد الكريم ، ومحمد بن الجهم ، ومضر بن محمد ، والحسن بن العباس ، بن أبي مهران ، المفضل بن محمد —

فِي وَقْتِهِ ، وَالْمُقَدَّمُ مِنْهُمْ عَلَى أَهْلِ عَصْرِهِ ، مَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ الْخَطِيبُ فِي شَعْبَانَ ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَدُفِنَ فِي مَقْبَرَةِ بَابِ الْبُسْتَانِ ، مِنَ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ، وَمَوْلِدُهُ فِي رَبِيعٍ

— الجندى ، وأحمد بن زهير ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل ، وعبدالله بن أبي داود ، وإسماعيل بن إسحاق القالى ، وأحمد بن محمد بن صدقة ، والحسن بن على ، بن حماد ، بن مهران ، ومحمد بن عيسى الهاشمى ، ووهب بن محمد ، بن محمد ، بن عيسى ، بن حيان ، وأحمد ابن سهل ، والحسن بن الجبار ، ومحمد بن حمدون ، ومحمد بن أحمد بن واصل ، وأحمد بن على الخزاز ، وأحمد بن يوسف الثعلبى ، والحسن بن على الاشنانى ، ومحمد بن جرير الطبرى ، ودلسه فقال فيه :

محمد بن عبد الله ، ومحمد بن يحيى المروزى ، ومحمد بن حماد بن ماهان ، وعلى بن موسى ، ومدين بن شعيب ، والحسن سعيد الموصلى ، وعبد الله بن أحمد بن سوادة ، وابراهيم ابن على العمرى ، والحسين بن بشر الصوفى ، وعبد الله بن محمد بن شاكر ، وابراهيم بن أحمد الوكيعى ، ويحيى بن أحمد المزوق ، وإسماعيل بن عبد الله الفارسى ، وأحمد بن محمد ابن بكر ، وأحمد بن الصقر بن ثوبان ، وعبد الرحمن بن محمد أبوسعيد الحارثى ، والحارث ابن أبى سلمة ، قراء عليه .

وروى عنه الحروف : ابراهيم بن أحمد الحطاب ، وابراهيم بن عبد الرحمن بن أحمد ، وأحمد بن ابراهيم بن عبد الله الحلبى ، والحسين بن أحمد بن عبد الغفار الفارسى ، وأحمد ابن بدهن ، وأحمد بن جعفر الخلال ، وأحمد بن صالح بن عمر ، وأحمد بن محمد بن بشر الشارب ، وأحمد بن عبد الرحمن بن الفضل الولى ، وشاركه فى بعض شيوخه ، وأحمد بن نصر الشداى ، وأحمد بن موسى بن عبد الرحمن ، وبكار بن أحمد ، والحسن بن محمد الكاتب ، وهو الحسن بن عبد الله بن محمد ، والحسن بن سعيد المطوعى ، والحسين بن خالويه النحوى ، والحسين بن عثمان المجاهدى ، والحسين بن محمد حبش الدنيورى ، وزاهر ابن أحمد السرخى ، وزيد بن على ، وصالح بن ادريس ، وصالح بن محمد بن المبارك ، وطلحة بن محمد بن جعفر الشاهد ، وعبد الرحمن بن محمد بن خيران ، وعبد السلام بن بكار ، وعبد الله بن الحسين ، أبو أحمد السامرى ، وعبد الله بن اليسع الانطاكى ، وعبد الرحمن ابن المظفر ، وعبد الملك بن عصام ، وعبد الله بن على ، وعبد الملك بن الحسن البزاز ، وعبد الغفار بن عبد الله ، وعبد العزيز بن الحسن ، وعبد الواحد بن أبى هاشم ، وشاركه —

الآخر، سَنَةَ خمسٍ وأربعينَ ومائتين، قال الخطيبُ: وحدَّث عن عبدِالله بنِ أيوب المخرميّ، ومحمدِ بنِ الجهم السمّريّ (١)، وخلقٍ غيرِهما. وحدَّث عنهُ الدارقطنيُّ، وأبو بكرٍ الجعابيُّ، وأبو بكرِ بنُ شاذانَ، وأبوحفصِ بنُ شاهينَ، وغيرُهم.

— فى بعض شيوخه، وعبدالله بن يعقوب، وعبد الله بن أحمد المعروف بابن البواب، وعبيدالله ابن ابراهيم، مقرى أبى قرة، وعقيل بن البصرى، وعلى بن أحمد الطرسوس، وعلى ابن اسحاق بن يزيد الحلبي، وعلى بن بشران، وعلى بن سعيد القزاز، وعلى بن عبد الله الجلاء، وعلى بن الحسن الجصاص، وعلى بن محمد بن اسحاق المعدل، وعلى بن عثمان بن جيشان، وعمر بن ابراهيم الكتانى، ومحمد بن أحمد بن ابراهيم الشنبوذى، ومحمد بن أحمد ابن عبد الرحمن الملطى، ومحمد بن احمد، بن على، بن الحسين، ومحمد بن الحسن، بن محمد، بن مرة النقاش، ومحمد بن على بن الجلندا، ومحمد بن غريب، ومحمد بن عبدالله بن أشتة، ومحمد ابن عبد الله بن محمد، ومحمد بن عبد الله بن محمد بن أبى عمر، ومحمد بن نهار الحرتكى، ومنصور بن محمد بن منصور القزاز، ونصر بن يوسف، وأبو بكر الجلا، وهو أحمد ابن ابراهيم والمتقدم، وأبو الحسن على بن بشران، وأبو عبد الله الفارسى، وعبد الرحمن ابن محمد بن خيران، وأبومحمد البصرى، وأبوالفضل بن أبى عيسان. وبعد صيته واشتهر أمره، وفاق نظراءه، مع الدين والحفظ والخير، ولا أعلم أحدا من شيوخ القراءات أكثر تلاميذ منه، ولا بلغنا ازدحام الطلبة على أحد كازدحامهم عليه.

حكى ابن الاحزم: أنه وصل الى بغداد، قرأ فى حلقة ابن مجاهد نحواً من ثلاثمائة مصدر، وقال على بن عمر المقرى:

كان ابن مجاهد، له فى حلقته، أربعة وثمانون خليفة، يأخذون على الناس.

توفى فى يوم الاربعاء وقت الظهر، فى العشرين من شعبان، سنة أربع وعشرين وثلاثمائة. — رحمه الله تعالى —.

وترجم له فى كتاب طبقات النواوى ص ٤٨

(١) السمرى: نسبة إلى سمر بكسر الاول وتشديد الثانى وفتحه: بلد من أعمال كسكر، وقد دخل الآن فى أعمال البصرة، وهو بين البصرة وواسط، واليه ينسب المذكور. معجم البلدان ج ٥ ص ١٢١ ا. هـ. ملخصاً «منصور»

وَكَانَ ثِقَةً مَأْمُونًا ، يَسْكُنُ بِالْجَانِبِ الغَرْبِيِّ ، نَحْوَ مُرَبَّعَةِ الْخُرْسِيِّ . حَدَّثَ أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ قَالَ : قَالَ ثَعْلَبٌ النَّحْوِيُّ : فِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ : مَا بَقِيَ مِنْ عَصْرِنَا هَذَا ، أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللهِ ، مِنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُجَاهِدٍ . وَحَدَّثَ أَبُو بَكْرٍ النَّحْوِيُّ قَالَ : صَلَّيْتُ خَلْفَ أَبِي بَكْرِ ابْنِ مُجَاهِدٍ صَلَاةَ الْغَدَاةِ ، فَاسْتَفْتَحَ بِقِرَاءَةِ الْحَمْدِ ، ثُمَّ سَكَتَ ، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ ثَانِيَةً ، ثُمَّ سَكَتَ ، ثُمَّ ابْتَدَأَ بِالْقِرَاءَةِ ، فَقُلْتُ أَيُّهَا الشَّيْخُ ، رَأَيْتُ الْيَوْمَ مِنْكَ عَجِيبًا . فَقَالَ لِي : شَهِدْتَ الْمَكَانَ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ، فَقَالَ : أَشْهَدْتُكَ اللهَ أَنْ لَا(١) حَدَّثْتَ بِهِ عَنِّي ، إِلَى أَنْ أُوَارَى تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى ، ثُمَّ قَالَ لِي يَا بُنَيَّ : مَا هُوَ إِلَّا أَنْ كَبَّرْتُ تَكْبِيرَةَ الْإِحْرَامِ ، حَتَّى كَأَنِّي بِالْحُجُبِ قَدِ انْكَشَفَتْ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ رَبِّ الْعِزَّةِ تَعَالَى سِرًّا بِسِرٍّ ، ثُمَّ اسْتَفْتَحْتُ بِقِرَاءَةِ الْحَمْدِ ، فَاسْتَجْمَعَ كُلُّ حَمْدٍ لِلَّهِ فِي كِتَابِهِ مَا بَيْنَ عَيْنِي ، فَلَمْ أَدْرِ بِأَيِّ الْحَمْدَلَةِ أَبْتَدِئُ ؟ . وَحَدَّثَ عِيسَى بْنُ عَلِيٍّ ، بْنِ عِيسَى ، الْوَزِيرُ قَالَ : أَنْشَدَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ مُجَاهِدٍ ، وَقَدْ جِئْتُهُ عَائِدًا ، وَأَطَالَ عِنْدَهُ

(١) أى لا تحدث به الخ

قَوْمٌ ، كَانُوا قَدْ حَضَرُوا لِعِيَادَتِهِ ، فَقَالَ لِي يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، عِيَادَةٌ ثُمَّ مَاذَا ؟ فَصَرَفَ مَنْ حَضَرَ ، ثُمَّ هَمَمْتُ بِالانْصِرَافِ مَعَهُمْ ، فَأَمَرَنِي بِالرُّجُوعِ إِلَيْهِ ، ثُمَّ أَنْشَدَنِي عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ السَّمَرِيِّ :

لَا تُضْجِرَنَّ مَرِيضاً جِئْتَ عَائِدَهُ
إِنَّ الْعِيَادَةَ يَوْمٌ إِثْرَ يَوْمَيْنِ
بَلْ سَلْهُ عَنْ حَالِهِ وَادْعُ الْإِلَهَ لَهُ
وَاقْعُدْ بِقَدْرِ فُوَاقٍ (١) بَيْنَ حَلْبَيْنِ
مَنْ زَارَ غِبّاً (٢) أَخاً دَامَتْ مَوَدَّتُهُ
وَكَانَ ذَاكَ صَلَاحاً لِلْخَلِيلَيْنِ

وَحَدَّثَ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ ، بْنِ خَلَفٍ الْمُقْرِىءُ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا الْفَضْلِ الزُّهْرِيَّ يَقُولُ : انْتَبَهَ أَبِي فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا أَبُو بَكْرِ بْنُ مُجَاهِدٍ ، فَقَالَ يَا بُنَيَّ : تُرَى مَنْ مَاتَ اللَّيْلَةَ ؟ فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ فِي مَنَامِي ، كَأَنَّ قَائِلًا يَقُولُ :

---

(١) الفواق ما بين الحلبتين ، أو ما بين فتح يدك وقبضتها على الضرع ، وذلك كناية عن قصر الزمن . « عبد الخالق »

(٢) زار يوما بعد أيام

قَدْ مَاتَ اللَّيْلَةَ مُقَوِّمُ وَحْيِ اللهِ، مُنْذُ خَمْسِينَ سَنَةً، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا ابْنُ مُجَاهِدٍ قَدْ مَاتَ. آخِرُ مَا نَقَلْنَاهُ مِنْ تَارِيخِ الْخَطِيبِ. وَذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي كِتَابِهِ، فَقَالَ: كَانَ ابْنُ مُجَاهِدٍ، مَعَ مَا عُرِفَ بِهِ مِنَ الْفَضْلِ، وَاشْتُهِرَ عَنْهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالنُّبْلِ، كَثِيرَ الْمُدَاعَبَةِ، طَيِّبَ الْخُلُقِ، وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ: كِتَابُ الْقِرَاءَاتِ الْكَبِيرُ، كِتَابُ الْقِرَاءَاتِ الصَّغِيرُ، كِتَابُ الْيَاءَاتِ، كِتَابُ الْهَاءَاتِ، كِتَابُ قِرَاءَةِ أَبِي عَمْرٍو، كِتَابُ قِرَاءَةِ ابْنِ كَثِيرٍ، كِتَابُ قِرَاءَةِ عَاصِمٍ، كِتَابُ قِرَاءَةِ نَافِعٍ. كِتَابُ قِرَاءَةِ حَمْزَةَ. كِتَابُ قِرَاءَةِ الْكِسَائِي. كِتَابُ قِرَاءَةِ ابْنِ عَامِرٍ، كِتَابُ قِرَاءَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كِتَابُ السَّبْعَةِ. كِتَابُ انْفِرَادَاتِ الْقُرَّاءِ السَّبْعَةِ. كِتَابُ قِرَاءَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ. نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ أَبِي سَعْدٍ السَّمْعَانِيِّ وَاخْتِيَارِهِ لِتَارِيخِ يَحْيَى بْنِ مَنْدَةَ. سَمِعْتُ الْإِمَامَ أَبَا الْمُظَفَّرِ عَبْدَ اللهِ بْنَ شَبِيبٍ الْمُقْرِئَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ مَنْصُورٍ الْمُذَكِّرَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ بْنَ سَالِمٍ

البَصْرِيَّ الصُّوفِيَّ يَقُولُ : وَهُوَ صَاحِبُ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللهِ التُّسْتَرِيِّ[(١)] . قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ مُجَاهِدٍ الْمُقْرِيَّ يَقُولُ : رَأَيْتُ رَبَّ الْعِزَّةِ فِي الْمَنَامِ ، فَخَتَمْتُ عَلَيْهِ خَتْمَتَيْنِ ، فَلَحَنْتُ فِي مَوْضِعَيْنِ ، فَاغْتَمَمْتُ ، فَقَالَ يَابْنَ مُجَاهِدٍ : الْكَمَالُ لِي ، الْكَمَالُ لِي . قَرَأْتُ فِي تَارِيخِ خُوارِزْمَ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي سَعِيدٍ ، أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ ، ابْنِ حَمْدِيجٍ الْحَمْدِيجِيِّ قَالَ : كُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ مُجَاهِدٍ ، الْمُقْرِىءِ الْبَغْدَادِيِّ ، فَكَانَ يُكْرِمُنِي لِفِقْهِي ، فَاشْتَهَيْتُ أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْهِ ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ وُلُوعِ النَّاسِ بِالْقِرَاءَةِ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْقِرَاءَةَ ، فَاجْلِسْ مَجْلِسَ التَّلَامِذَةِ ، قَالَ : فَتَحَوَّلْتُ مِنْ جَنْبِهِ إِلَى بَيْنِ يَدَيْهِ ، فَلَمَّا افْتَتَحْتُ الْقِرَاءَةَ عَلَى رَسْمِ الْعَامَّةِ ، وَقُلْتُ : « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » قَالَ : أَوَ كَذَا تَقْرَأُ ؟ إِذْهَبْ إِلَى ذَلِكَ الْفَتَى حَتَّى يُرْشِدَكَ ، ثُمَّ اقْرَأْ عَلَيَّ ، فَخَجِلْتُ مِنْ ذَلِكَ ، وَتَرَكَ إِكْرَامِي ، كَمَا كَانَ يُكْرِمُنِي قَبْلَ

(١) التسترى نسبة إلى تستر ، بضم أوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه : أعظم مدينة بخوزستان اليوم ، وهو تعريب شوشتر . معجم البلدان ج ٢ ص ٣٨٦ « منصور »

ذَلِكَ ، لَمَّا عَرَفَ بِضَاعَتِي فِي القِرَاءَةِ . وَقَالَ التَّنُوخِيُّ : بَلَغَنِي عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ قَالَ : النَّاسُ أَرْبَعَةٌ : مَلِيحٌ يَتَبَغَّضُ لِمَلَاحَتِهِ فَيُحْتَمَلُ ، وَبَغِيضٌ يَتَمَلَّحُ ، فَذَاكَ الحُمَّى ، وَالدَّاءُ الَّذِي لَا دَوَاءَ لَهُ ، وَبَغِيضٌ يَتَبَغَّضُ ، فَيُعْذَرُ لِأَنَّهُ طَبْعُهُ ، وَمَلِيحٌ يَتَمَلَّحُ ، فَتِلْكَ الحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ . وَمِنْ تَارِيخِ ابْنِ بِشْرَانَ : كَانَ ابْنُ مُجَاهِدٍ كَثِيراً مَا يُنْشِدُ :

إِذَا عَقَدَ القَضَاءُ عَلَيْكَ أَمْراً

فَلَيْسَ يَحُلُّهُ إِلَّا القَضَاءُ

قَالَ : وَذُكِرَ عَنِ ابْنِ مُجَاهِدٍ : أَنَّهُ حَضَرَ وَجَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ العِلْمِ فِي بُسْتَانٍ ، وَدَاعَبَ وَقَالَ : ـ وَقَدْ لَاحَظَهُ بَعْضُهُمْ ـ التَّعَاقُلُ فِي البُسْتَانِ ، كَالتَّخَالُعِ فِي المَسْجِدِ . وَرُوِيَ عَنْ أَبِي طَالِبٍ الهَاشِمِيِّ صِهْرِ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُجَاهِدٍ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ مُجَاهِدٍ وَقَدْ حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ ، فَقَالَ لِي : أَخْرِجْ مَنْ هَهُنَا مِنْ أَهْلِنَا ، قَالَ : فَفَعَلْتُ ذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ لِي : وَتَبَاعَدْ أَنْتَ أَيْضاً ، فَوَقَفْتُ عَنْهُ بَعِيداً ، فَاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ ، وَأَقْبَلَ يَتْلُو آيَاتٍ مِنَ القُرْآنِ ،

ثُمَّ خفتَ صوتُهُ ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَشَاهَدُ إِلَى أَن طفا[١] . قَالَ : وَكَانَ لَهُ جَاهٌ عَرِيضٌ عِنْدَ السُّلْطَانِ ، وَسَأَلَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ كِتَاباً إِلَى هِلَالِ بْنِ بَدْرٍ فِي حَاجَةٍ لَهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ كِتَاباً وَخَتَمَهُ ، وَلَمْ يَقِفْ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا صَارَ إِلَى هِلَالٍ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ الْكِتَابَ ، قَضَى حَوَائِجَهُ ، وَبَلَغَ لَهُ فَوْقَ مَا أَرَادَ ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَنْصَرِفَ ، قَالَ لَهُ : تَدْرِى مَا فِى كِتَابِكَ ؟ قَالَ : فَأَخْرَجَهُ وَفِيهِ : « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ » حَامِلُ كِتَابِي إِلَيْكَ ، حَامِلُ كِتَابِ اللهِ عَنِّي ، وَالسَّلَامُ . وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ .

٢٢ – أَحْمَدُ النَّهْرُجُورِيُّ[٢] أَبُو أَحْمَدَ الشَّاعِرُ الْعَرُوضِيُّ *

أحمد النهرجورى لَهُ فِى الْعَرُوضِ تَصَانِيفُ ، وَهُوَ بِهِ عَارِفٌ حَاذِقٌ ، يَجْرِى مَجْرَى أَبِي الْحَسَنِ الْعَرُوضِيِّ وَالْعِمْرَانِيِّ وَغَيْرِهِمَا فِيهِ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ شَاعِرٌ مُتَوَسِّطُ الطَّبَقَةِ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ،

(١) طفى : كناية عن الموت (٢) نسبة الى « نهر جور » بضم راء « نهر » وضم جيم « جور » واقع بين الأهواز وميسان

(*) ترجم له فى كتاب الوافى بالوفيات جزء ثالث قسم أول صفحة ٣٦٤ بترجمة قال فيها ماقاله عنه ياقوت فى ترجمته

حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ ، عَنْ عَلِيِّ[١] بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ نَصْرٍ الْكَاتِبِ ، قَالَ : اجْتَمَعْتُ بِهِ بِالْبَصْرَةِ ، فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَأَنَا فِي جُمْلَةِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ مَاسَرْجِيس ، وَسَافَرْنَا عَنْهَا إِلَى أَرْجَانَ[٢] مَعَ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَخَرَجَ النَّهْرَجُورِيُّ مَعَنَا ، وَأَقَامَ فِي مُصَاحَبَتِهِ ، إِلَى أَنْ تَقَلَّدَ أَبُو الْفَرَجِ ، مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَازِنُ الْبَصْرَةَ ، فِي أَوَاخِرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَعَادَ مَعَهُ إِلَيْهَا ، ثُمَّ وَرَدْتُهَا فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، مُتَّصِلاً بِخِدْمَةِ «شَاهِنْشَاه» الْأَعْظَمِ ، جَلَالِ الدَّوْلَةِ بْنِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَقَدْ مَاتَ النَّهْرَجُورِيُّ قَبْلَ ذَلِكَ بِشُهُورٍ ، بِعِلَّةٍ طَرِيفَةٍ ، لَحِقَتْهُ مِنْ ظُهُورِ الْقَمْلِ فِي جِسْمِهِ ، عِنْدَ حَكِّهِ إِيَّاهُ ، إِلَى أَنْ مَاتَ ، وَكَانَ شَيْخاً قَصِيراً ، شَدِيدَ الْأُدْمَةِ[٣] ، سَخِيفَ اللِّبْسَةِ ، وَسِخَ الْجُمْلَةِ ، سَيِّءَ الْمَذْهَبِ ، مُتَظَاهِراً بِالْإِلْحَادِ ، غَيْرَ مُكَاتِمٍ لَهُ ، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ[٤] قَطُّ ، وَلَا أَعْقَبَ ، وَكَانَ أَقْوَى الطَّبَقَةِ

(١) كانت فى الأصل « على » بحذف « عن »
(٢) كانت بالاصل : « إلى أن حان بهاء »
(٣) أى سمرة اللون
(٤) فى الأصل الذى فى مكتبة اكسفورد : يتزج

فِي الفَلْسَفَةِ ، وَعُلُومِ الْأَوَائِلِ ، وَمُتَوَسِّطاً فِي عُلومِ الْعَرَبِيَّةِ . وَعِلْمُهُ بِهَا أَكْثَرُ مِنْ شِعْرِهِ ، وَكَانَ ثَلَّابَةً [1] لِلنَّاسِ هَجَّاءً ، قَلِيلَ الشُّكْرِ لِمَنْ يُحْسِنُ إِلَيْهِ ، غَيْرَ مُرَاعٍ لِجَمِيلٍ يُسْدَى إِلَيْهِ ، وَأَنْشَدَنِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مِنْ شِعْرِهِ ، وَمِنْهُ :

مَنْ عَاذِرِي مِنْ رَئِيسٍ ... يَعُدُّ كَسْبِي حَسْبِي
لَمَّا انْقَطَعْتُ إِلَيْهِ ... وَصَلْتُ [2] مُنْقَطِعاً بِي

فَسَمِعَ ذَلِكَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ مَاسَرْجِيسَ ، فَقَالَ : هَذَا تَدْلِيسٌ مِنْهُ ، وَأَنَا الْمَقْصُودُ بِالْهَجْوِ ، وَإِنَّمَا قَالَ : مَنْ عَذِيرِي مِنْ وَزِيرٍ ، وَقَدْ رَاقَبَنِي فِي تَغْيِيرِهِ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ النَّهْرَجُورِيُّ ، حُمِلَ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ مُسَوَّدَاتُهُ ، فَوَجَدَ فِيهَا الْقِطْعَةَ مَنْسُوبَةً إِلَيْهِ ، فَأَخْرَجَهَا وَوَقَفَنِي عَلَيْهَا ، وَعَرَّفَنِي صِحَّةَ حَدْسِهِ فِيهِ . وَمِنْ شِعْرِهِ فِي أَبِي الْوَفَاءِ بْنِ الصَّيْقَلِ :

مَا اسْتُخْرِجَ الْمَالُ بِمِثْلِ الْعَصَا
لِطَالِبِيهِ مِنْ أَبِي الْغَدْرِ

(١) من ثلب الرجل : إذا عابه وتنقصه . صيغة مبالغة فى ثلب ، وفى هجا (٢) وصلت كانت فى الاصل : حصلت ، فغيرتها إلى وصلت ، فيكون معنى البيت : لما انقطعت اليه ، ولم ألجأ إلى غيره أخطأت ، لأنى وصلت بى منقطعاً عن الناس « عبد الخالق »

أَلَيْسَ قَدَ أَخْرَجَ مُوسَى بِهَا

لِقَوْمِهِ الْمَاءَ مِنَ الصَّخْرِ؟

وَلَهُ أَيْضاً :

صَاحَ نَدِيمِي (١) وَشَفَّهُ الطَّرَبُ

يَا قَوْمَنَا إِنَّ أَمْرَنَا عَجَبُ

نَارٌ إِذَا الْمَاءُ مَسَّهَا زَفَرَتْ (٢)

كَأَنَّهَا لِالْتِهَابِهَا حَطَبُ

وَلَهُ يَهْجُو طَبِيباً مِنْ أَهْلِ الْأُبُلَّةِ ، يُعْرَفُ بِأَبِي غَسَّانَ ، وَكَانَ قَدْ أُغْرِيَ بِهِجَائِهِ :

يَا طَبِيباً دَاوَى كَسَادَ ذَوِي الْأَ كْـ

فَانِ حَتَّى أَعَادَهُمْ فِي نَفَاقِ (٣)

إِنْ تَكُنْ قَدْ وَصَلْتَ رِزْقَهُمُ فِيـ

هَا فَكَمْ قَدْ قَطَعْتَ مِنْ أَرْزَاقِ؟

---

(١) وفى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد : « عديمى »

(٢) زفرت النار : سمع صوتها لتوقدها (٣) أى رواج

وَقَّعَ اللهُ فِي جَبِينِكَ لِلأَزْ
زَاقِ أَنْ وَدِّعِي وَدَاعَ الفِرَاقِ

وَلَهُ فِيهِ أَيْضاً :

يَا بْنَ غَسَّانَ أَنْتَ نَاقَضْتَ عِيسَى
فَهْوَ يُحْيِي الْمَوتَى وَأَنْتَ تُمِيتُ
يَشْهَدُ الْقَلْبُ أَنَّهُ يَقْدُمُ الْغَا
سِلَ أَوْ أَنَّ دَسْتَهُ تَابُوتُ

وَقَالَ فِي أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِيء ، يَمْدَحُهُ وَهُوَ بِالْبَصْرَةِ بِقَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا :

لَا يَذْهَبَنَّ عَلَيْكِ فِي الْعُوَّادِ
ضَعْفُ الْقُوَى وَتَفَتُّتُ الأَكْبَادِ

لَا تَسْأَلِي عَنِّي سِوَاكِ فَإِنَّمَا
ذِكْرَاكِ أَنْفَاسِي وَحُبُّكِ زَادِي

يَا سَمْحَةً بِدَمِي عَلَى تَحْرِيمِهِ
فِيمَا يَظُنُّ أَصَادِقُهُ(١) وَأَعَادِي

(١) أصادق : جمع صديق ، وأعادي جمع عدو

حَاشَاكِ أَنْ أَلْقَاكِ غَيْرَ بَخِيلَةٍ
أَوْ أَنْ أَرَى مَالَا تَرَيْنَ رَشَادِي

وَلَهُ يَهْجُو امْرَأَةً :

تَمُوتُ مِنْ شَهْوَةِ الضُّرَاطِ وَلَا
يُسْعِدُهَا دُبْرُهَا بِتَصْوِيتِ
كَأَنَّمَا أَلْيَتَاكِ خَابِيَةٌ
تَظَلُّ[1] مَلْقِيَّةً لِتَزْفِيتِ

وَلَهُ أَيْضاً :

لَوْ كَانَ يُورَثُ بِالتَّشَابُهِ مَيِّتٌ
لَمَلَكْتَ بِالْأَعْضَاءِ مَالَا يُمْلَكُ
ثُعَلٌ مَخَايِلُهُ[2] تُخَبِّرُ أَنَّهُ
فِي النَّاسِ مِنْ نُطَفِ الْجَمِيعِ مُشَبَّكُ

قَالُوا : وَلَمْ يَكُنْ وَسَخُهُ وَقَذَارَتُهُ عَنْ فَقْرٍ ، فَإِنَّ حَالَهُ كَانَتْ مُسْتَقِيمَةً حَسَنَةً ، بَلْ كَانَتْ لِعَادَةٍ سَيِّئَةٍ فِيهِ ، وَكَانَ

(١) فى الاصل : تغسل ، والتزفيت طلاء الشىء بالقار أى الزفت (٢) ثعل أى ثعلب يريد أن مايختل به الناس ويخدعهم به يحدث الناس أنه مشبك من نطف جميع الخلق وفى الاصل : ثقل مخايله ، فغيرت كما ترى ، ويصح أن تكون مخايله تخبر بمعنى أن فيه أمارات تحدث بما يقول الشاعر . « عبد الخالق »

النَّاسُ يَتَّقُونَ لِسَانَهُ وَكَثْرَةَ هِجَائِهِ . «قَالَ ابْنُ نَصْرٍ : وَمَدَحَ أَبُو أَحْمَدَ النَّهْرَجُورِيُّ أَبَا الْفَرَجِ مَنْصُورَ بْنَ سَهْلٍ الْمَجُوسِيَّ عَامِلَ الْبَصْرَةِ ، فَأَعْطَاهُ صِلَةً حَاضِرَةً هَنِيَّةً ، وَالْتَفَّ بِهِ الْحَوَاشِي ، فَطَالَبُوهُ ، فَكَتَبَ رُقْعَةً وَدَفَعَهَا إِلَى بَعْضِ الدَّاخِلِينَ إِلَيْهِ ، وَقَالَ : تُسَلِّمُ هَذِهِ إِلَى الْأُسْتَاذِ ، وَكَانَ فِيهَا :

أَجَازَنِي الْأُسْتَاذُ عَنْ مِدْحَتِي
جَائِزَةً كَانَتْ لِأَصْحَابِهْ
وَلَمْ يَكُنْ حَظِّيَ مِنْهَا سِوَى
جَرْبَذَتِي (١) يَوْماً عَلَى بَابِهْ

فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ الرُّقْعَةُ ، خَرَجَ فِي الْحَالِ مَنْ صَرَفَ الْحَوَاشِيَ عَنْهُ ، وَصَارَ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ مَنْزِلَهُ :

﴿ ٢٣ – أَحْمَدُ بْنُ نَصْرٍ ، بْنِ الْحُسَيْنِ الْبَازِيَارُ ، أَبُو عَلِيٍّ * ﴾

كَانَ نَدِيماً لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ ، وَكَانَ أَبُوهُ نَصْرُ بْنُ — أحمد البازيار

(١) فى الاصل : الجهبذة فأصلحتها كما ترى . والجربذة ، عدو ثقيل ، يريد جريه على بابه

(*) ترجم له فى كتاب فهرست بن النديم ص ١٨٩ بما يأتى : « عبدالخالق كان نديماً لسيف الدولة ، جده نصر بن الحسين ، من ناقلة سر من رأى ، واتصل بالمعتضد وخدمه ، وخف على قلبه ، وأصله من خراسان ، وكان يتعاطى —

الحُسَيْنِ مِنْ نَاقِلَةِ سَامَرَّا، وَاتَّصَلَ بِالْمُعْتَضِدِ وَخَدَمَهُ، وَخَفَّ عَلَى قَلْبِهِ، وَأَهْلُهُ مِنْ خُرَاسَانَ، وَكَانَ يَتَعَاطَى لَعِبَ الْجَوَارِحِ (١) فَرَدَّ إِلَيْهِ الْمُعْتَضِدُ نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ جَوَارِحِهِ، وَمَاتَ أَبُو عَلِيٍّ بِحَلَبَ، فِي حَيَاةِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ، وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ كِتَابُ تَهْذِيبِ الْبَلَاغَةِ (٢) ذَكَرَ ذَلِكَ كُلَّهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ.

قَالَ ثَابِتُ بْنُ سِنَانَ: مَاتَ أَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرٍ، بْنِ الْبَازَيَارِ بِالشَّامِ، فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَحَدَّثَ أَبُو جَعْفَرٍ طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَنَّاشٍ، صَاحِبُ كِتَابِ الْقُضَاةِ قَالَ: كُنَّا بِحَضْرَةِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ، وَقَدْ كَانَ مِنْ نُدَمَائِهِ، قَالَ: كَانَ يَحْضُرُ مَعَنَا مَجْلِسَهُ أَبُو نَصْرٍ الْبَنْصُ، وَكَانَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ نَيْسَابُورَ، أَقَامَ بِبَغْدَادَ قِطْعَةً مِنْ أَيَّامِ الْمُقْتَدِرِ، وَبَعْدَهَا إِلَى أَيَّامِ الرَّاضِي، وَكَانَ مَشْهُورًا بِالطَّيِّبَةِ وَالْخَلَاعَةِ،

— لعب الجوارح، فرد اليه المعتضد نوعا من أنواع جوارحه، وتوفى بحلب، فى حياة سيف الدولة، سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة وله من الكتب: كتاب تهذيب البلاغة، كتاب اللسان

(١) فى الفهرس ص ١٣١ وفى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد: « الجوامع »

(٢) زاد صاحب الفهرس: كتاب اللسان

وَخِفَّةِ الرُّوحِ ، وَحُسْنِ الْمُحَاضَرَةِ ، مَعَ الْعِفَّةِ وَالسَّتْرِ ، وَتَقَلَّدَ الْحُكْمَ فِي عِدَّةِ نَوَاحٍ بِالشَّامِ ، فَقِيلَ لَهُ يَوْمًا بِحَضْرَةِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ : لِمَ لُقِّبْتَ الْبَنْصَ ؟ فَقَالَ : مَاهَذَا لَقَبٌ ، وَإِنَّمَا هُوَ اشْتِقَاقٌ مِنْ كُنْيَتِي ، كَمَا لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَشْتَقَّ مِنْ أَبِي عَلِيٍّ مِثْلَ هَذَا « وَأَوْمَأَ إِلَى ابْنِ الْبَازِيَارِ » لَقُلْنَا : الْبَعْلُ . أَوِ اشْتَقَقْنَا مِنْ أَبِي الْحَسَنِ « وَأَوْمَأَ إِلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ » لَقُلْنَا : الْبَحْسُ ، فَضَحِكَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ مِنْهُ ، وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ ، وَقَدِ اسْتَدْلَلْتُ بِهَذِهِ الْحِكَايَةِ ، عَلَى عِظَمِ قَدْرِ ابْنِ الْبَازِيَارِ عِنْدَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، إِذْ قَرَنَ اسْمَهُ بِاسْمِهِ . قَالَ أَبُو عَلِيٍّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عِيسَى ، بْنِ الْجَرَّاحِ فِي تَارِيخِهِ : لَمَّا وَرَدَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ إِلَى بَغْدَادَ ، وَقَدْ رُدَّ إِلَيْهِ تَدْبِيرُ الْعَسَاكِرِ ، وَإِمْرَةُ الْأُمَرَاءِ ، قَلَّدَ الْوَزِيرُ أَبُو إِسْحَاقَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ[1] الْقَرَارِيطِيُّ ، إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَخِي أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى ، أَصْلَ دِيوَانِ الْمَشْرِقِ ، وَزِمَامَ الْبِرِّ ، وَزِمَامَ الْمَغْرِبِ ، وَزِمَامَ الْمَنْبَعِ[2] وَدِيوَانَ الْفُرَاتِيَةِ ، مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ[3] ، ثُمَّ

(١) كانت بالاصل : احمد بن محمد (٢) لعله : المبيع

(٣) كانت بالاصل « مدة من القراريطى »

اسْتَشْفَعَ إِلَى الْوَزِيرِ، أَحْمَدَ بْنِ نَصْرٍ الْبَازِيَارِ، بِابْنِ مُكْرَمٍ كَاتِبِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ، فَقَلَّدَهُ دِيوَانَ الْمَشْرِقِ، وَزِمَامَ الْبَرِّ، وَزِمَامَ الْمَغْرِبِ، وَعَوَّضَ أَبَا نَصْرٍ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَخِي أَبِي الْحَسَنِ، مَكَانَ مَاصَرَفَهُ عَنْهُ، دِيوَانَ الْبِرِّ، وَدِيوَانَ ضِيَاعِ وَرَثَةِ مُوسَى بْنِ بُغَا الْأَصْلِ. نَقَلْتُ هَذَا مِنْ خَطِّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ أَخِي أَبِي الْحَسَنِ، عَلِيِّ بْنِ عِيسَى، صَاحِبِ هَذِهِ الْقِصَّةِ، فَإِنَّ النُّسْخَةَ بِالتَّارِيخِ كَانَتْ بِخَطِّهِ. وَذَكَرَ هِلَالٌ أَنَّ أَحْمَدَ ابْنَ نَصْرٍ الْبَازِيَارَ، كَانَ ابْنَ أُخْتِ أَبِي الْقَاسِمِ، عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَوَارِيِّ، وَكَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ الصَّفَرِيُّ، شَاعِرُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ، قَدْ حُبِسَ لِمُحَاكَمَةٍ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ حَلَبَ، فَكَتَبَ إِلَى ابْنِ الْبَازِيَارِ فِي مَحْبَسِهِ[1]:

كَذَا الدَّهْرُ بُؤْسٌ مَرَّةً وَنَعِيمُ
فَلَا ذَا وَلَا هَذَا يَكَادُ يَدُومُ
وَذُو الصَّبْرِ مَحْمُودٌ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
وَكُلُّ جَزُوعٍ فِي الْأَنَامِ مَلُومُ

(١) فى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد: « مجلسه »

يَقُولُ فِيهَا :

أَتَرْضَى الطَّمَاىُ قَاضٍ بِحَبْسِهِ (١)
إِذَا اخْتَصَمَتْ يَوْمًا إِلَيْهِ خُصُومُ ؟

وَإِنَّ زَمَانًا فِيهِ يَحْبِسُ مِثْلُهُ
لِمِثْلِي ، زَمَانٌ مَا عَلِمْتُ لَئِيمُ

يَكَادُ فُؤَادِي يَسْتَطِيرُ صَبَابَةً
إِذَا هَبَّ مِنْ نَحْوِ الْأَمِينِ نَسِيمُ

هَلَ أَنْتَ ابْنَ نَصْرٍ نَاصِرِي بِمَقَالَةٍ
لَهَا فِي دُجَى الْخَطْبِ الْبَهِيمِ نُجُومُ ؟

وَلَائِمُ قَاضٍ رَدَّ تَوْقِيعَ مَنْ بِهِ
غَدَا قَاضِيًا فَالْأَمْرُ فِيهِ عَظِيمُ

وَمُتَّخِذٌ عِنْدِي صَنِيعَةَ مَاجِدٍ
كَرِيمٍ نَمَاهُ فِي الْفَخَارِ كَرِيمُ

---

(١) كذا بالاصل ، والشطر الاول محرف ولعل صوابه :
أترضى ظلوماً وهو قاض بحبسه

٢٤ - أَحْمَدُ بْنُ هِبَةِ اللهِ ، بْنِ الْعَلَاءِ ، ابْنِ مَنْصُورٍ الْمَخْزُومِي *

أحمد المخزومى

أَبُو الْعَبَّاسِ ، الْأَدِيبُ النَّحْوِيُّ ، الْمَعْرُوفُ بِالصَّدْرِ ابْنِ الزَّاهِدِ ، مَاتَ فِي الثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ رَجَبٍ ، سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَقَدْ نَيَّفَ[1] عَلَى الثَّمَانِينَ ، وَكَانَ لَهُ اخْتِصَاصٌ عَظِيمٌ بِالشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ الْخَشَّابِ لَا يُفَارِقُهُ ، فَحَصَّلَ مِنْهُ عِلْمًا جَمًّا ، وَصَارَتْ لَهُ يَدٌ بَاسِطَةٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ وَاللُّغَةِ ، وَكَانَ قَرَأَ قَبْلَهُ عَلَى أَبِي الْفَضْلِ بْنِ الْأَشْتَرِ ، وَكَانَ كَيِّسًا[2] مَطْبُوعًا ، خَفِيفَ الرُّوحِ ، حَسَنَ الْفُكَاهَةِ . وَسَمِعَ مِنْ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْأَنْمَاطِيِّ ، وَابْنِ الْمَانْدَائِيِّ ، وَغَيْرِهِمَا . أَنْبَأَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الدُّبَيْثِيُّ ، قَالَ : أَنْشَدَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ ، أَحْمَدُ بْنُ هِبَةِ اللهِ الْأَدِيبُ لَفْظًا ، قَالَ : أَنْشَدَنِي الْأَمِيرُ أَبُو الْفَوَارِسِ سَعْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّيْفِيُّ لِنَفْسِهِ :

(*) راجع بغية الوعاة ص ١٧٢

(١) أى زاد

(٢) الكيس : الحاذق الظريف الفطن

أُجَنَّبُ أَهْلَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ زَوْرَتِي
وَأَغْشَى امْرَأً فِي بَيْتِهِ وَهُوَ عَاطِلُ
وَإِنِّي لَسَمْحٌ بِالسَّلَامِ لِأَشْعَثٍ
وَعِنْدَ الْهُمَامِ[١] الْقَيْلِ بِالرَّدِّ بَاخِلُ
وَمَا ذَاكَ مِنْ كِبْرٍ وَلَكِنْ سَجِيَّةٌ
تُعَارِضُ تِيهاً عِنْدَهُمْ وَتُسَاجِلُ[٢]

ذَكَرَهُ الْعِمَادُ فَقَالَ : هُوَ مِنْ فُقَهَاءِ النِّظَامِيَّةِ ، ذُو الْخَاطِرِ الْوَقَّادِ ، وَالْقَرِيحَةِ وَالِانْتِقَادِ ، وَلَهُ يَدٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ وَالنَّحْوِ ، قَرَأَ عَلَى شَيْخِنَا أَبِي مُحَمَّدٍ الْخَشَّابِ ، وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ :

وَمُهَفْهَفٍ يُسْبِيكَ خَطُّ عِذَارِهِ
وَيُرِيكَ ضَوْءَ الْبَدْرِ فِي أَزْرَارِهِ
حَاكَتْ[٣] شَمَائِلَهُ الشَّمُولُ وَجَنَتْ
لُطْفَ النَّسِيمِ يَهُبُّ فِي أَسْحَارِهِ

---

(١) الهمام : العظيم ، والقيل : الأمير
(٢) ساجل فلان صاحبه : باراه وفاخره بأن صنع مثل صنعه
(٣) كانت فى الاصل : حدث ، فغيرت إلى ما ترى

وَلَهُ قَصِيدَةٌ كَتَبَهَا إِلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ ، مِنْهَا :

إِنَّ الْأَكَاسِرَةَ الْأُولَى شَادُوا الْعُلَى
بَيْنَ الْأَنَامِ فَمُفْضِلٌ أَوْ مُنْعِمُ
يَشْكُونَ أَنَّكَ قَدْ نَسَخْتَ فِعَالَهُمْ
حَتَّى تُنُوسِيَ مَا تَقَدَّمَ مِنْهُمُ
وَسَنَنْتَ فِي شَرْعِ (١) الْمَمَالِكِ مَا عَمُوا
عَنْ بَعْضِهِ وَفَهِمْتَ مَا لَمْ يَفْهَمُوا

وَلَهُ أَيْضاً :

مَاذَا يَقُولُ لَكَ الرَّاجِي وَقَدْ نَفِدَتْ
فِيكَ الْمَعَانِي وَبَحْرُ الْقَوْلِ قَدْ نَزَفَا (٢) ؟
وَمَا لَهُ حِيلَةٌ إِلَّا الدُّعَاءُ فَإِنْ
يُسْمَعْ يَظَلُّ عَلَيْهِ الدَّهْرُ مُعْتَكِفَا

---

(١) كانت فى الاصل : شرح ، فأصلحت إلى ما ذكر (٢) نزف : نفد ، وهذا أشبه فى المعنى بقول عنترة « هل غادر الشعراء من متردم » « عبد الخالق »

٢٥ – أَحْمَدُ بْنُ الْهَيْثَمِ، بْنِ فِرَاسٍ، بْنِ مُحَمَّدٍ،

ابْنِ عَطَاءٍ الشَّامِيُّ *

أحمد الشامي

قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ : هُوَ أَحَدُ الرُّوَاةِ الْمُكْثِرِينَ ، رَوَى عَنْهُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيلٍ الْعَنَزِيُّ ، وَأَبُو بَكْرٍ وَكِيعٌ ، قُلْتُ : وَكَانَ أَبُوهُ الْهَيْثَمُ بْنُ فِرَاسٍ ، شَاعِرًا مُكْثِرًا ، وَكَانَ جَدُّهُ فِرَاسٌ مِنْ شِيعَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ ، وَقَدْ أَدْرَكَ دَوْلَةَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَلَهُ فِي أَوَّلِ الدَّوْلَةِ أَخْبَارٌ ، فَحَدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ بِإِسْنَادٍ رَفَعَهُ إِلَى الْهَيْثَمِ بْنِ فِرَاسٍ قَالَ : أَنْشَدْتُ عُمَارَ بْنَ نُمَامَةَ :

يُنَادِي الْجَارُ خَادِمَةً فَتَسْعَى
مُشَمِّرَةً إِذَا حَضَرَ الطَّعَامُ

(*) ترجم له فى تاريخ بغداد، ج ٥ ص ١٩٣ بما يأتى قال : صاحب أخبار وحكايات عن أبيه وعن غيره ، روى عنه الحسن بن عليل العنزى ومحمد بن موسى ، بن حماد البربرى ، ومحمد بن خلف ، بن المرزبانى : والحسين ابن القاسم الكوكبي ، ومحمد بن أحمد الحكيمى . وهو : أحمد بن الهيثم ، بن فراس ابن عطاء ، بن شعيب ، بن خولى ، بن جديد ، بن عوف ، بن ذهل ، بن المحرم ، بن بكر ، بن عمر ، بن عوف ، بن عباد ، بن لؤى ، بن الحارث ، بن سامة ، بن لؤى .

وَأَدْعُو حِينَ يَحْضُرُنِي طَعَامِي
فَلَا أَمَةٌ تُجِيبُ وَلَا غُلَامُ

وَحَدَّثَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَبَّاسِ عَنِ الْمُبَرِّدِ قَالَ: قَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ فِرَاسٍ فِي الْمُفَضَّلِ بْنِ مَرْوَانَ، وَزِيرِ الْمُعْتَصِمِ:

تَجَبَّرْتَ يَا فَضْلُ بْنُ مَرْوَانَ فَاعْتَبِرْ
فَقَبْلَكَ كَانَ الْفَضْلُ، وَالْفَضْلُ وَالْفَضْلُ

ثَلَاثَةُ أَمْلَاكٍ مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ
أَبَادَهُمُ الْمَوْتُ الْمُشَتَّتُ وَالْقَتْلُ

يُرِيدُ الْفَضْلَ بْنَ يَحْيَي، وَالْفَضْلَ بْنَ الرَّبِيعِ، وَالْفَضْلَ ابْنَ سَهْلٍ.

فَإِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ فِي النَّاسِ ظَالِمًا
سَتُودِي(١) كَمَا أَوْدَى(٢) الثَّلَاثَةُ مِنْ قَبْلُ

(١) ستودى : ستهلك
(٢) أودى : هلك

٢٦ – أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ، بْنِ جَابِرٍ ، بْنِ دَاوُودَ الْبَلَاذُرِيُّ (*)

أَبُو الْحَسَنِ ، وَقِيلَ أَبُو بَكْرٍ ، مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ ، أحمد البلاذرى

(*) ترجم له فى كتاب تاريخ آداب اللغة العربية، جزء ثان صفحة ١٩١ قال : هو خاتمة مؤرخى الفتح ، ولد فى أواخر القرن الثانى للهجرة ، ونشأ فى بغداد ، وتقرب من المتوكل ، والمستعين ، والمعتز ، وعهد اليه هذا بتثقيف ابنه عبد الله الشاعر المشهور ، وكان شاعراً ، وكاتباً ، ومترجماً ، ينقل من الفارسية الى العربية ، ومن شعره ما مدح به المستعين ، وهو :

ولو أن برد المصطفى إذ حويته يظن لظن البرد أنك صاحبه

وذكر صاحب الفهرست : أنه وسوس فى آخر أيامه ، فأخذ إلى البيمارستان ، لانه شرب ثمر البلاذر على غير معرفة ، ومنه اسمه ، ومات على الاغلب ،سنة تسع وسبعين ومائتين، فى أول خلافة المعتضد ، وله مؤلفات أهمها :

١ — فتوح البلدان : وهو أشهر كتبه ، ويظهر أنه مختصر من كتاب أطول منه ، كان قد أخذ فى تأليفه ، وسماه « كتاب البلدان الكبير » ولم يتمه ، فاكتفى بهذا المختصر ، وهو يدخل فى خمسين صفحة ، ذكر فيها أخبار الفتوح الاسلامية ، من أيام النبي إلى آخرها ، بلداً بلداً ، لم يفرط فى شىء منها ، مع التحقيق اللازم ، واعتدال الخطة ، وضمنه فضلا عن الفتوح ، أبحاثاً عمرانية ، أو سياسية يندر العثور عليها فى كتب التاريخ ، كأحكام الخراج أو العطاء ، وأمر الخاتم ، والنقود ، والخط ، ونحو ذلك ، وقد طبع الكتاب فى ليدن سنة سبعين وثمانمائة بعد الالف ، بعناية المستشرق « ذى غوية » ونشرته فى مصر ، شركة طبع الكتب العربية ، سنة إحدى وتسعمائة بعد الالف ، وهو أجمع كتب الفتوح وأصحها .

٢ — أنساب الاشراف ، ويسمى أيضاً ، الاخبار والانساب ، وهو مطول فى عشرين مجلداً ، ولم يتمه وكان ضائعاً ، فعثر المستشرق الالمانى « أهلوارد » فى مكتبة « شيفر » على الجزء الحادى عشر من كتاب فى التاريخ ، ليس عليه اسم ، فرجح انه من أجزاء كتاب البلاذرى ، الذى نحن بصدده ، فطبعه فى « غريز ولد » سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة بعد الالف على الحجر بخطه ، فى خمسين وأربعمائة صفحة ، وفيه كثير من أخبار بنى أمية —

ذَكَرَهُ الصُّولِيُّ فِي نُدَمَاءِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللهِ ، مَاتَ فِي أَيَّامِ الْمُعْتَمِدِ عَلَى اللهِ فِي أَوَاخِرِهَا ، وَمَا أَبْعَدَ (١) أَنْ يَكُونَ أَدْرَكَ أَوَّلَ أَيَّامِ الْمُعْتَضِدِ ، وَكَانَ جَدُّهُ جَابِرٌ يَخْدُمُ الْخَصِيبَ صَاحِبَ مِصْرَ ، وَذَكَرَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ ، فَقَالَ : سَمِعَ بِدِمَشْقَ هِشَامَ بْنَ عَمَّارٍ ، وَأَبَا حَفْصٍ (٢) عُمَرَ

— فى زمن عبد الملك ، والوليد ، ويدخل فى ذلك ، تفاصيل وقائع مصعب بن الزبير ، وأخيه عبد الله ، وأخبار الخوارج .

وترجم له فى كتاب الوافى بالوفيات جزء أول صفحة ٧ قال :

كنت من جلساء المستعين بالله ، وقد قصده الشعراء ، فقال : ليس أقبل إلا من الذى يقول مثل قول البحترى فى المتوكل :

فلو أن مشتاقاً تكلف فوق ما   فى وسعه لسعى اليك المنبر

فرجعت إلى دارى وأتيته ، وقلت : قدقلت فيك أحسن مما قاله البحترى فى المتوكل ، فقال ، هات ، فأنشدته :

ولو أن برد المصطفى إذ لبسته   يظن لظن البرد أنك صاحبه

فقال : ارجع إلى منزلك ، فافعل ما آمرك به ، فرجعت فبعث إلى سبعة آلاف دينار ، وقال : ادخرهذا للحوادث بعدى ، ولك على الجراية والكفاية ما دمت حياً ، وباق الترجمة كما ذكره ياقوت فى معجمه .

وله ترجمة أخرى فى تاريخ الاسلام صفحة ١٦٣ قال :

هو أبو بكر ، صاحب التصانيف ، سمع عبدالله بن صالح العجلى وغيره . وجالس المتوكل ونادمه ، وروى عنه كثيرون ، قال عبدالله بن أحمد ، بن أبى طاهر البلاذرى : بغدادى شاعر —

(١) أى أرى بعيداً

(٢) فى الاصل : الذى فى مكتبة اكسفورد : « ابن عمر »

ابْنَ سُعيدٍ ، وَبِحِمْصَ مُحَمَّدَ بْنَ مُصَفًى ، وَبِأَنْطَاكِيَةَ مُحَمَّدَ
ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمنِ بْنِ سَهْمٍ ، وَأَحْمَدَ بْنَ مُرْدٍ الأَنْطَاكِيِّ ،
وَبِالْعِرَاقِ عَفَّانَ بْنَ مُسْلِمٍ ، وَعَبْدَ الأَعْلَى بْنَ حَمَّادٍ ، وَعَلِيَّ
ابْنَ الْمَدِينِيِّ ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ صَالِحٍ الْعِجْلِيَّ ، وَمُصْعَبًا الزُّبَيْرِيَّ ،
وَأَبَا عُبَيْدٍ الْقَاسِمَ بْنَ سَلَّامٍ ، وَعُثْمَانَ بْنَ أَبِي شَيْبَةَ ،
وَأَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ الْمَدَائِنِيَّ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ سَعْدٍ كَاتِبَ
الْوَاقِدِيِّ ، وَذَكَرَ جَمَاعَةً قَالَ : وَرَوَى عَنْهُ يَحْيَى بْنُ النَّدِيمِ ،
وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمَّارٍ ، وَأَبُو يُوسُفَ ، يَعْقُوبُ بْنُ
نُعَيْمٍ قَرْقَارَةَ الأَرْزَنِيُّ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ : كَانَ

—راوية ، أحد البلغاء ، كان جده جابر يكتب للخطيب بمصر ، وله كتب جياد ، وهو صاحب كتاب البلدان ، صنفه وأحسن تصنيفه . وحكى المرزبانى : أن أبا الحسن البلاذرى وسوس فى آخر عمره ، لأنه شرب البلاذر فأفسد عقله ، وله فى المأمون مدائح ، وذكر محمد بن إسحاق النديم : أنه شرب البلاذر على غير معرفة ، فلحقه ما لحقه ، وشد فى المارستان ومات فيه .

فقال عبد الله بن عدى الحافظ ، أخبرنا محمد بن خلف ، أخبرنى أحمد بن يحيى البلاذرى قال : قال لى محمود الوراق : قل من الشعر ما يبقى لك ذكره ، ويزول عنك إثمه ، فقال شعراً مذكوراً فى ترجمته ، التى أوردها له ياقوت .

وترجم له أيضاً فى كتاب الفهرست صفحة ١١٣

وترجم له أيضاً فى كتاب الاعلام جزء أول صفحة ٨٥

جَدُّهُ جَابِرٌ ، يَكْتُبُ لِلْخَصِيبِ صَاحِبِ مِصْرَ ، وَكَانَ شَاعِراً ، رَاوِيَةً ، وَوَسْوَسَ (١) آخِرَ أَيَّامِهِ فَشُدَّ بِالْمَارِسْتَانِ (٢) ، وَمَاتَ فِيهِ ، وَكَانَ سَبَبُ وَسْوَسَتِهِ ، أَنَّهُ شَرِبَ ثَمَرَ الْبَلَاذُرِ (٣) عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ ، فَلَحِقَهُ مَا لَحِقَهُ . وَقَالَ الْجَهْشِيَارِيُّ فِي كِتَابِ الْوُزَرَاءِ : جَابِرُ بْنُ دَاوُودَ الْبَلَاذُرِيُّ ، كَانَ يَكْتُبُ لِلْخَصِيبِ بِمِصْرَ ، هَكَذَا ذَكَرَ . وَلَا أَدْرِى أَيُّهُمَا شَرِبَ الْبَلَاذُرَ ؟ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ، أَوْ جَابِرُ بْنُ دَاوُدَ ؟ إِلَّا أَنَّ مَا ذَكَرَهُ الْجَهْشِيَارِيُّ ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الَّذِى شَرِبَ الْبَلَاذُرَ ، هُوَ جَدُّهُ ، لِأَنَّهُ قَالَ : جَابِرُ بْنُ دَاوُدَ ، وَلَعَلَّ ابْنَ ابْنِهِ ، لَمْ يَكُنْ حِينَئِذٍ مَوْجُوداً ، وَاللهُ أَعْلَمُ . وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ جَابِرٍ ، عَالِماً فَاضِلاً ، شَاعِراً ، رَاوِيَةً نَسَّابَةً ، مُتْقِناً ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ ، كَثِيرَ الْهِجَاءِ ، بَذِىءَ (٤) اللِّسَانِ ، أَخَذَ الْأَعْرَاضَ ، وَتَنَاوَلَ وَهْبَ بْنَ سُلَيْمَانَ ، بْنِ وَهْبٍ ، لَمَّا ضَرَطَ فَمَزَّقَهُ ، فَمِنْ قَوْلِهِ

---

(١) أى اختلط عقله وجن

(٢) فى الفهرست ص ١١٣ « فى البيمارستان »

(٣) البلاذر : نبات ثمره شبيه بنوى التمر ، ولبه مثل لب الجوز ، وقشره متخلخل ، قيل يقوى الحفظ ، ولكن الاكثار منه ، يؤدى الى الجنون وهو بضم الذال ا . ه ملخصا من محيط المحيط « منصور »

(٤) بذىء اللسان : قبيحه كناية عن السفيه

فِيهِ ، وَكَانَتِ الضَّرْطَةُ بِحَضْرَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَحْيَى ، بْنِ خَاقَانَ :

أَيَا ضَرْطَةً حُسِبَتْ رِعْدَةْ
تَنَوَّقَ (١) فِي سَلِّهَا جُهْدَهْ

تَقَدَّمَ وَهْبٌ بِهَا سَابِقًا
وَصَلَّى (٢) أَخُو صَاعِدٍ بَعْدَهْ

لَقَدْ هَتَكَ اللهُ سِتْرَيْهِمَا
كَذَا (٣) كُلُّ مَنْ يُطْعِمُ الْفَهْدَهْ

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ، بْنِ جَابِرٍ ، يَهْجُو عَافِيَةَ بْنَ شَيْبٍ :

مَنْ رَآهُ فَقَدْ رَأَى عَرَبِيًّا مُدَلَّسَا
لَيْسَ يَدْرِي جَلِيسُهُ أَفَسَا أَمْ تَنَفَّسَا ؟

وَحَدَّثَ عَلِيُّ بْنُ هَارُونَ ، بْنِ الْمُنَجِّمِ فِي أَمَالِيهِ عَنْ عَمِّهِ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْبَلَاذُرِيُّ قَالَ : لَمَّا أَمَرَ الْمُتَوَكِّلُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْعَبَّاسِ الصُّولِيَّ ، أَنْ يَكْتُبَ فِيمَا

(١) تنوق : تأنق (٢) المصلى فى السباق : من يأتى سابقاً بعد السابق الاول « الذى يسمى المجلى » « عبد الخالق » (٣) الفهدة : الاست

كَانَ أَمَرَ بِهِ مِنْ تَأْخِيرِ الْخَرَاجِ ، حَتَّى يَقَعَ فِى الْخَامِسِ مِنْ حَزِيرَانَ (١) ، وَيَقَعَ اسْتِفْتَاحُ الْخَرَاجِ فِيهِ ، كَتَبَ فِى ذَلِكَ كِتَابَهُ الْمَعْرُوفَ ، وَأَحْسَنَ فِيهِ غَايَةَ الْإِحْسَانِ ، فَدَخَلَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ يَحْيَى عَلَى الْمُتَوَكِّلِ ، فَعَرَّفَهُ حُضُورَ إِبْرَاهِيمَ ابْنَ الْعَبَّاسِ ، وَإِحْضَارَهُ الْكِتَابَ مَعَهُ ، فَأَمَرَ بِالْإِذْنِ لَهُ فَدَخَلَ ، وَأَمَرَهُ بِقِرَاءَةِ الْكِتَابِ ، فَقَرَأَهُ ، وَاسْتَحْسَنَهُ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ يَحْيَى ، وَكُلٌّ مَنْ حَضَرَ ، قَالَ الْبَلَاذُرِيُّ : فَدَخَلَنِى حَسَدٌ لَهُ ، فَقُلْتُ : فِيهِ خَطَأٌ ، قَالَ : فَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ : فِى هَذَا الْكِتَابِ الَّذِى قَرَأَهُ عَلَىَّ إِبْرَاهِيمُ خَطَأٌ ؟ قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : يَاعُبَيْدَ اللهِ ، وَقَفْتَ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : لَا ، وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَاوَقَفْتُ فِيهِ عَلَى خَطَأٍ ، قَالَ : فَأَقْبَلَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ عَلَى الْكِتَابِ يَتَدَبَّرُهُ ، فَلَمْ يَرَ فِيهِ شَيْئًا ، فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : الْخَطَأُ لَايَعْرَى (٢) مِنْهُ النَّاسُ ، وَتَدَبَّرْتُ الْكِتَابَ ، خَوْفًا مِنْ أَكُونَ قَدْ أَغْفَلْتُ شَيْئًا وَقَفَ عَلَيْهِ

(١) الشهر السادس من السنة الشمسية
(٢) أى لا يخلو منه الانسان

أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ، فَلَمْ أَرَ مَا أَنْكَرَهُ ، فَلْيُعَرِّفْنَا مَوْضِعَ الْخَطَإِ ، قَالَ : فَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ : قُلْ لَنَا مَاهُوَ هَذَا الْخَطَأُ الَّذِي وَقَفْتَ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْكِتَابِ ؟ قَالَ : فَقُلْتُ هُوَ شَيْءٌ لَايَعْرِفُهُ إِلَّا عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الْمُنَجِّمُ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَرَّخَ الشَّهْرَ الرُّومِيَّ بِاللَّيَالِي ، وَأَيَّامُ الرُّومِ قَبْلَ لَيَالِيهَا ، فَهِيَ لَاتُؤَرَّخُ بِاللَّيَالِي ، وَإِنَّمَا يُؤَرَّخُ بِاللَّيَالِي[1] الْأَشْهُرُ الْعَرَبِيَّةُ ، لِأَنَّ لَيَالِيَهَا قَبْلَ أَيَّامِهَا بِسَبَبِ الْأَهِلَّةِ ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : يَاأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذَا مَالَاعِلْمَ لِي بِهِ ، وَلَا أَدَّعِي فِيهِ مَايَدَّعِي ، قَالَ : فَغَيَّرَ تَارِيخَهُ . قَالَ الْجَهْشَيَارِيُّ : وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْبَلَاذُرِيُّ فِي عُبَيْدِ اللهِ بْنِ يَحْيَى ، وَقَدْ صَارَ إِلَى بَابِهِ فَحَجَبَهُ :

قَالُوا : اصْطِبَارُكَ لِلْحِجَابِ مَذَلَّةٌ
عَارٌ عَلَيْكَ بِهِ الزَّمَانُ وَعَابُ[2]
فَأَجَبْتُهُمْ : وَلِكُلِّ قَوْلٍ صَادِقٍ
أَوْ كَاذِبٍ عِنْدَ الْمَقَالِ جَوَابُ

---

(١) عبارة الاصل : « وإنما يؤرخ بالليالى إلى العرب ، لان لياليها الخ » وهذه عبارة ركيكة ، فضلا عن حذف ونقص فيها ، فأصلحناها إلى ما ذكر « منصور »

(٢) العاب : العيب والنقص

إِنِّى لَأَغْتَفِرُ الْحِجَابَ لِمَاجِدٍ
أَمْسَتْ لَهُ مِنَنٌ عَلَيَّ رِغَابُ
قَدْ يَرْفَعُ الْمَرْءُ اللَّئِيمُ حِجَابَهُ
ضَعَةً وَدُونَ الْعُرْفِ (١) مِنْهُ حِجَابُ

وَحَدَّثَ الْجَهْشِيَارِىُّ قَالَ : حَدَّثَنِى ابْنُ أَبِى الْعَلَاءِ الْكَاتِبُ ، قَالَ : حَدَّثَنِى أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ جَابِرٍ الْبَلَاذُرِىُّ قَالَ : دَخَلْتُ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ صَالِحِ بْنِ شِيرَزَادَ ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ رُقْعَةً لِى فِيهَا حَاجَةٌ ، فَتَشَاغَلَ عَنِّى فَقُلْتُ :

تَقَدَّمَ وَهْبٌ سَابِقًا بِضُرَاطِهِ
وَصَلَّى الْفَتَى عَبْدُونَ وَالنَّاسُ حُضَّرُ
وَإِنِّى أَرَى مِنْ بَعْدِ ذَاكَ وَقَبْلَهُ
بُطُونًا لِنَاسٍ آخَرِينَ تُقَرْقِرُ (٢)

فَقَالَ يَا أَبَا الْحَسَنِ : بَطْنُ مَنْ ؟ فَقُلْتُ : بَطْنُ مَنْ لَمْ يَقْضِ حَاجَتِى ، فَأَخَذَ الرُّقْعَةَ ، وَوَقَّعَ فِيهَا بِمَا أَرَدْتُ . وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى : يَهْجُو صَاعِدًا وَزِيرَ الْمُعْتَمِدِ :

---

(١) أى المعروف ، وما تبذله أو تعطيه (٢) أى تصوت جوعا

أَصَاعِدُ قَدْ مَلأْتَ الأَرْضَ جَوْراً
وَقَدْ سُسْتَ الأُمُورَ بِغَيْرِ لُبٍّ
وَسَامَيْتَ الرِّجَالَ وَأَنْتَ وَغْدٌ
لَئِيمُ الجَدِّ ذُو عِيٍّ وَعَيْبِ
أَضَلُّ عَنِ المَكَارِمِ مِنْ «دَلِيلٍ»
وَأَكْذَبُ مِنْ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبِ
وَقَدْ خَبَّرْتُ أَنَّكَ حَارَنِيٌّ
فَرَدَّ مَقَالَتِي أَوْلَادُ كَعْبِ

قُلْتُ: أَمَّا سُلَيْمَانُ بْنُ وَهْبٍ فَمَعْرُوفٌ، وَأَمَّا دَلِيلٌ: فَهُوَ دَلِيلُ بْنُ يَعْقُوبَ النَّصْرَانِيُّ، أَحَدُ وُجُوهِ الكُتَّابِ، كَانَ يَكْتُبُ لِبُغَا التُّرْكِيِّ، ثُمَّ تَوَكَّلَ لِلْمُتَوَكِّلِ عَلَى خَاصَّتِهِ.

وَحَدَّثَ أَبُو القَاسِمِ الشَّافِعِيُّ، فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ بِإِسْنَادِهِ قَالَ: قَالَ أَحْمَدُ بْنُ جَابِرٍ البَلَاذُرِيُّ: قَالَ لِي مَحْمُودٌ الوَرَّاقُ: قُلْ مِنَ الشِّعْرِ مَا يَبْقَى ذِكْرُهُ، وَيَزُولُ عَنْكَ إِثْمُهُ، فَقُلْتُ:

إِسْتَعِدِّى يَانَفْسُ لِلْمَوْتِ وَاسْعَىْ
لِنَجَاةٍ فَالْحَازِمُ الْمُسْتَعِدُّ
قَدْ تَبَيَّنْتِ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْحَيْ
يِ خُلُودٌ وَلَا مِنَ الْمَوْتِ بُدُّ
إِنَّمَا أَنْتِ مُسْتَعِيرَةٌ مَاسَوْ
فَ تَرُدِّينَ وَالْعَوَارِي تُرَدُّ
أَنْتِ تَسْهِينَ وَالْحَوَادِثُ لَاتَسْ
هُو ، وَتَلْهِينَ وَالْمَنَايَا تَجِدُّ
لَاتُرَجِّى الْبَقَاءَ فِي مَعْدِنِ الْمَوْ
تِ وَدَارٍ حُقُوقُهَا لَكِ وِرْدُ
أَىُّ مُلْكٍ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَىُّ حَظٍّ
لِامْرِئٍ حَظُّهُ مِنَ الْأَرْضِ لَحْدُ ؟؟
كَيْفَ يَهْوَى امْرُؤٌ لَذَاذَةَ(١) أَيَّا
مٍ عَلَيْهِ الْأَنْفَاسُ فِيهَا تُعَدُّ

(١) وفي الأصل الذي في مكتبة اكسفورد : لذاذه

وَمِنْ شِعْرِ الْبَلاذُرِيِّ ، الَّذِي رَوَاهُ الْمَرْزُبَانِيُّ فِي مُعْجَمِ الشُّعَرَاءِ :

يَامَنْ رَوَى أَدَبًا وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ
فَيَكُفَّ عَادِيَةَ الْهَوَى بِأَدِيبِ
وَلَقَلَّمَا تُجْدِي إِصَابَةُ صَائِبٍ
أَعْمَالُهُ أَعْمَالُ غَيْرِ مُصِيبِ
حَتَّى يَكُونَ بِمَا تَعَلَّمَ عَامِلًا
مِنْ صَالِحٍ فَيَكُونَ غَيْرَ مَعِيبِ

قَالَ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي كِتَابِهِ : وَبَلَغَنِي أَنَّ الْبَلاذُرِيَّ كَانَ أَدِيبًا ، رَاوِيَةً ، لَهُ كُتُبٌ جِيَادٌ ، وَمَدَحَ الْمَأْمُونَ بِمَدَائِحَ ، وَجَالَسَ الْمُتَوَكِّلَ ، وَمَاتَ فِي أَيَّامِ الْمُعْتَمِدِ ، وَوَسْوَسَ فِي آخِرِ عُمْرِهِ . قَالَ الْمُؤَلِّفُ : هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ ، مِنْ كَلامِ الْمَرْزُبَانِيِّ فِي مُعْجَمِ الشُّعَرَاءِ بِعَيْنِهِ . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ : وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ الْبُلْدَانِ الصَّغِيرُ ، كِتَابُ الْبُلْدَانِ الْكَبِيرُ لَمْ يَتِمَّ ، كِتَابُ جُمَلِ نَسَبِ

الْأَشْرَافِ ، وَهُوَ كِتَابُهُ الْمَعْرُوفُ الْمَشْهُورُ ، كِتَابُ عَهْدِ أَرْدَشِيرَ ، تَرْجَمَهُ بِشِعْرٍ . قَالَ : وَكَانَ أَحَدَ النَّقَلَةِ [1] مِنَ الْفَارِسِيَّةِ إِلَى الْعَرَبِيِّ ، كِتَابُ الْفُتُوحِ . وَحَدَّثَ الصُّولِيُّ فِي كِتَابِ الْوُزَرَاءِ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّالَقَانِيُّ قَالَ : قَالَ لِي أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْبَلَاذُرِيُّ : كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ يَحْيَى ، بْنِ خَاقَانَ حُرْمَةٌ ، مُنْذُ أَيَّامِ الْمُتَوَكِّلِ ، وَمَا كُنْتُ أُكَلِّفُهُ حَاجَةً لِاسْتِغْنَائِي عَنْهُ ، فَنَالَتْنِي فِي أَيَّامِ الْمُعْتَمِدِ عَلَى اللهِ إِضَاقَةٌ [2] ، فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ لِلْمَظَالِمِ ، فَشَكَوْتُ تَأَخُّرَ رِزْقِي ، وَثِقَلَ دَيْنِي ، وَقُلْتُ : إِنَّ عَيْبًا عَلَى الْوَزِيرِ — أَعَزَّهُ اللهُ — حَاجَةُ مِثْلِي فِي أَيَّامِهِ ، وَغَضَّ طَرْفَهُ عَنِّي ، فَوَقَّعَ لِي بِبَعْضِ مَا أَرَدْتُ ، وَقَالَ : أَيْنَ حَيَاؤُكَ الْمَانِعُ لَكَ مِنَ الشَّكْوَى عَلَى الِاسْتِبْطَاءِ ؟ فَقُلْتُ : غَرْسُ الْبَلْوَى ، يُثْمِرُ ثَمَرَ الشَّكْوَى ، وَانْصَرَفْتُ ، وَكَتَبْتُ إِلَيْهِ :

(١) أي المترجمين من لغة إلى لغة

(٢) مصدر ، من أضاق الرجل : إذا ضاق عليه معاشه وافتقر

لَحَانِي (١) الْوَزِيرُ الْمُرْتَضَى فِي شِكَايَتِي
زَمَانًا أُحِلَّتْ لِلْجُدُوبِ مَحَارِمُهْ

وَقَالَ: لَقَدْ جَاهَرْتَنِي بِمَلَامَةٍ
وَمَنْ لِي بِدَهْرٍ كُنْتُ فِيهِ أُكَاتِمُهْ

فَقُلْتُ: حَيَاءُ الْمَرْءِ ذِي الدِّينِ وَالتُّقَى
يَقِلُّ إِذَا قَلَّتْ لَدَيْهِ دَرَاهِمُهْ

وَحَدَّثَ الصُّولِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ: أَنَّ الْبَلَاذُرِيَّ امْتَدَحَ أَبَا الصَّقْرِ، إِسْمَاعِيلَ بْنَ بُلْبُلٍ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابًا حَسَنًا، وَسَأَلَهُ أَنْ يُطْلِقَ لَهُ شَيْئًا مِنْ أَرْزَاقِهِ، فَوَعَدَهُ فَلَمْ يَفْعَلْ، فَقَالَ:

تَجَانَفَ (٢) إِسْمَاعِيلُ عَنِّي بِوُدِّهِ
وَمَلَّ إِخَائِي وَاللَّئِيمُ مَلُولُ

وَإِنَّ امْرَءًا يَغْشَى (٣) أَبَا الصَّقْرِ رَاغِبًا
إِلَيْهِ وَمُغْتَرًّا بِهِ لَذَلِيلُ

(١) أي لامني وعابني
(٢) أي مال إعراضاً، ومل: سئم، وملول صيغة مبالغة من مل: أي كثير السآمة
(٣) أي يأتيه، أو يزوره

وَقَدْ عَلِمَتْ شَيْبَانُ أَنْ لَسْتَ مِنْهُمُ
فَمَا ذَا (١) الَّذِى إِنْ أَنْكَرُوكَ تَقُولُ ؟
وَلَوْ كَانَتِ الدَّعْوَى تُثَبَّتُ بِالرُّشَا (٢)
لَثَبَّتَ دَعْوَاكَ الَّذِينَ تُنِيلُ (٣)
وَلَـٰكِنَّهُمْ قَالُوا مَقَالًا فَكُذِّبُوا
وَجَاءُوا بِأَمْرٍ مَا عَلَيْهِ دَلِيلُ

وَلَهُ فِيمَا أَوْرَدَهُ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ :

لَمَّا رَأَيْتُكَ زَاهِيًا وَرَأَيْتَنِي أُجْفَى (٤) بِبَابِكْ
عَدَّيْتُ رَأْسَ مَطِيَّتِي وَحَجَبْتُ نَفْسِي عَنْ حِجَابِكْ

﴿ ٢٧ — أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ، بْنِ يَسَارٍ ، أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٌ * ﴾

أحمد بن يحيى ثعلب

الشَّيْبَانِيُّ ، مَوْلَاهُمُ النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ ، إِمَامُ الْكُوفِيِّينَ

(١) يظهر أن كلمة « ذا » سقطت من بعد ما الاستفهامية ، وكانت فى الاصل : فما الذى
(٢) جمع رشوة : وهي ما يعطى لإبطال حق : أو إحقاق باطل
(٣) أى تعطيهم (٤) أى أبعد وأطرد
(*) ترجم له فى كتاب نزهة الالباء ، فى طبقات الادباء ، ص ٢٩٣ قال :
كان إمام الكوفيين فى النحو واللغة فى زمانه ، أخذ عن محمد بن زياد الأعرابى ، وعلى بن المغيرة الأثرم ، وسلمة بن عاصم ، ومحمد بن سلام الجمحى والزبير بن بكار ، وأبى الحسن ، أحمد بن إبراهيم ، وأخذ عنه أبو الحسن على —

فِي النَّحْوِ، وَاللُّغَةِ، وَالثِّقَةِ، وَالدِّيَانَةِ. وُلِدَ فِيمَا ذَكَرَهُ الْمَرْزُبَانِيُّ عَنْ مَشَايِخِهِ، سَنَةَ مِائَتَيْنِ، وَمَاتَ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ

— ابن سليمان الاخفش ، وابن عرفة ، وابن الانبارى ، وأبو عمر الزاهد ، وأبو موسى الحامض ، وابراهيم الحربى ، وكان ثقة ، دينا ، مشهوراً بصدق اللهجة ، والمعرفة بالغريب ، ورواية الشعر القديم ، مقدما بذ الشيوخ ، وهو حدث ، ويروى : أن ابن الاعرابى كان يقول له : ما تقول فى هذا يا أبا العباس ؟ ثقة بعلمه وحفظه . ولد سنة مائتين ، وكان يقول : مات الكرخى معروف سنة مائتين ، وفيها ولدت ، وطلبت العربية سنة ست عشرة ومائتين ، وابتدأت بالنظر فى حدود الفراء ، ولى ثمانى عشرة سنة ، وبلغت خمساً وعشرين سنة ، وما بقى على للفراء مسألة ، إلا وأنا أحفظها ، وأضبط موضعها من الكتاب ، ولم يبق من كتب الفراء فى هذا الوقت شيء ، إلا وأنا قد حفظته .

وقال أبو بكر بن محمد التاريخى : أحمد بن يحيى ثعلب ، أصدق أهل العربية لساناً ، وأعظمهم شأناً ، وأبعدهم ذكراً ، وأرفعهم قدراً ، وأوضحهم علماً ، وأرفعهم مقاما ، وأثبتهم حفظاً ، وأوفرهم حظاً ، فى الدين والدنيا .

وقال المبرد : أعلم الكوفيين ثعلب ، فذكر له الفراء فقال : ولا يعشره .

وقال على بن جمعة بن زهير : سمعت أبى يقول : لا يرد عرصات القيامة أحد أعلم من أبى العباس ثعلب ، وحكى ثعلب عن عمارة بن عقيل ، أنه كان يقرأ « ولا الليل سابق النهار » بنصب النهار ، فقال : ما أردت ؟ فقال : أردت سابق النهار يعنى بالتنوين ، فقال له : فهلا قلته ؟ فقال : لو قلته لكان أوزن أى أقوى . ويحكى عنه أيضا أنه قال فى قول الشاعر :

وما كنت أخشى الدهر أحلاس مسلم   من الناس دينا جاءه وهو مسلما

معناه : وما كنت أخشى الدهر أحلاس مسلم : مسلماً جاءه وهو . ولو كان وكد الضمير لكان أحسن . وكذلك حكى أبو العباس ثعلب عن العرب : راكب الناقة طليحان وتقديره : راكب الناقة ، والناقة طليحان ، إلا أنه حذف المعطوف لتقدم ذكر الناقة ، والشيء إذا تقدم ، دل على ماهو مثله ، ويحكى عنه أيضاً أنه قال فى قوله :

يرد طيخاً وهديراً زغدبا « أنه من زغد زغداً » إذا هدر هديراً شديداً من قولهم زغد عكته ، إذا عصرها ، ليخرج سمنها ، فجعل الباء زائدة ، —

مِنْ جُمَادَى الْأُولَى، سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ، فِي خِلَافَةِ الْمُكْتَفِي بْنِ الْمُعْتَضِدِ، وَقَدْ بَلَغَ تِسْعِينَ سَنَةً وَأَشْهُراً، وَكَانَ

— وهذا بعيد جداً ، وإنما هو من الاصلين المتداخلين ، الثلاثى والرباعى ، كسبط وسبطر ، ودمث ودمثر ، ولا خلاف أن الزاى ليست زائدة ، لانها ليست من الحروف الزائدة ، ويحكى عنه أيضاً أنه قال : الطيخ : الفساد . وهو من تواطخ القوم ، وهذا معدود أيضاً من سقطات العلماء . وقال أبو بكر بن مجاهد ، كنت عند أبى العباس ثعلب فقال : يا أبا بكر : اشتغل أهل القرآن بالقرآن ففازوا ، واشتغل أهل الحديث بالحديث ففازوا ، واشتغل أهل الفقه بالفقه ففازوا ، واشتغلت أنا بزيد وعمرو ، فليت شعرى ، ماذا يكون حالى فى الآخرة : فانصرفت من عنده تلك الليلة ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال :

« أقرىء أبا العباس عنى السلام ، وقل له : أنت صاحب العلم المستطيل » قال أبو عبد الله الروزبارى ، أراد أن الكلام به يكمل ، والخطاب به يجمل ، وروى عنه أيضاً أنه قال : أراد أن جميع العلوم مفتقرة اليه .

وتوفى ثعلب ليلة السبت ، لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة ، سنة إحدى وتسعين ومائتين ، فى خلافة المكتفى أبى محمد على بن المعتضد ، ودفن بمقبرة باب الشام ببغداد والله أعلم .

وترجم له فى كتاب تاريخ آداب اللغة العربية ج ثان ص ١٨٠ قال :

هو مولى بنى شيبان ، ويعرف بثعلب ، ولد سنة مائتين ، وتلقى العلم على ابن الاعرابى ، وكان حجة مشهوراً بالحفظ ، وصدق اللهجة ، والمعرفة بالعربية ، ورواية الشعر القديم ، فضلا عن النحو واللغة ، وكان إمام الكوفيين والبصريين فى زمانه ، أقام فى بغداد ، وتوفى فيها سنة إحدى وتسعين ومائتين ، وألف فى أكثر فنون الادب ، نحو اثنين وعشرين كتاباً ، ذهب معظمها ، واليك ما وصل الينا خبره منها :

(١) كتاب الفصيح : ويعرف بفصيح ثعلب ، اختار فيه الفصيح من كلام العرب ، مما يجرى فى كلام الناس ، طبع ليبسك سنة ست وسبعين وثمانمائة بعد الالف ، فى نحو سبعين صفحة ، وقد ألف انتقاداً عليه ، أبو القاسم على بن حمزة البصرى ، سماه كتاب التنبيه ، على ما فى الفصيح من الغلط ، —

رَأَى أَحَدَ عَشَرَ خَلِيفَةً ، أَوَّلُهُمُ الْمَأْمُونُ ، وَآخِرُهُمُ الْمُكْتَفِي ، وَكَانَ قَدْ ثَقُلَ سَمْعُهُ قَبْلَ مَوْتِهِ ، وَدُفِنَ فِي مَقَابِرِ بَابِ الشَّامِ ، فِي حُجْرَةٍ اشْتُرِيَتْ لَهُ ، وَبُنِيَتْ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَقَبْرُهُ هُنَاكَ مَعْرُوفٌ ، وَرُدَّ مَالُهُ عَلَى ابْنَتِهِ ، وَكَانَ خَلَّفَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ

— منه نسخة خطية فى الاسكوريال ، والشيخ أبى سهل الهروى : شرح على الفصيح ، سماه التلويح ، فى شرح الفصيح ، طبع بمصر سنة تسع وثمانين ومائتين بعد الالف ، ومعه ذيل على الفصيح ، لموفق الدين البغدادى ، المتوفى سنة تسع وعشرين وستمائة ، وشرحه أيضاً أبو العباس الترمذى شرحا سماه : شرح غريب الفصيح ، منه نسخة خطية فى مكتبة نور عثمانية بالاستانة ، وقد كتب الزجاج نقداً عليه ، منه نسخة فى كتب الشنقيطى بالمكتبة الخديوية

(٢) كتاب قواعد الشعر : جاء فى أوله : إن قواعد الشعر أربع ، أمر ونهى ، وخبر ، واستخبار ، وأتى بأمثلة عليها . من أقوال الشعراء الفحول ، منه نسخة خطية فى الفاتيكان ، وقد طبع فى ليدن سنة تسعين وثمانمائة بعد الالف ، فى اثنتين وأربعين صفحة .

(٣) شرح ديوان زهير : منه نسخة خطية فى مكتبة الأسكوريال

(٤) شرح ديوان الاعشى ، فى تلك المكتبة أيضاً

(٥) كتاب الأمالى ، ذكره صاحب المزهر ، وخزانة الأدب ، منه نسخة خطية فى مكتبة برلين ، وفى المكتبه الخديوية نسخة منه باسم « مجالس ثعلب » فى ثنتين وثلاثين ومائة ورقة .

وترجم له أيضاً فى كتاب الاعلام ج أول ص ٨٤ قال :

هو إمام الكوفيين فى النحو واللغة ، كان راوية للشعر ، ثقة ، حجة ، ولد ومات فى بغداد ، وأصيب فى آخر أيامه بصمم ، فصدمته فرس فسقط فى هوة ، فمات على الاثر . ومن كتبه : ما تلحن فيه العامة . وما بقى من كتبه ذكره ياقوت

وترجم له أيضاً فى كتاب طبقات المفسرين صفحة ٤١

وترجم له أيضاً فى كتاب غاية النهاية ص ٤٥

وراجع بغية الوعاة ص ١٧٢

أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَأَلْفَىْ دِينَارٍ ، وَدَكَاكِينَ بِبَابِ الشَّامِ ، قِيمَتُهَا ثَلَاثَةُ آلَافِ دِينَارٍ ، وَضَاعَ لَهُ قِبَلَ أَحْمَدَ الصَّيْرَفِيِّ أَلْفُ دِينَارٍ ، وَكَانَ يَتَّجِرُ لَهُ بِهَا ، ذَكَرَ ذَلِكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحُسَيْنِ الْقُطْرُبُلِّيُّ فِي تَارِيخِهِ :

حَدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ ، عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ ، مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ الطَّاهِرِيِّ ، وَكَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٌ ، يُؤَدِّبُ أَبَاهُ طَاهِرَ ابْنَ مُحَمَّدٍ ، بْنِ عَبْدِ اللهِ ، بْنِ طَاهِرٍ ، قَالَ : كَانَ سَبَبُ وَفَاةِ أَبِي الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٍ ، أَنَّهُ كَانَ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ قَدِ انْصَرَفَ مِنَ الْجَامِعِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ ، وَكَانَ يَتْبَعُهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ ، أَنَا أَحَدُهُمْ ، فَتَبِعْنَاهُ فِي تِلْكَ الْعَشِيَّةِ ، إِلَى أَنْ صِرْنَا إِلَى دَرْبٍ قَدْ أُسَمِّيهِ بِنَاحِيَةِ بَابِ الشَّامِ ، وَاتَّفَقَ أَنَّ ابْنًا لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ الْمَادَرَائِيِّ ، يَسِيرُ مِنْ وَرَائِنَا عَلَى دَابَّةٍ ، وَخَلْفَهُ خَادِمٌ لَهُ عَلَى دَابَّةٍ ، قَدْ قَاقَ وَاضْطَرَبَ ، وَكَانَ فِي تِلْكَ الْعَشِيَّةِ بِيَدِهِ دَفْتَرٌ يَنْظُرُ فِيهِ ، وَقَدْ شَغَلَهُ عَمَّا سِوَاهُ ، فَلَمَّا سَمِعْنَا صَوْتَ حَوَافِرِ[1] الدَّوَابِّ

(١) فى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد : « حافر »

خَلْفَنَا ، تَأَخَّرْنَا عَنْ جَادَّةِ [١] الطَّرِيقِ ، وَلَمْ يَسْمَعْ أَبُو [٢] الْعَبَّاسِ لِصَمَمِهِ صَوْتَ الْحَوَافِرِ ، فَصَدَمَتْهُ دَابَّةُ الْخَادِمِ ، فَسَقَطَ عَلَى رَأْسِهِ فِي هُوَّةٍ مِنَ الطَّرِيقِ ، أُخِذَ تُرَابُهَا ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْقِيَامِ ، فَحَمَلْنَاهُ إِلَى مَنْزِلِهِ ، كَالْمُخْتَلِطِ [٣] يَتَأَوَّهُ مِنْ رَأْسِهِ ، وَكَانَ سَبَبَ وَفَاتِهِ — رَحِمَهُ اللهُ — .

وَحَدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَرُوضِيِّ قَالَ : إِنَّمَا فَضَلَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَهْلَ عَصْرِهِ ، بِالْحِفْظِ لِلْعُلُومِ الَّتِي يَضِيقُ عَنْهَا الصُّدُورُ ، وَقَدْ كَانَ أَبُو سَعِيدٍ السُّكَّرِيُّ كَثِيرَ الْكُتُبِ [٤] جِدًّا ، فَكَتَبَ بِيَدِهِ مَا لَمْ يَكْتُبْهُ أَحَدٌ ، فَكَانَا فِي الطَّرَفَيْنِ ، لِأَنَّ أَبَا سَعِيدٍ ، كَانَ غَيْرَ مُفَارِقٍ لِلْكِتَابِ عِنْدَ مُلَاقَاةِ الرِّجَالِ . وَأَبُو الْعَبَّاسِ لَا يَمَسُّ بِيَدِهِ كِتَابًا اتِّكَالًا عَلَى حِفْظِهِ ، وَثِقَةً بِصَفَاءِ ذِهْنِهِ . قَالَ الْخَطِيبُ : سَمِعَ « يَعْنِي ثَعْلَبًا » مُحَمَّدَ بْنَ سَلَّامٍ الْجُمَحِيَّ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ

---

(١) جادة الطريق : وسطها

(٢) كانت بالاصل : ولم يسمع أبا العباس ، والصواب ما ذكر

(٣) أي الفاسد العقل : يقال اختلط الرجل : إذا أصاب عقله فساد

(٤) أي الكتابة

زِيَادٍ الْأَعْرَابِيِّ ، وَعَلِيِّ بْنَ الْمُغِيرَةِ الْأَثْرَمِ ، وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُنْذِرِ الْحِزَامِيِّ ، وَسَلَمَةَ بْنَ عَاصِمٍ ، وَعُبَيْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيِّ ، وَالزُّبَيْرَ بْنَ بَكَّارٍ ، وَخَلْقًا كَثِيرًا . وَرَوَى عَنْهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ ، وَعَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ ، بْنِ عَرَفَةَ [١] نِفْطَوَيْهِ ، وَأَبُو بَكْرِ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ ، وَأَبُو عُمَرَ الزَّاهِدُ ، وَأَبُو الْحَسَنِ بْنُ مِقْسَمٍ ، وَأَحْمَدُ بْنُ كَامِلٍ الْقَاضِي ، وَخَلْقٌ كَثِيرٌ . وَكَانَ يَقُولُ : سَمِعْتُ مِنَ الْقَوَارِيرِيِّ مِائَةَ أَلْفِ حَدِيثٍ . قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي سَالِمٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ : نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُقْلَةَ ، قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَي : ابْتَدَأْتُ النَّظَرَ فِي الْعَرَبِيَّةِ ، وَالشِّعْرِ ، وَاللُّغَةِ ، فِي سَنَةِ سِتَّ عَشْرَةَ ، وَمَوْلِدِي سَنَةَ مِائَتَيْنِ ، فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ خِلَافَةِ الْمَأْمُونِ .

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : وَرَأَيْتُ الْمَأْمُونَ لَمَّا قَدِمَ مِنْ خُرَاسَانَ ، فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَمِائَتَيْنِ ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ بَابِ [٢] الْحَدِيدِ ، وَهُوَ

---

(١) وفى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد : « ونفطويه » وهو خطأ والصواب الاصل الذى بأيدينا ، لأن نفطويه : هو إبراهيم بن محمد ، بن عرفة ، بن سليمان ، بن المغيرة : الخ نسبه « منصور »

(٢) وفى روضات الجنات : صفحة ٥٦ « باب » وفى الاصل هذا : « بابى » وأصلحت

يُرِيدُ قَصْرَ الرُّصَافَةِ ، وَالنَّاسُ صَفَّانِ فِى الْمُصَلَّى ، قَالَ : وَكَانَ أَبِى قَدْ حَمَلَنِى عَلَى يَدِهِ ، فَلَمَّا مَرَّ الْمَأْمُونُ ، رَفَعَنِى وَقَالَ لِى : هَذَا الْمَأْمُونُ ، وَهَـذِهِ سَنَةُ أَرْبَعٍ ، فَحَفِظْتُ ذَلِكَ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ ، وَحَذِقْتُ الْعَرَبِيَّةَ ، وَحَفِظْتُ كُتُبَ الْفَرَّاءِ كُلَّهَا ، حَتَّى لَمْ يَشِذَّ(١) عَنِّى حَرْفٌ مِنْهَا ، وَلِى خَمْسٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً ، وَكُنْتُ أُعْنَى بِالنَّحْوِ ، أَكْثَرَ مِنْ عِنَايَتِى بِغَيْرِهِ ، فَلَمَّا أَتْقَنْتُهُ ، أَكْبَبْتُ عَلَى الشِّعْرِ ، وَالْمَعَانِى ، وَالْغَرِيبِ ، وَلَزِمْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ بْنَ الْأَعْرَابِىِّ ، بِضْعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَأَذْكُرُ يَوْماً وَقَدْ صَارَ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ سَلْمٍ ، وَأَنَا عِنْدَهُ وَجَمَاعَةٌ مِنْهُمُ السُّدْرِىُّ ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ ، فَأَقَامَ وَتَذَاكَرُوا شِعْرَ الشَّمَّاخِ ، وَأَخَذُوا فِى الْبَحْثِ عَنْ مَعَانِيهِ ، وَالْمَسْأَلَةِ عَنْهُ ، فَجَعَلْتُ أُجِيبُ وَلَا أَتَوَقَّفُ ، وَابْنُ الْأَعْرَابِىِّ يَسْمَعُ ، حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى مُعْظَمِ شِعْرِهِ ، فَالْتَفَتَ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ يُعَجِّبُهُ مِنِّى .

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : قُلْتُ لِابْنِ مَاسَوَيْهِ فِى عِلَّةٍ شَكَوْتُهَا

---

(١) أى لم يفلت ولم يغب

إِلَيْهِ ، مَا تَقُولُ فِي الْحَمَّامِ : فَقَالَ لِي : إِنْ تَهَيَّأَ لِإِنْسَانٍ بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، أَنْ يَكُونَ قَيِّمَ حَمَّامٍ فَلْيَفْعَلْ . قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : الَّذِي لَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ ، لِأَنَّهُ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِصِلَةٍ ، وَالْعَرَبُ لَا تَنْسُبُ إِلَّا إِلَى اسْمٍ تَامٍّ ، وَالَّذِي وَمَا بَعْدَهُ حِكَايَةٌ ، وَالْحِكَايَةُ لَا يُنْسَبُ إِلَيْهَا ، لِئَلَّا تَتَغَيَّرَ .

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : وَسُئِلَ ابْنُ قَادِمٍ عَنْهَا ، وَأَنَا غَائِبٌ بِفَارِسَ ، فَقَالَ : « اللَّذَوِيُّ » فَلَمَّا قَدِمْتُ وَسُئِلْتُ ، فَقُلْتُ : لَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ ، وَأَتَيْتُ بِهَذِهِ الْعِلَّةِ ، فَبَلَغَتْهُ ، فَلَمَّا اجْتَمَعْنَا تَجَاذَبْنَا ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى قَوْلِي . وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : كُنْتُ أَصِيرُ إِلَى الرِّيَاشِيِّ لِأَسْمَعَ مِنْهُ[1] ، وَكَانَ نَقِيَّ الْعِلْمِ ، فَقَالَ لِي يَوْمًا وَقَدْ قُرِئَ عَلَيْهِ :

مَا تَنْقِمُ الْحَرْبُ الْعَوَانُ مِنِّي
بَازِلَ[2] عَامَيْنِ حَدِيثٌ سِنِّي
لِمِثْلِ هَذَا وَلَدَتْنِي أُمِّي ؟

كَيْفَ تَقُولُ ؟ بَازِلَ أَوْ بَازِلُ ؟ فَقُلْتُ : أَتَقُولُ لِي هَذَا فِي

(١) كانت بالاصل : عنه ، فأصلحت : منه

(٢) بزل البعير : طلع نابه . والبازل من الرجال : من كل عقلا وتجربة

الْعَرَبِيَّةِ ؟ إِنَّمَا أَقْصِدُكَ لِغَيْرِ هذَا ، يُرْوَى بَازِلَ وَبَازِلُ ، الرَّفْعُ عَلَى الاِسْتِئْنَافِ ، وَالْخَفْضُ عَلَى الإِتْبَاعِ ، وَالنَّصْبُ عَلَى الْحَالِ ، فَاسْتَحْيَا وَأَمْسَكَ [١] .

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : وَدَخَلْتُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، بْنِ طَاهِرٍ ، فَإِذَا عِنْدَهُ الْمُبَرِّدُ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَكُتَّابِهِ ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى وَصَفَهُ لَهُ ، فَلَمَّا قَعَدْتُ ، قَالَ لِي مُحَمَّدُ ابْنُ عَبْدِ اللهِ : مَا تَقُولُ فِي قَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ ؟ :

لَهَا مَتْنَتَانِ خَظَاتَا كَمَا ... أَكَبَّ عَلَى سَاعِدَيْهِ النَّمِرْ

قَالَ : قُلْتُ أَمَّا غَرِيبُ الْبَيْتِ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ لَحْمٌ خَظَا يَخْظَا : إِذَا كَانَ صُلْباً مُكْتَنِزاً ، وَوَصَفَ فَرَساً [٢] ، وَقَوْلُهُ أَكَبَّ عَلَى سَاعِدَيْهِ النَّمِرِ : أَيْ فِي صَلَابَةِ سَاعِدِ النَّمِرِ ، إِذَا اعْتَمَدَ عَلَى يَدِهِ ، وَالْمَتْنُ : الطَّرِيقَةُ الْمُمْتَدَّةُ مِنْ عَنْ يَمِينِ الصُّلْبِ وَشِمَالِهِ ، وَمَا فِيهِ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّهُ خَظَاتَا ، فَلَمَّا تَحَرَّكَتِ التَّاءُ أَعَادَ الْأَلِفَ مِنْ أَجْلِ الْحَرَكَةِ وَالْفَتْحَةِ ، قَالَ : فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ ، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ : — أَعَزَّ اللهُ الْأَمِيرَ —

---

(١) أى سكت ولم يتكلم قلت : والمراد إتباع بازل للياء فى منى ، على البيان ، أو البدل ، والكلام على التجوز «عبد الخالق» (٢) الفرس : للذكر والمؤنث

إِنَّمَا أَرَادَ خطَاتا بِالْإِضَافَةِ ، أَضَافَ خطَاتا إِلَى مَا قَالَ .
فَقُلْتُ : مَا قَالَ هذَا أَحَدٌ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ : بَلَى سَيبَوَيْهِ يَقُولُ ، فَقُلْتُ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ . لَا وَاللهِ مَا قَالَ سِيبَوَيْهِ ، وَهَذَا كِتَابُهُ فَلْيُحْضَرْ ، ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، وَقُلْتُ : مَاحَاجَتُنَا إِلَى كِتَابِ سِيبَوَيْهِ ؟ أَيُقَالُ مَرَرْتُ بِالزَّيْدَيْنِ طَرِيفَيْ عَمْرٍو ، فَيُضَافُ نَعْتُ الشَّيْءِ إِلَى غَيْرِهِ ؟؟ فَقَالَ مُحَمَّدٌ لِصِحَّةِ طَبْعِهِ ، لَا وَاللهِ مَا يُقَالُ هذَا ، وَنَظَرَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ ، فَأَمْسَكَ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا ، وَقُمْتُ وَنَهَضَ الْمَجْلِسُ .
قَالَ عَبْدُ اللهِ الْفَقِيرُ إِلَيْهِ : لَا أَدْرِي ، لِمَ لَا يَجُوزُ هذَا ؟ وَمَا أَظُنُّ أَحَدًا يُنْكِرُ قَوْلَ الْقَائِلِ : رَأَيْتُ الْفَرَسَيْنِ مَرْكُوبَيْ زَيْدٍ ، وَلَا الْغُلَامَيْنِ عَبْدَيْ عَمْرٍو ، وَلَا الثَّوْبَيْنِ دُرَّاعَتَيْ زَيْدٍ ، وَمِثْلُهُ مَرَرْتُ بِالزَّيْدَيْنِ طَرِيفَيْ عَمْرٍو ، فَيَكُونُ مُضَافًا إِلَى عَمْرٍو ، وَهُوَ صِفَةٌ لِزَيْدٍ ، وَهَذَا ظَاهِرٌ لِكُلِّ مُتَأَمِّلٍ .

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : لَمَّا شَاهَدَنِي الْمَازِنِيُّ وَجَارَانِي

النَّحْوَ، وَخَرَجَ إِلَى سُرَّ مَنْ رَأَى، كَانَ يَذْكُرُنِي وَيُوجِّهُ إِلَيَّ: أَخُوكَ (١) يُقْرِئُكَ السَّلَامَ.

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: قَالَ لِي مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى، بِحَضْرَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ: نَحْنُ نُقَدِّمُكَ لِتَقْدِمَةِ الْأَمِيرِ، فَقُلْتُ لَهُ يَا شَيْخُ: إِنِّي لَمْ أَتَعَلَّمِ الْعِلْمَ لِتُقَدِّمَنِي الْأُمَرَاءُ، وَإِنَّمَا تَعَلَّمْتُهُ لِتُقَدِّمَنِي الْعُلَمَاءُ.

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى: كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، يَكْتُبُ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَاحِدَةٍ، فَإِذَا مَرَّ بِهِ أَلْفُ دِرْهَمٍ وَاحِدٍ، أَصْلَحَهُ وَاحِدَةٍ، فَكَانَ كُتَّابُهُ يُنْكِرُونَ ذَلِكَ، وَيُغْلِظُ (٢) عَلَيْهِمْ وَيَهَابُونَهُ، فَلَا يَبْتَدِئُونَهُ فِيهِ بِشَيْءٍ، فَقَالَ يَوْمًا: أَتَدْرِي لِمَ عَمِلَ الْفَرَّاءُ كِتَابَ الْبَهِيِّ؟ قُلْتُ لَا، قَالَ: لِعَبْدِ اللهِ أَبِي، بِأَمْرِ طَاهِرٍ جَدِّي، قُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ كَانَ قَدْ عَمِلَ لَهُ كُتُبًا، مِنْهَا: كِتَابُ الْمُذَكَّرِ وَالْمُؤَنَّثِ. قَالَ وَمَا فِيهِ؟ قُلْتُ مِثْلُ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَاحِدٍ، وَلَا يَجُوزُ وَاحِدَةٍ، فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ وَتَنَبَّهَ وَأَقْلَعَ (٣).

---

(١) كانت بالاصل: «أخيك» وهو خطأ عربية فأصلحناه إلى ما ذكر.

(٢) يغلظ الخ: أي يشتد عليهم ويعيبهم (٣) أي لم يعد الى ما كان منه

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : بَعَثَ إِلَيَّ عَبْدُ اللهِ ابْنُ أُخْتِ أَبِي الْوَزِيرِ، رُقْعَةً فِيهَا خَطُّ الْمُبَرِّدِ : ضَرَبْتُهُ بِلَا سَيْفٍ ، قَالَ : أَيَجُوزُ هذَا ؟ فَوَجَّهْتُ إِلَيْهِ ، لَا وَاللهِ مَا سَمِعْتُ بِهذَا ، قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : هَذَا خَطَأٌ الْبَتَّةَ (١) ، لِأَنَّ لَا التَّبْرِئَةَ لَا يَقَعُ عَلَيْهَا خَافِضٌ وَلَا غَيْرُهُ ، لِأَنَّهَا أَدَاةٌ ، وَمَا تَقَعُ أَدَاةٌ عَلَى أَدَاةٍ .

قَالَ الْعَجُوزِيُّ : صِرْتُ إِلَى الْمُبَرِّدِ مَعَ الْقَاسِمِ وَالْحَسَنِ ابْنَيْ عُبَيْدِ اللهِ ، بْنِ سُلَيْمَانَ ، بْنِ وَهْبٍ ، فَقَالَ لِيَ الْقَاسِمُ : سَلْهُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الشِّعْرِ ، فَقُلْتُ : مَا تَقُولُ — أَعَزَّكَ اللهُ — فِي قَوْلِ أَوْسٍ ؟ :

وَغَيَّرَهَا (٢) عَنْ وَصْلِهَا الشَّيْبُ أَنَّهُ
شَفِيعٌ إِلَى بِيضِ الْخُدُورِ مُدَرَّبُ

فَقَالَ بَعْدَ تَمَكُّثٍ وَتَمَهُّلٍ وَتَمَطُّقٍ : يُرِيدُ أَنَّ النِّسَاءَ أَنِسْنَ بِهِ ، فَصِرْنَ لَا يَسْتَتِرْنَ مِنْهُ ، ثُمَّ صِرْنَا إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى ، فَلَمَّا غَصَّ (٣) الْمَجْلِسُ ، سَأَلْتُهُ عَنِ الْبَيْتِ ، فَقَالَ : قَالَ لَنَا ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : إِنَّ الْهَاءَ فِي « أَنَّهُ » لِلشَّبَابِ (٤)

(١) في الأصل « بتة » فجعلتها البتة ، ثم أن المعروف أن الحرف قد يتضمن معنى الاسم ، كالكاف بمعنى مثل وإلا بمعنى غير ، فلا هنا بمعنى غير ، وهي في محل جر بالباء وبنيت تشبيهاً لها بلا الحرفية « عبد الخالق » (٢) كانت في الأصل : وعزها من فأصلحناه إلى ما ذكر لعدم ظهور المعنى (٣) غص المجلس : امتلأ

(٤) وفي الأصل الذي في مكتبة اكسفورد : « الشاب »

وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَهُ ذِكْرٌ، لِأَنَّهُ عَلِمَ، وَالْتَفَتُّ إِلَى الْحَسَنِ وَالْقَاسِمِ فَقُلْتُ: أَيْنَ صَاحِبُنَا مِنْ صَاحِبِكُمْ؟.

وَقَالَ حَمْزَةُ: لَمَّا مَاتَ الْمَازِنِيُّ، خَلَفَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ، وَبَقِيَ ذِكْرُهُ بِبَغْدَادَ، وَسَامَرَّا، لَايَغُضُّ (١) أَحَدٌ مِنْهُ، إِلَى أَنْ ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ فِي بَعْضِ مُصَنَّفَاتِهِ، وَأَرَادَ أَنْ يَضَعَ مِنْهُ، وَيَرْفَعَ مِنْ صَاحِبِهِ أَبِي الْعَبَّاسِ، أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى ثَعْلَبٍ، جَارِيًا عَلَى عَادَتِهِ فِي الْعَصَبِيَّةِ لِلْكُوفِيِّينَ عَلَى الْبَصْرِيِّينَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ يَعْنِي ثَعْلَبًا يَقُولُ: عَزَمْتُ عَلَى الْمُضِيِّ إِلَى الْمَازِنِيِّ لِأُنَاظِرَهُ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيَّ أَصْحَابُنَا وَقَالُوا: مِثْلُكَ لَايَصْلُحُ أَنْ يَمْضِيَ إِلَى بَصْرِيٍّ، فَيُقَالُ غَدًا إِنَّهُ تِلْمِيذُهُ، فَكَرِهْتُ الْخِلَافَ عَلَيْهِمْ، فَأَرَادَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ أَنْ يَرْفَعَ مِنْ ثَعْلَبٍ، فَوَضَعَ مِنْهُ، وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى ذَلِكَ التَّقْصِيرِ بِالْمَازِنِيِّ، حَتَّى قَصَّرَ بِالْخَلِيلِ أَيْضًا، وَزَعَمَ أَنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى، حَكَى لَهُ أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ الرُّؤَاسِيَّ، عَمِلَ كِتَابًا فِي النَّحْوِ، وَسَمَّاهُ الْفَيْصَلَ، فَبَعَثَ

(١) أي لا يحط أحد من قدره

الْخَلِيلُ إِلَيْهِ يَسْتَعِيرُهُ ، فَوَجَّهَ بِهِ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْخَلِيلَ تَعَلَّمَ النَّحْوَ مِنْ كِتَابِ الرُّؤَاسِيِّ ، مَا يُوجَدُ فِي كِتَابِ سِيبَوَيْهِ مِنْ ذِكْرِهِ ، إِذْ يَقُولُ : قَالَ الْكُوفِيُّ : وَهَذَا مَتَى سُمِعَ ، عُلِمَ أَنَّهُ لَا يَقُولُهُ إِلَّا[١] عَصَبِيٌّ .

قَرَأْتُ فِي كِتَابِ ابْنِ أَبِي الْأَزْهَرِ ، بِخَطِّ عَبْدِ السَّلَامِ الْبَصْرِيِّ قَالَ : كَانَ بِإِزَاءِ دَارِ أَبِي الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٍ ، رَجُلٌ قَدْ غَلَبَ عَلَى عَقْلِهِ ، فَكَانَ رُبَّمَا خَرَجَ فَجَلَسَ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ يَنْظُرُ[٢] إِلَى النَّاسِ ، فَرَأَى يَوْمًا غُلَامَ أَبِي الْعَبَّاسِ ، وَقَدْ أَدْخَلَ إِلَى دَارِهِ خُبْزًا أَسْوَدَ ، فَقَالَ لَهُ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ : أَلَا تَشْتَرِي لَكَ خُبْزَ حُوَّارَى[٣] ؟ مَا مَعْنَى هَذَا الضِّيقِ وَالشُّؤْمِ ؟ فَقَالَ لَهُ : هَذَا أَصْلَحُ مِنَ الْحَاجَةِ ، وَبَذْلِ الْوَجْهِ إِلَى النَّاسِ ، فَضَحِكَ وَقَالَ : عَجِبْتُ لَكَ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ ، أَمَا لَكَ هَذَا ، إِلَّا مِنْ بَذْلِ الْوَجْهِ وَالْحَاجَةِ إِلَى الطَّلَبِ مِنْهُمْ ، لَا تَقْبَلْ بِرَّ أَحَدٍ إِنْ كُنْتَ

(١) وفى الأصل الذى فى مكتبة اكسفورد : « لا » بدل « إلا » وليس بشىء .

(٢) وفى الأصل الذى فى مكتبة اكسفورد : « ينتظر »

(٣) أى خبز دقيق أبيض

صَادِقًا، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ : قَدْ قَالَ قَوْلًا، ثُمَّ أَنْشَدَنِي فِي الزُّهْدِ :

زَمَانُنَا صَعْبٌ وَإِخْوَانُنَا أَيْدِيهِمْ جَامِدَةُ الْبَذْلِ
وَقَدْ مَضَى النَّاسُ وَلَمْ يَبْقَ فِي عَصْرِكَ إِلَّا مُحْكَمُ الْبُخْلِ
وَمَالُنَا بُلْغَةُ أَقْوَاتِنَا مَافِيهِ لِلْإِسْرَافِ مِنْ فَضْلِ
فَضُمَّ كَفَّيْكَ عَلَى مِلْكِهَا وَأَطْرِشِ السَّمْعَ عَنِ الْعَذْلِ

فَتَعَجَّبْتُ مِنْ إِنْشَادِهِ هَذَا الشِّعْرَ، بِعَقِبِ مَاخُوطِبَ بِهِ.

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ اللُّغَوِيُّ : كَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٌ، لَا يَتَكَلَّفُ الْإِعْرَابَ فِي كَلَامِهِ، كَانَ يَدْخُلُ الْمَجْلِسَ فَنَقُومُ لَهُ فَيَقُولُ : اَقْعُدُوا اَقْعُدُوا بِفَتْحِ الْأَلِفِ. قَالَ ابْنُ كَامِلٍ الْقَاضِي : أَنْشَدَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَلَّافِ لِنَفْسِهِ لَمَّا مَاتَ الْمُبَرِّدُ :

ذَهَبَ الْمُبَرِّدُ وَانْقَضَتْ أَيَّامُهُ
وَلَيَلْحَقَنَّ (١) مَعَ الْمُبَرِّدِ ثَعْلَبُ

---

(١) فى نزهة الألباء وليذهبن

بَيْتٌ مِنَ الْآدَابِ (١) أَصْبَحَ نِصفُهُ
خَرِبًا وَبَاقِي بَيْتِهَا فَسَيَخْرَبُ (٢)
فَابْكُوا لِمَا سَلَبَ الزَّمَانُ وَوَطِّنُوا
لِلدَّهْرِ أَنْفُسَكُمْ عَلَى مَا يَسْلُبُ
ذَهَبَ الْمُبَرِّدُ حَيْثُ لَا تَرْجُونَهُ
أَبَدًا وَمَنْ تَرْجُونَهُ فَمُغَيَّبُ
فَتَزَوَّدُوا مِنْ ثَعْلَبٍ فَبِكَأْسِ مَا
شَرِبَ الْمُبَرِّدُ عَنْ قَلِيلٍ (٣) يَشْرَبُ
وَاسْتَحْلِبُوا أَلْفَاظَهُ فَكَأَنَّكُمْ
بِسَرِيرِهِ وَعَلَيْهِ جَمْعٌ يَنْحَبُ
وَأَرَى لَكُمْ (٤) أَنْ تَكْتُبُوا أَنْفَاسَهُ
إِنْ كَانَتِ الْأَنْفَاسُ مِمَّا يُكْتَبُ
فَلَيَلْحَقَنَّ بِمَنْ مَضَى مُتَخَلِّفٌ
مِنْ بَعْدِهِ وَلَيَذْهَبَنَّ وَنَذْهَبُ

(١) فى النزهة والأصل الذى فى مكتبة اكسفورد : بيتين للآداب

(٢) فى النزهة : وباق النصف منه سيخرب

(٣) فى النزهة : عن قريب (٤) فى النزهة : أوصيكم

وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ ، عَبْدُ الْوَاحِدِ اللُّغَوِيُّ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى مَرَاتِبَ النَّحْوِيِّينَ ، قَالَ : كَانَ ثَعْلَبٌ يَعْتَمِدُ عَلَى ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ فِي اللُّغَةِ ، وَعَلَى سَلَمَةَ بْنِ عَاصِمٍ فِي النَّحْوِ ، وَيَرْوِي عَنْ ابْنِ نَجْدَةَ كُتُبَ أَبِي زَيْدٍ ، وَعَنِ الْأَثْرَمِ كُتُبَ أَبِي عُبَيْدَةَ ، وَعَنْ أَبِي نَصْرٍ كُتُبَ الْأَصْمَعِيِّ ، وَعَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو كُتُبَ أَبِيهِ ، وَكَانَ ثِقَةً مُتْقِنًا يَسْتَغْنِي بِشُهْرَتِهِ عَنْ نَعْتِهِ ، وَقَالَ : وَكَانَ ثَعْلَبٌ حُجَّةً ، دَيِّنًا ، وَرِعًا ، مَشْهُورًا بِالْحِفْظِ ، وَالصِّدْقِ ، وَإِكْثَارِ الرِّوَايَةِ ، وَحُسْنِ الدِّرَايَةِ ، كَانَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ إِذَا شَكَّ فِي شَيْءٍ يَقُولُ لَهُ : مَا عِنْدَكَ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ فِي هَذَا ؟ ثِقَةً بِغَزَارَةِ حِفْظِهِ .

وُلِدَ سَنَةَ مِائَتَيْنِ ، وَطَلَبَ اللُّغَةَ وَالْعَرَبِيَّةَ فِي سَنَةِ سِتَّ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ ، قَالَ : وَابْتَدَأْتُ بِالنَّظَرِ فِي حُدُودِ الْفَرَّاءِ ، وَسِنِّي ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَبَلَغْتُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً ، وَمَا بَقِيَ عَلَيَّ مَسْأَلَةٌ لِلْفَرَّاءِ ، إِلَّا وَأَنَا أَحْفَظُهَا ، وَأَحْفَظُ مَوْضِعَهَا مِنَ الْكِتَابِ ، وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنْ كُتُبِ الْفَرَّاءِ فِي هَذَا الْوَقْتِ ، إِلَّا وَقَدْ حَفِظْتُهُ .

وَحَدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ : قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ حُسَيْنِ ، بْنِ سَعْدٍ الْقُطْرُبُلِّيُّ فِي تَارِيخِهِ : كَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبٌ ، مِنَ الْحِفْظِ ، وَالْعِلْمِ ، وَصِدْقِ اللَّهْجَةِ ، وَالْمَعْرِفَةِ بِالْغَرِيبِ ، وَرِوَايَةِ الشِّعْرِ الْقَدِيمِ ، وَمَعْرِفَةِ النَّحْوِ عَلَى مَذْهَبِ الْكُوفِيِّينَ ، عَلَى مَا لَيْسَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ، وَكَانَ يَدْرُسُ كُتُبَ الْفَرَّاءِ ، وَالْكِسَائِيِّ ، دَرْساً ، وَكَانَ مُتَبَحِّراً فِي مَذْهَبِ الْبَصْرِيِّينَ[(١)] لَا مُسْتَخْرِجاً لِلْقِيَاسِ ، وَلَا طَالِباً لَهُ ، وَكَانَ يَقُولُ : قَالَ الْفَرَّاءُ ، وَالْكِسَائِيُّ : فَإِذَا سُئِلَ عَنِ الْحُجَّةِ وَالْحَقِيقَةِ فِي ذَلِكَ لَمْ يَعْرِفِ النَّظَرَ[(٢)] ، وَكَانَ أَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ النَّحْوِيُّ خَتَنُهُ[(٣)] ، زَوْجُ ابْنَتِهِ ، يَخْرُجُ مِنْ مَنْزِلِهِ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى بَابِ دَارِهِ ، فَيَتَخَطَّى أَصْحَابَهُ ، وَيَمْضِي وَمَعَهُ دَفْتَرُهُ وَمَحْبَرَتُهُ ، فَيَقْرَأُ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدِ كِتَابَ سِيبَوَيْهِ ، فَيُعَاتِبُهُ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى عَلَى ذَلِكَ ، وَيَقُولُ لَهُ : إِذَا رَآكَ النَّاسُ تَمْضِي إِلَى هَذَا الرَّجُلِ تَقْرَأُ عَلَيْهِ ، يَقُولُونَ

(١) لعله : الكوفيين

(٢) يريد الرأى الذى بنى عليه القول (٣) ختنه : أى صهره .

مَاذَا ؟ وَلَمْ يَكُنْ يلتفِتُ إِلَى قوْلِهِ . قَالَ : وَكَانَ خَتَنُهُ هَذَا أَبُو عَلِيٍّ ، يُعْرَفُ بِالدِّينَوَرِيِّ ، وَكَانَ حَسَنَ الْمَعْرِفَةِ ، فَسَمِعْتُ إِسْحَاقَ الْمُصْعَبِيَّ يَقُولُ لَهُ : كَيْفَ صَارَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ ، أَعْلَمَ بِكِتَابِ سِيبَوَيْهِ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى[1] ؟ قَالَ : لِأَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ ، قَرَأَهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ ، وَأَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى قَرَأَهُ عَلَى نَفْسِهِ . قَالَ : وَلَمْ يَزَلْ ثَعْلَبٌ مُتَقَدِّمًا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ مُنْذُ أَيَّامِ حَدَاثَتِهِ ، وَكَانَ ضَيِّقَ النَّفَقَةِ مُقَتِّرًا عَلَى نَفْسِهِ . حَدَّثَنِي أَخِي، وَكَانَ صَاحِبَهُ وَوَصِيَّهُ قَالَ : دَخَلْتُ إِلَيْهِ يَوْمًا وَقَدْ احْتَجَمَ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ طَبَقٌ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَرْغِفَةٍ ، وَخَمْسُ بَيْضَاتٍ ، وَبَقْلٌ وَخَلٌّ ، وَهُوَ يَأْكُلُ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا الْعَبَّاسِ ، قَدِ احْتَجَمْتَ ، وَلَوْ أُخِذَ لَكَ رِطْلُ لَحْمٍ وَثَمَنُ التَّوَابِلِ ، وَمِثْلُهُ لِلْعِيَالِ كَانَ مَا لَهُ مَعْنًى .

قَالَ : وَسَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ إِسْحَاقَ الْمَعْرُوفَ بِأَبِي الْمُدَوِّرِ يَقُولُ : كُنْتُ أَرَى عَبْدَ اللهِ بْنَ الْأَعْرَابِيِّ يَشُكُّ فِي الشَّيْءِ ، فَيَقُولُ لِثَعْلَبٍ : مَا عِنْدَكَ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ

(١) فى الأصل الذى فى مكتبة اكسفورد : « أحمد »

فِي هذا ؟ ثِقَةً بِغَزَارَةِ حِفْظِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَ ذَلِكَ مَوْصُوفاً بِالْبَلَاغَةِ ، وَلَا رَأَيْتُهُ إِذَا كَتَبَ كِتَاباً إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ مِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ ، خَرَجَ عَنْ طَبْعِ الْعَامَّةِ ، فَإِذَا أَخَذْتَهُ فِي الشِّعْرِ وَالْغَرِيبِ ، وَمَذْهَبِ الْفَرَّاءِ وَالْكِسَائِيِّ ، رَأَيْتَ مَنْ لَا يَفِي بِهِ أَحَدٌ ، وَلَا يَتَهَيَّأُ لَهُ الطَّعْنُ عَلَيْهِ ، وَكَانَ هُوَ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ ، عَالِمَيْنِ[1] ، خُتِمَ بِهِمَا تَارِيخُ الْأَدَبِ ، أَوْ كَانَا كَمَا قَالَ بَعْضُ[2] الْمُحْدَثِينَ :

أَيَا طَالِبَ الْعِلْمِ لَا تَجْهَلَنْ وَعُذْ بِالْمُبَرِّدِ أَوْ ثَعْلَبِ
تَجِدْ عِنْدَ هَذَيْنِ عِلْمَ الْوَرَى فَلَا تَكُ كَالْجَمَلِ الْأَجْرَبِ
عُلُومُ الْخَلَائِقِ مَقْرُونَةٌ بِهَذَيْنِ فِي الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ

قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ : أَخْبَرَنِي الصُّولِيُّ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ الْحُسَيْنِ ابْنِ سَعْدٍ الْقُطْرُبُلِّيَّ : أَنْشَدَهُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ لِنَفْسِهِ . وَحَدَّثَ مُحَمَّدُ ابْنُ أَحْمَدَ الْكَاتِبُ قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى النَّحْوِيُّ قَالَ : سَأَلَنِي ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : كَمْ لَكَ مِنَ الْوَلَدِ ؟ فَقُلْتُ : ابْنَةٌ وَأَنْشَدْتُهُ :

---

(١) في الأصل الذي في مكتبة اكسفورد « عليهن » والصواب في وفيات الاعيان ج ١ ص ٦٢٦ (٢) في وفيات الأعيان : أنه أبو بكر بن أبي الأزهر

لَوْلَا أُمَيْمَةُ لَمْ أَجْزَعْ مِنَ الْعَدَمِ
وَلَمْ أَجُبْ فِي اللَّيَالِي حِنْدِسَ الظُّلَمِ
تَهْوَى حَيَاتِي، وَأَهْوَى مَوْتَهَا شَفَقًا
وَالْمَوْتُ أَكْرَمُ نَزَّالٍ عَلَى الْحُرَمِ!

فَأَنْشَدَنِي ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فِي الْمَعْنَى:

أُمَيْمَةُ تَهْوَى عُمْرَ شَيْخٍ يَسُرُّهُ
لَهَا الْمَوْتُ قَبْلَ اللَّيْلِ لَوْ أَنَّهَا تَدْرِي
يَخَافُ عَلَيْهَا جَفْوَةَ النَّاسِ بَعْدَهُ
وَلَا خَتَنٌ يُرْجَى أَوَدُّ مِنَ الْقَبْرِ

وَحَدَّثَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْحَكِيمِيِّ، عَنْ يَمُوتَ بْنِ الْمُزَرِّعِ قَالَ: وَأَرَادَ أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٌ أَنْ يَرْحَلَ إِلَى أَبِي حَاتِمٍ السِّجِسْتَانِيِّ فِي الْبَصْرَةِ، فَبَلَغَهُ أَنَّ أَبَا حَاتِمٍ انْتَشَرَ ذِكْرُهُ يَوْمًا، لَمَّا رَأَى جَمَاعَةَ الْمُرْدِ يَكْتُبُونَ فِي مَجْلِسِهِ، فَرَآهُ غُلَامٌ مِنْهُمْ فَقَالَ لَهُ: — أَصْلَحَكَ اللهُ — أَيُّ لَامٍ هَذِهِ؟ قَالَ: لَامُ كَيْ يَا بُنَيَّ، فَلَمْ يَخْرُجْ أَبُو الْعَبَّاسِ إِلَيْهِ.

وَحدَّثَ الصُّولِيُّ قَالَ : كُنَّا عِندَ أَبِي العَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَي فقَالَ له رَجُلٌ : المَسْجدُ هذَا المَعْرُوفُ ، فمَا المَصْدَرُ ؟ قَالَ : مَصْدَرُهُ السُّجُودُ ، قَالَ : فعَرِّفنِي مَا لَا يَجُوزُ مِنْ ذَا ؟ فقَالَ : لَا يُقَالُ مَسْجَدٌ ، وَضَحِكَ ، وَقَالَ : هَذَا يَطُولُ إِنْ وَصَفْنَا مَالَا يَجُوزُ ، وَإِنَّمَا يُوصَفُ الْجَائِزُ ، لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ غَيْرَهُ لَا يَجُوزُ .

وَمِثْلُ ذَلِكَ أَنَّ مَاسَوَيْهِ : وَصَفَ لِإِنْسَانٍ دَوَاءً ثُمَّ قَالَ لَهُ : كُلِ الفَرُّوجِ وَشَيْئًا مِنَ الفَاكِهَةِ ، وَقَالَ : أُرِيدُ أَنْ تُخبِرَنِي بِالَّذِي لَا آكُلُ ، فقَالَ : لَا تَأْكُلنِي وَلَا حِمَارِي ، وَلَا غُلَامِي ، وَاجْمَعْ كَثِيراً مِنَ القَرَاطِيسِ ، وَبَكِّرْ إِلَيَّ ، فَإِنَّ هَذَا يَكْثُرُ إِنْ وَصَفْتُهُ لَكَ .

وَحدَّثَ عَنِ الصُّولِيِّ قَالَ : قَالَ أَبُو العَبَّاسِ ثَعْلَبٌ : لَمْ أَسْمَعْ مِنْ جَمَاعَةٍ كُلُّهُمْ قَدْ رَأَيْتُهُ ، وَتَمَكَّنْتُ مِنْهُ ، وَلَوْ أَرَدْتُ ذَلِكَ ، مَافَاتَنِي عَنْهُمْ جَمِيعُ مَاأَطْلُبُ ، مِنْهُمْ أَبُوعُبَيْدٍ القَاسِمُ ابْنُ سَلَّامٍ ، وَإِسْحَاقُ المَوْصِلِيُّ ، وَأَبُو تَوْبَةَ ، وَالنَّضْرُ بْنُ حَدِيدٍ ، وَإِنِّي لَأَذْكُرُ مَوْتَ الفَرَّاءِ ذِكْراً جَيِّدًا ، وَأَنَا فِي الكُتَّابِ .

وَحدَّثَ قَالَ : وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ يَوْمًا لِآخَرَ : الْهَرَمُ عِلَّةٌ قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا ، فَإِذَا كَانَ مَعَهُ عِلَّةٌ ، فَذَاكَ أَمْرٌ عَظِيمٌ ، وَأَنْشَدَ :

أَرَى بَصَرِي فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
يَكِلُّ وَخَطْوِي عَنْ مَدَاهُنَّ يَقْصُرُ (١)

وَمَنْ يَصْحَبِ الْأَيَّامَ تِسْعِينَ حِجَّةً
يُغَيِّرْنَهُ وَالدَّهْرُ لَا يَتَغَيَّرُ

لَعَمْرِي لَئِنْ أَصْبَحْتُ أَمْشِي مُقَيَّدًا
لَمَا كُنْتُ أَمْشِي مُطْلَقًا قَبْلُ أَكْثَرُ

وَحدَّثَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الزُّبَيْدِيُّ قَالَ : قَالَ ثَعْلَبٌ : أَقْعَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ، بْنِ طَاهِرٍ ، مَعَ ابْنِهِ طَاهِرٍ ، وَأَفْرَدَ لِي دَارًا فِي دَارِهِ ، وَأَقَامَ لَنَا وَظِيفَةً (٢) فَكُنْتُ أَقْعُدُ مَعَهُ إِلَى أَرْبَعِ سَاعَاتٍ مِنَ النَّهَارِ ، ثُمَّ أَنْصَرِفُ إِذَا أَرَادَ الْغَدَاءَ ، فَنَمَى ذَلِكَ إِلَى أَبِيهِ ، فَكَسَا الْبَهْوَ وَالْأَرْوِقَةَ وَأَضْعَفَ مَا كَانَ يُعَدُّ مِنَ الْأَلْوَانِ ، فَلَمَّا حَضَرَ وَقْتُ

(١) كانت في الاصل : « تقصر » ولعل ما ذكر أنسب

(٢) أي رزقا وطعاما ونحوهما

الاِنْصِرَافِ، اُنْصَرَفْتُ، فَنَمَى ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لِلْخَادِمِ الْمُوَكَّلِ بِنَا، قَدْ نُمِيَ إِلَيَّ انْصِرَافُ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى وَقْتَ الطَّعَامِ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَسْتَقِلُّ مَا يَحْضُرُ، وَلَمْ يَسْتَطِبِ الْمَوْضِعَ، فَأْمُرْنَا بِتَضْعِيفِهِ (١)، ثُمَّ نُمِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ انْصَرَفَ، فَقُلْ لَهُ عَنْ نَفْسِكَ: أَبَيْتُكَ أَبْرَدُ مِنْ بَيْتِنَا ؟ أَوْ طَعَامُكَ أَطْيَبُ مِنْ طَعَامِنَا ؟ وَتَقُولُ لَهُ عَنِّي : إِنْصِرَافُكَ إِلَى بَيْتِكَ وَقْتَ الْغَدَاءِ هُجْنَةٌ (٢) عَلَيْنَا، فَلَمَّا عَرَّفَنِي الْخَادِمُ ذَلِكَ، أَقَمْتُ، فَكُنْتُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ، ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَكَانَ يُقِيمُ لِي مَعَ ذَلِكَ فِي الْيَوْمِ، سَبْعَ وَظَائِفَ مِنَ الْخُبْزِ الْخُشْكَارِ (٣)، وَوَظِيفَةً مِنَ الْخُبْزِ السَّمِيدِ (٤) وَسَبْعَةَ أَرْطَالٍ مِنَ اللَّحْمِ، وَعَلُوفَةَ رَأْسٍ، وَأَجْرَى لِي فِي الشَّهْرِ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَلَقَدْ جَاءَتْ سَنَةُ الْفِتْنَةِ، وَعَظُمَ الْأَمْرُ فِي الدَّقِيقِ وَاللَّحْمِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ كَاتِبُهُ عَلَى الْمَطْبَخِ، يُعَرِّفُهُ مَا هُوَ فِيهِ مِنْ عِظَمِ الْمُؤْنَةِ، وَيَسْأَلُهُ إِحْضَارَ الْجَرِيدَةِ (٥)،

---

(١) أي بزيادته ضعفين

(٢) أي عيب

(٣) الخشكر : ما خشن من الطحين ، والعامة تقول خشكار ، وهى فارسية معربة

(٤) السميذ : والسميد: الدقيق الأبيض

(٥) الجريدة : صحيفة الحساب

فَيَقْتَصِرُ عَلَى مَا لَا بُدَّ مِنْهُ ، فَأَنْفَذَهَا ، فَكَانَتْ مُشْتَمِلَةً عَلَى ثَلَاثَةِ آلَافٍ وَسِتِّمَائَةِ إِنْسَانٍ ، فَرَأَيْتُ مُحَمَّداً قَدْ زَادَ فِيهَا بِخَطِّهِ قَوْماً آخَرِينَ ، وَوَقَّعَ عَلَيْهَا : لَسْتُ أَقْطَعُ عَنْ أَحَدٍ مَا عَوَّدْتُهُ ، وَلَا سِيَّمَا مَنْ قَالَ لِي : أَطْعِمْنِي الْخُبْزَ ، فَأَجْرِ الْأَمْرَ عَلَى مَا فِي الْجَرِيدَةِ ، وَاصْبِرْ عَلَى هَذِهِ الْمُؤْنَةِ ، فَإِمَّا عِشْنَا جَمِيعاً ، وَإِمَّا مُتْنَا جَمِيعاً. قَالَ الزُّبَيْدِيُّ : وَخَلَّفَ كُتُباً جَلِيلَةً ، فَأَوْصَى إِلَى عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكُوفِيِّ ، أَحَدِ أَعْيَانِ تَلَامِيذِهِ ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ فِي دَفْعِ كُتُبِهِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ الْقُطْرُبُلِّيِّ ، فَقَالَ الزَّجَّاجُ لِلْقَاسِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ : هَذِهِ كُتُبٌ جَلِيلَةٌ ، فَلَا تَفُوتَنَّكَ ، فَأَحْضَرَ خَيْرَانَ الْوَرَّاقَ ، فَقَوَّمَ مَا كَانَ يُسَاوِي عَشَرَةَ دَنَانِيرَ ثَلَاثَةً ، فَبَلَغَتْ أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثِمَائَةِ دِينَارٍ ، فَأَخَذَهَا الْقَاسِمُ بِهَا .

وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ ، عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ عَلِيٍّ اللُّغَوِيُّ فِي كِتَابِ مَرَاتِبِ النَّحْوِيِّينَ : وَانْتَهَى عِلْمُ الْكُوفِيِّينَ إِلَى ابْنِ السِّكِّيتِ ، وَثَعْلَبٍ ، وَكَانَا ثِقَتَيْنِ أَمِينَيْنِ ، وَيَعْقُوبُ

أَسَنُّ وَأَقْدَمُ مَوْتاً ، وَأَحْسَنُ الرَّجُلَيْنِ تَأْلِيفاً ، وَكَانَ ثَعْلَبٌ أَعْلَمَهُمَا بِالنَّحْوِ ، وَكَانَ يَعْقُوبُ يَضْعُفُ فِيهِ .

قَالَ ثَعْلَبٌ : كُنْتُ يَوْماً عِنْدَ ابْنِ السِّكِّيتِ ، فَسَأَلَنِي عَنْ شَيْءٍ فَصِحْتُ ، وَكَانَ ثَعْلَبٌ شَدِيدَ الْحِدَّةِ ، قَالَ : فَقَالَ لِي لَا تَصِحْ ، فَوَاللهِ مَا سَأَلْتُكَ إِلَّا مُسْتَفْهِماً .

وَحَدَّثَ أَحْمَدُ بْنُ الْعَسْكَرِيِّ فِي كِتَابِ التَّصْحِيفِ قَالَ : وَأَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ الْأَنْبَارِيِّ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : قَرَأَ الْقُطْرُبُلِّيُّ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٍ بَيْتَ الْأَعْشَى :

فَلَوْ كُنْتُ فِي حُبٍّ ثَمَانِينَ (١) قَامَةً
وَرُقِّيتُ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ

فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : خَرِبَ بَيْتُكَ ، هَلْ رَأَيْتَ حُبًّا قَطُّ ثَمَانِينَ قَامَةً ؟ إِنَّمَا هُوَ جُبٌّ .

وَحَدَّثَ الْخَطِيبُ قَالَ : قَالَ ثَعْلَبٌ : كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ أَرَى ابْنَ حَنْبَلٍ ، فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ ، قَالَ لِي : فِيمَ تَنْظُرُ ؟ قُلْتُ : فِي النَّحْوِ وَالْعَرَبِيَّةِ . فَأَنْشَدَنِي أَبُو عَبْدِ اللهِ ، وَهُوَ لِبَعْضِ بَنِي أَسَدٍ :

(١) فى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد : « سبعين » والصواب فى كتاب التصحيف طبع مصر سنة ١٩١٨ ص ٢٦ ج ٢

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْماً فَلَا تَقُلْ
خَلَوْتُ ، وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللّٰهَ يُغْفِلُ (١) مَا يَرَى
وَلَا أَنَّ مَا تُخْفِي عَلَيْهِ يَغِيبُ
لَهَوْنَا عَنِ الْآثَامِ حِينَ تَتَابَعَتْ
ذُنُوبٌ عَلَى آثَارِهِنَّ ذُنُوبُ
فَيَالَيْتَ أَنَّ اللّٰهَ يَغْفِرُ مَامَضَى
فَيَأْذَنَ فِي تَوْبَاتِنَا فَنَتُوبُ

وَحَدَّثَ الْخَطِيبُ قَالَ : قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الزُّهْرِيُّ : كَانَ لِثَعْلَبٍ عَزَاءٌ بِبَعْضِ أَهْلِهِ ، فَتَأَخَّرْتُ عَنْهُ ، لِأَنَّهُ خَفِيَ عَلَيَّ ، ثُمَّ قَصَدْتُهُ مُعْتَذِراً ، فَقَالَ لِي : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، مَا بِكَ حَاجَةٌ إِلَى تَكَلُّفِ عُذْرٍ ، فَإِنَّ الصَّدِيقَ لَا يُحَاسَبُ (٢) ، وَالْعَدُوَّ لَا يُحْتَسَبُ لَهُ .

---

(١) يغفل : أي يهمل ويترك

(٢) يريد أن الانسان إما صديق فلا كلفة بين الصديقين ، وإما عدو فلا يحتسب له « بمعنى أنه ليس فى الحسبان ، أو بمعنى لا يهتم له « عبدالخالق »

وَجَدْتُ بِخَطِّ أَبِي الْحَسَنِ ، عَلِيِّ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ ، السِّمْسِمِيِّ اللُّغَوِيِّ :

حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ الْحَسَنِ النَّوْبَخْتِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْفَتْحِ ، مُحَمَّدُ بْنُ جعفرٍ الْمَرَاغِيُّ النَّحْوِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْخَيَّاطِ النَّحْوِيُّ قَالَ : كُنْتُ[1] عِنْدَ أَبِي الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٍ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ وَقَدْ سَاءَ سَمْعُهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا الْعَبَّاسِ ، ـ أَعزَّكَ اللهُ ـ ، مَا الصُّوصُ[2] ؟ فَقَالَ لَهُ : الصَّوْحُ أَصْلُ الْجَبَلِ ، فَأَعَادَ الرَّجُلُ سُؤَالَهُ ، لِعِلْمِهِ بِأَنَّ الشَّيْخَ مَا فَهِمَ ، فَقَالَ ثَعْلَبٌ : السُّوحُ جَمْعُ سَاحَةٍ ، فَأَعَادَ سُؤَالَهُ ثَالِثَةً ، ، فَعَلِمَ ثَعْلَبٌ أَنَّهُ مَا فَهِمَ عَنِ الرَّجُلِ ، قَالَ : فَقَالَ لَهُ : أُدْنُ مِنِّي ، فَأَلْقِمْ أُذُنِي فَاكَ وَقُلْ : فَفَعَلَ ذَلِكَ ، فَلَمَّا فَهِمَ ثَعْلَبٌ سُؤَالَهُ ، قَالَ : نَعَمْ ، الْعَرَبُ تَقُولُ : رَأَيْتُ صُوصاً[3] عَلَى أَصُوصٍ ، أَيْ رَجُلاً نَذْلاً[4] عَلَى نَاقَةٍ كَرِيمَةٍ .

---

(١) فى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد « كيف » (٢) الصوص : الرجل اللئيم ينزل وحده ، ويأكل وحده فى ظل القمر ، لئلا يراه الناس (٣) بضم الصاد الاولى وفتحها

(٤) النذل والنذيل : الخسيس من الناس ، والمحتقر فى جميع احواله ، والأصوص كصبور : الناقة السمينة

حدَّثَ الزَّجَّاجِيُّ أَبُو القَاسِمِ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ سُلَيْمَانَ الأَخفَشِ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبٌ قَالَ : قَدِمَ الرِّيَاشِيُّ بَغْدَادَ ، سَنَةَ ثَلاثِينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَصِرْتُ إِلَيْهِ لِآخُذَ عَنْهُ ، فَقَالَ لِي : أَسْأَلُكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ، فَقَالَ : تُجِيزُ نِعْمَ الرَّجُلُ يَقُومُ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ؟ هِيَ جَائِزَةٌ عِنْدَ الْجَمِيعِ[1] ، أَمَّا الْكِسَائِيُّ فَيُضْمِرُ ، وَالتَّقْدِيرُ عِنْدَهُ ، نِعْمَ الرَّجُلُ رَجُلٌ يَقُومُ ، لِأَنَّ نِعْمَ عِنْدَهُ فِعْلٌ ، وَالْفَرَّاءُ لَا يُضْمِرُ ، لِأَنَّ نِعْمَ عِنْدَهُ اسْمٌ ، فَيَرْفَعُ الرَّجُلَ بِنِعْمَ ، وَيَقُومُ صِلَةٌ لِلرَّجُلِ . وَأَمَّا صَاحِبُكَ ، يَعْنِي سِيبَوَيْهِ : فَإِنَّهُ لَا يُضْمِرُ شَيْئًا ، وَنِعْمَ عِنْدَهُ أَيْضًا فِعْلٌ ، وَلَكِنْ يَجْعَلُ يَقُومُ مُتَرْجِمًا ، وَهُوَ الَّذِي يُسَمُّونَهُ الْبَدَلَ ، فَسَكَتَ . فَقُلْتُ لَهُ : فَأَسْأَلُكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، فَقُلْتُ : أَيَجُوزُ يَقُومُ نِعْمَ الرَّجُلُ ؟ فَقَالَ : جَائِزٌ ، فَقُلْتُ : هَذِهِ خَطَأٌ عِنْدَ الْجَمِيعِ ، أَمَّا عَلَى مَذْهَبِ الْكِسَائِيِّ : فَإِنَّهُ لَا يُولِي الْفِعْلَ فِعْلًا . فَأَمَّا عَلَى مَذْهَبِ الْفَرَّاءِ : فَإِنَّ[2] يَقُومُ عِنْدَهُ صِلَةٌ لِلرَّجُلِ ، وَالصِّلَةُ

---

(١) تراجع المسألة الرابعة عشر من كتاب الانصاف فى مسائل الخلاف

(٢) فى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد « فانه » ولفظ صلة هنا وفيما سبق ، مراد به ما يرتبط باللفظ من صفة ، أو حال ، أو صلة ، وذلك فيما كان جملة « عبد الخالق »

لَا تتقدَّمُ عَلَى الْمَوْصُولِ . وَأَمَّا عَلَى مَذْهَبِ سِيبَوَيْهِ صَاحِبِكَ : فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ ، لِأَنَّهُ تَرْجَمَةٌ ، وَالتَّرْجَمَةُ إِيضَاحٌ وَتَبْيِينٌ لِلجُمْلَةِ الَّتِي تَتَقَدَّمُهَا ، وَلَا يَجُوزُ تَقْدِيمُهَا عَلَيْهَا . فَقَالَ : أَنَا تَارِكٌ لِلْعَرَبِيَّةِ ، نَخُذْ فِيمَا قَصَدْتَ لَهُ ، فَفَاتَحْتُهُ أَيَّامَ النَّاسِ ، وَالْأَخْبَارَ ، وَالْأَشْعَارَ ، فَفَتَحْتُ بِهِ سَيْحَ بَحْرٍ .

وَحَدَّثَ قَالَ : أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ ، قَالَ : كُنْتُ يَوْمًا بِحَضْرَةِ ثَعْلَبٍ ، فَأَسْرَعْتُ الْقِيَامَ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْمَجْلِسِ ، فَقَالَ : إِلَى أَيْنَ ؟ مَا أَرَاكَ تَصْبِرُ عَنْ مَجْلِسِ الْخُلْدِيِّ ، يَعْنِي الْمُبَرِّدَ ، فَقُلْتُ لَهُ : لِي حَاجَةٌ ، فَقَالَ لِي : إِنِّي أَرَاهُ يُقَدِّمُ الْبُحْتُرِيَّ عَلَى أَبِي تَمَّامٍ ، فَإِذَا أَتَيْتَهُ ، فَقُلْ لَهُ : مَا مَعْنَى قَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

أَآلِفَةَ النَّحِيبِ كَمِ افْتِرَاقٍ
أَظَلَّ (١) فَكَانَ دَاعِيَةَ اجْتِمَاعِ

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : فَلَمَّا صِرْتُ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدِ ، سَأَلْتُهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : مَعْنَى هَذَا : أَنَّ الْمُتَحَابَّيْنِ الْعَاشِقَيْنِ

(١) في ديوان أبي تمام « ألم »

قَدْ يَتَصَارَمَانِ وَيَتَهَاجَرَانِ إِدْلَالًا (١) ، لَا عَزْمًا عَلَى الْقَطِيعَةِ ، فَإِذَا حَانَ الرَّحِيلُ وَأَحَسَّا بِالْفِرَاقِ ، تَرَاجَعَا إِلَى الْوُدِّ ، وَتَلَاقَيَا خَوْفَ الْفِرَاقِ ، وَأَنْ يَطُولَ الْعَهْدُ بِالِالْتِقَاءِ بَعْدَهُ ، فَيَكُونَ الْفِرَاقُ حِينَئِذٍ سَبَبًا لِلِاجْتِمَاعِ ، كَمَا قَالَ الْآخَرُ :

مُتِّعَا بِاللِّقَاءِ يَوْمَ الْفِرَاقِ
مُسْتَجِيرَيْنِ بِالْبُكَا وَالْعِنَاقِ
كَمْ أَسَرَّا هَوَاهُمَا حَذَرَ النَّا
سِ وَكَمْ كَاتَمَا (٢) غَلِيلَ اشْتِيَاقِ
فَأَظَلَّ الْفِرَاقُ فَالْتَقَيَا فِيـ
ـهِ فِرَاقًا أَتَاهُمَا بِاتِّفَاقِ
كَيْفَ أَدْعُو عَلَى الْفِرَاقِ بِحَتْفٍ
وَغَدَاةَ الْفِرَاقِ كَانَ التَّلَاقِي

قَالَ : فَلَمَّا عُدْتُ إِلَى ثَعْلَبٍ سَأَلَنِي عَنْهُ ، فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ الْجَوَابَ وَالْأَبْيَاتَ ، فَقَالَ : مَا أَشَدَّ تَمْوِيهَهُ !! مَا صَنَعَ شَيْئًا ، إِنَّمَا مَعْنَى الْبَيْتِ ، أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يُفَارِقُ مَحْبُوبَهُ ،

---

(١) الادلال : الوثوق بالمحبة وإزالة الكلفة (٢) رواية الأمالى : « كتما » والالف فى كاتما للمبالغة ، أو كتم كقدم يدل تضعيفها على كثرة الكتمان « عبد الخالق »

رَجَاءَ أَنْ يَغْنَمَ فِي سَفَرِهِ ، فَيَعُودَ إِلَى مَحْبُوبِهِ مُسْتَغْنِياً عَنِ التَّصَرُّفِ ، فَيَطُولَ اجْتِمَاعُهُ مَعَهُ ، أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي :

وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ الْأَوْبَاتِ إِلَّا
لِمَوْقُوفٍ عَلَى (١) تَرَحِ الْوَدَاعِ

وَهَذَا نَظِيرُ قَوْلِ الْآخَرِ ، بَلْ مِنْهُ أَخَذَ أَبُو تَمَّامٍ :

وَأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا
وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لِتَجْمُدَا

هَذَا هُوَ ذَاكَ بِعَيْنِهِ .

وَحُكِيَ أَنَّ ثَعْلَباً خَرَجَ يَوْماً عَلَى أَصْحَابِهِ ، وَلَيْسَ فِيهِمْ إِلَّا كَهْلٌ أَوْ شَيْخٌ ، فَأَنْشَدَ مُتَمَثِّلاً :

أَلَا رُبَّمَا سُؤْتُ الْغَيُورَ وَبَرَّحَتْ
بِيَ الْأَعْيُنُ النُّجْلُ الْمِرَاضُ الصَّحَائِحُ
فَقَدْ سَاءَنِي أَنَّ الْغَيُورَ يَوَدُّنِي
وَأَنَّ نَدَامَايَ الْكُهُولُ الْجَحَاجِحُ (٢)

---

(١) الترح : الحزن (٢) جمع جحجاح : وهو السيد

قُلْتُ أَنَا : إِنَّ هذا وَاللهِ مَلِيحٌ جِدًّا .

وَحَدَّثَ جَحْظَةُ فِي أَمَالِيهِ قَالَ : كُنْتُ يَوْمًا فِي مَجْلِسِ ثَعْلَبٍ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ يَا سَيِّدِي : مَا الْبَعْجَدَةُ ؟ قَالَ : لَا أَعْرِفُهَا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : فَإِنِّي وَجَدْتُهَا فِي شِعْرِ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ الْمُعَذَّلِ حَيْثُ يَقُولُ :

أَعَاذِلَتِي أَقْصِرِي أَبَعْ جِدَّتِي بِالْمِنَنْ (1)

فَاغْتَاظَ أَبُو الْعَبَّاسِ غَيْظًا عَظِيمًا ، وَقَالَ : يَاقَوْمُ ، أَجِيدُوا أُذُنَيْهِ عَرْكًا ، أَوْ يَحْلِفَ أَنَّهُ لَا يَرْجِعُ يَحْضُرُ حَلْقَتِي ، فَفَعَلْنَا .

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ أَحْمَدَ الزُّهْرِيُّ : كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٍ مَوَدَّةٌ وَكِيدَةٌ (2) ، وَكُنْتُ أَسْتَشِيرُهُ فِي أُمُورِي ، فَجِئْتُهُ يَوْمًا أُشَاوِرُهُ فِي الْانْتِقَالِ مِنْ مَحَلَّةٍ إِلَى مَحَلَّةٍ ، لِتَأَذِّيَّ بِالْجِيرَانِ . فَقَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، الْعَرَبُ تَقُولُ : صَبْرُكَ عَلَى أَذَى مَنْ تَعْرِفُ ، خَيْرٌ مِنِ اسْتِحْدَاثِ مَالَا تَعْرِفُ .

---

(1) الجدة : العظمة ، والمنن جمع منة . وفي الاصل : المين (2) أي وثيقة

قَالَ أَبُو عُمَرَ الزَّاهِدُ : أَنْشَدَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٌ :

إِذَا مَاشِئْتَ أَنْ تَبْلُو صَدِيقًا
تَجَرَّبْ وُدَّهُ عِنْدَ الدَّرَاهِمْ
فَعِنْدَ طِلَابِهَا تَبْدُو هَنَاتٌ
وَتَعْرِفُ ثَمَّ أَخْلَاقَ الْمَكَارِمْ

وَحَدَّثَ الْخَطِيبُ قَالَ : كَانَ بَيْنَ الْمُبَرِّدِ وَثَعْلَبٍ مُنَافَرَاتٌ كَثِيرَةٌ ، وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ فِي تَفْضِيلِ كُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ .

قَالَ : وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى ثَعْلَبٍ فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا الْعَبَّاسِ: قَدْ هَجَاكَ الْمُبَرِّدُ ، فَقَالَ بِمَاذَا ؟ فَأَنْشَدَهُ :

أُقْسِمُ بِالْمُبْتَسِمِ الْعَذْبِ
وَمُشْتَكَى الصَّبِّ إِلَى الصَّبِّ
لَوْ أَخَذَ النَّحْوَ عَنِ الرَّبِّ
مَازَادَهُ إِلَّا عَمَى الْقَلْبِ

فَقَالَ : أَنْشَدَنِي مَنْ أَنْشَدَهُ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ :

يَشْتُمُنِي (١) عَبْدُ بَنِي مِسْمَعٍ
فَصُنْتُ عَنْهُ النَّفْسَ وَالْعِرْضَا
وَلَمْ أُجِبْهُ لِاحْتِقَارِي (٢) لَهُ
مَنْ ذَا يَعَضُّ الْكَلْبَ إِنْ عَضَّا؟

وَحَدَّثَ أَيْضاً قَالَ: قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ، ابْنِ عَبْدِ اللهِ، بْنِ طَاهِرٍ، قَالَ لِي أَبِي: حَضَرْتُ مَجْلِسَ أَخِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، بْنِ طَاهِرٍ، وَحَضَرَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٌ، وَالْمُبَرِّدُ، فَقَالَ لِي أَخِي مُحَمَّدٌ، قَدْ حَضَرَ هَذَانِ الشَّيْخَانِ فَلْيَتَنَاظَرَا، قَالَ: فَتَنَاظَرَا فِي شَيْءٍ مِنْ عِلْمِ النَّحْوِ مِمَّا أَعْرِفُهُ، فَكُنْتُ أُشَارِكُهُمَا فِيهِ إِلَى أَنْ دَقَّقَا، فَلَمْ أَفْهَمْ، ثُمَّ عُدْتُ إِلَيْهِ، فَلَمْ أَعْرِفْ مَا الْمَجْلِسُ؟ فَسَأَلَنِي فَقُلْتُ: إِنَّهُمَا تَكَلَّمَا فِيمَا أَعْرِفُ، فَشَارَكْتُهُمَا ثُمَّ دَقَّقَا، فَلَمْ أَعْرِفْ مَاقَالَا، وَلَا وَاللهِ يَاسَيِّدِي مَا يَعْرِفُ أَعْلَمُهُمَا إِلَّا مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمَا، وَلَسْتُ ذَلِكَ الرَّجُلَ، فَقَالَ لِي يَا أَخِي: أَحْسَنْتَ وَاللهِ، هَذَا أَحْسَنُ، يَعْنِي اعْتِرَافَهُ بِذَلِكَ

(١) في الأصل الذي في مكتبة اكسفورد: «يشاتمني» (٢) ويروى لاحتقاري به

وَقَالَ لِى أَبُو عُمَرَ الزَّاهِدُ : سَأَلْتُ أَبَا بَكْرِ بْنَ السَّرَّاجِ فَقُلْتُ : أَىُّ الرَّجُلَيْنِ أَعْلَمُ ؟ ثَعْلَبٌ أَمِ الْمُبَرِّدُ ؟ فَقَالَ : مَا أَقُولُ فِى رَجُلَيْنِ ، الْعَالَمُ بَيْنَهُمَا ؟

وَحَدَّثَ أَبُو عُمَرَ أَيْضًا قَالَ : كُنْتُ فِى مَجْلِسِ أَبِى الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٍ فَضَجِرَ ، فَقَالَ لَهُ شَيْخٌ خَضِيبٌ مِنَ الظَّاهِرِيَّةِ : لَوْ عَلِمْتَ مَالَكَ مِنَ الْأَجْرِ فِى إِفَادَةِ النَّاسِ ، لَصَبَرْتَ عَلَى أَذَاهُمْ ، فَقَالَ : لَوْلَا ذَاكَ مَاتَعَذَّبْتُ ، ثُمَّ أَنْشَدَ بِعَقِبِ هَذَا :

يُخَلِّلْنَ بِالْقُضْبَانِ كُلَّ مُفَلَّجٍ (١)
بِهِ الظَّلْمُ (٢) لَمْ يُفْلَلْ لَهُنَّ غُرُوبُ (٣)
رُضَابًا (٤) كَطَعْمِ الشَّهْدِ يَجْلُو مُتُونَهُ
مِنَ الضِّرْوِ أَوْ غُصْنِ الْأَرَاكِ قَضِيبُ
أُولَئِكَ لَوْلَاهُنَّ مَاسُقْتُ نِضْوَةً (٥)
لِحَاجٍ (٦) وَلَا اسْتَقْبَلْتُ بَرْدَ جَنُوبِ (٧)

(١) الفلج : تباعد ما بين الأسنان (٢) الظلم : بريق الأسنان

(٣) الغرب : حد الشىء (٤) الرضاب : الريق ، والضرو : شجر الكمكام وهو نوع من الشجر ، له علك تجلى به الاسنان . (٥) النضوة : المهزول من الابل

(٦) الحاج جمع حاجة ، كساع جمع ساعة (٧) كانت فى الاصل الذى بأيدينا : « ولا استشملت » فأصلحت إلى ماذكر ، خصوصا وقد جاء شطر البيت الاخير فى الموشى : « ولا قابلتنى فى البلاد جنوب » يدعو لنفسه بالريح الرخاء ، لما هو فيه «عبدالخالق»

وَحَدَّثَ أَبُو بَكْرِ بْنُ مُجَاهِدٍ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ أَبِي الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٍ ، فَقَالَ لِي يَا أَبَا بَكْرٍ : اشْتَغَلَ أَصْحَابُ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ فَفَازُوا ، وَاشْتَغَلَ أَهْلُ الْفِقْهِ بِالْفِقْهِ فَفَازُوا ، وَاشْتَغَلَ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ بِالْحَدِيثِ فَفَازُوا ، وَاشْتَغَلْتُ أَنَا بِزَيْدٍ وَعَمْرٍو ، فَلَيْتَ شِعْرِي مَا يَكُونُ حَالِي فِي الْآخِرَةِ ؟ فَانْصَرَفْتُ مِنْ عِنْدِهِ ، فَرَأَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ ، فَقَالَ لِي : أَقْرِئْ أَبَا الْعَبَّاسِ عَنِّي السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ : إِنَّكَ صَاحِبُ الْعِلْمِ الْمُسْتَطِيلِ . قَالَ الرُّوذَبَارِيُّ : أَرَادَ أَنَّ الْكَلَامَ بِهِ يَكْمُلُ ، وَالْخِطَابَ بِهِ يَجْمُلُ . وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى : أَرَادَ أَنَّ جَمِيعَ الْعُلُومِ مُفْتَقِرَةٌ إِلَيْهِ .

وَأَنْشَدَ الْخَطِيبُ قَالَ : أَنْشَدَ أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٌ :

بَلَغْتُ مِنْ عُمْرِي ثَمَانِينَا
وَكُنْتُ لَا آمُلُ خَمْسِينَا
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَشُكْراً لَهُ
إِذْ زَادَ فِي عُمْرِي ثَلَاثِينَا

وَأَسْأَلُ اللهَ بُلُوغًا إِلَى
مَرْضَاتِهِ آمِينَ آمِينَا

وَنَقَلْتُ مِنْ كِتَابِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ التَّارِيخِيِّ فِي أَخْبَارِ النَّحْوِيِّينَ، فَقَالَ: أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ زَيْدِ ابْنِ ثَعْلَبٍ، الشَّيْبَانِيُّ النَّحْوِيُّ، فَارُوقُ[1] النَّحْوِيِّينَ، وَالْمُعَايِرُ[2] عَلَى اللُّغَوِيِّينَ، مِنَ الْكُوفِيِّينَ وَالْبَصْرِيِّينَ، أَصْدَقُهُمْ لِسَانًا، وَأَعْظَمُهُمْ شَأْنًا، وَأَبْعَدُهُمْ ذِكْرًا، وَأَرْفَعُهُمْ قَدْرًا، وَأَصَحُّهُمْ عِلْمًا، وَأَوْسَعُهُمْ حِلْمًا[3] وَأَتْقَنُهُمْ حِفْظًا، وَأَوْفَرُهُمْ حَظًّا، مِنَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا.

حَدَّثَنِي الْمُفَضَّلُ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ عَاصِمٍ قَالَ: رَأَسَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبٌ النَّحْوِيُّ، وَاخْتَلَفَ النَّاسُ إِلَيْهِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ، قَالَ: وَسَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ الْحَرْبِيَّ يَقُولُ: وَقَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي الاِسْمِ وَالْمُسَمَّى وَقَدْ كَرِهْتُ لَكُمْ وَلِنَفْسِي، مَا كَرِهَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى،

---

(١) الفارق: الذي يفرق بين الحق والباطل

(٢) من عاير بمعنى وازن

(٣) في نزهة الالباء: أوضحهم علما، وأرفعهم معلما، وأثبتهم حفظا.

وَرَضِيتُ لَكُمْ وَلِنَفْسِي ، مَا رَضِيَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى .

قَالَ : وَكَانَ أَبُو الصَّقْرِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ بُلْبُلٍ الشَّيْبَانِيُّ : قَدْ ذَكَرَ أَبَا العَبَّاسِ ثَعْلَبًا لِلنَّاصِرِ لِدِينِ اللهِ ، الْمُوَفَّقِ بِاللهِ ، وَأَخْرَجَ لَهُ رِزْقًا سَنِيًّا(١) سُلْطَانِيًّا ، فَحَسُنَ مَوْقِعُ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ وَالْأَدَبِ . وَقَالَ قَائِلُهُمْ لِأَبِي الصَّقْرِ ، وَأَبِي الْعَبَّاسِ فِي أَبْيَاتٍ ذَكَرَهَا :

فَيَا جَبَلَيْ شَيْبَانَ لَا زِلْتُمَا لَهَا(٢)
حَلِيفَيْ نَخَارٍ فِي الْوَرَى وَتَفَضُّلِ
فَهَذَا لِيَوْمِ الْجُودِ وَالسَّيْفِ وَالْقَنَا
وَأَنْتَ لِبَسْطِ الْعِلْمِ غَيْرَ مُبَخَّلِ
عَلَيْكَ أَبَا الْعَبَّاسِ كُلُّ مُعَوَّلٍ
لِأَنَّكَ بَعْدَ اللهِ خَيْرُ مُعَوَّلِ
فَكَكْتَ حُدُودَ النَّحْوِ بَعْدَ انْغِلَاقِهِ
وَأَوْضَحْتَهُ شَرْحًا وَتِبْيَانَ مُشْكِلِ

(١) أى عظيما (٢) وردت لو وضع بدل لازلتما ، وهذا بدل أنت فى البيت الثانى . وفتحت بدل فككت فى البيت الرابع « عبد الخالق »

فَكَمْ سَاكِنٍ فِي ظِلِّ نِعْمَتِكَ الَّتِي
عَلَى الدَّهْرِ أَبْقَى مِنْ ثَبِيرَ (١) وَيَذْبُلِ (٢)
فَأَصْبَحْتَ لِلْإِخْوَانِ بِالْعِلْمِ نَاعِشاً
وَأَخْصَبْتَ مِنْهُ مَنْزِلًا بَعْدَ مَنْزِلِ

وَذَكَرَ التَّارِيخِيُّ وَفَاةَ ثَعْلَبٍ كَمَا تَقَدَّمَ . قَالَ : وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا يَرْثِيهِ :

مَاتَ ابْنُ يَحْيَي فَمَاتَتْ دَوْلَةُ الْأَدَبِ
وَمَاتَ أَحْمَدُ أَنْحَى (٣) الْعُجْمِ وَالْعَرَبِ
فَإِنْ تَوَلَّى أَبُو الْعَبَّاسِ مُفْتَقَدًا
فَلَمْ يَمُتْ ذِكْرُهُ فِي النَّاسِ وَالْكُتُبِ

---

(١) ثبير بفتح ثم كسر : من أعظم جبال مكة ، بينها وبين عرفة ، وسمى ثبيرا برجل من هذيل ، مات فى ذلك الجبل ، فعرف الجبل به ، واسم الرجل ثبير قاله أبو نصر . ا . هـ . ملخصا من معجم البلدان ج ٣ ص ٦

(٢) يذبل بالفتح ثم السكون ، والباء الموحدة مضمومة : جبل مشهور الذكر بنجد فى طريقها . وقال أبو زياد : هو جبل لباهلة ، وله ذكر فى شعرهم ، من ذلك قول النابغة الجعدى :

مرحت وأطراف الكلاليب تتقى … فقد عبط الماء الحميم وأسهلا
فان كنت قد تلجا لتنقل مجدنا … لنبرة فانقل ذا المناكب يذبلا

(٣) العالم بالنحو ، أى أعلم العرب والعجم بهذا العلم «منصور»

وَلِلتَّارِيخِيِّ فِي ثَعْلَبٍ شِعْرٌ رَثَاهُ بِهِ ، نَذْكُرُهُ فِي بَابِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تعالَى . قَالَ التَّارِيخِيُّ :

وَحَدَّثَنِي أَبُو الْحُصَيْنِ الْبَجَلِيُّ قَالَ : تَقُولُ أَهْلُ الْكُوفَةِ : لَنَا ثَلَاثَةُ فُقَهَاءَ فِي نَسَقٍ ، لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُمْ : أَبُو حَنِيفَةَ ، وَأَبُو يُوسُفَ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ . وَلَنَا ثَلَاثَةُ نَحْوِيِّينَ كَذَلِكَ ، وَهُمْ : أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ الْكِسَائِيُّ ، وَأَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ الْفَرَّاءُ ، وَأَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبٌ . آخِرُ مَا نَقَلْنَاهُ مِنْ كِتَابِ التَّارِيخِيِّ .

وَذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ فِي كِتَابِ الْفِهْرِسْتِ ، وَقَالَ : لَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ الْمَصُونِ فِي النَّحْوِ جَعَلَهُ حُدُودًا ، كِتَابُ اخْتِلَافِ النَّحْوِيِّينَ ، كِتَابُ مَعَانِي الْقُرْآنِ ، كِتَابٌ مُخْتَصَرٌ فِي النَّحْوِ سَمَّاهُ الْمُوَفَّقِي ، كِتَابُ الْقِرَاءَاتِ ، كِتَابُ مَعَانِي الشِّعْرِ ، كِتَابُ التَّصْغِيرِ ، كِتَابُ مَا يَنْصَرِفُ وَمَا لَا يَنْصَرِفُ ، كِتَابُ مَا يُجْزِي وَمَا لَا يُجْزِي ، كِتَابُ الشَّوَاذِّ ، كِتَابُ الْوَقْفِ وَالِابْتِدَاءِ ، كِتَابُ الْهِجَاءِ (١) ، كِتَابُ

(١) فى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد : الهيجاء . ولعل المراد بالهجاء ، فن رسم الحروف «عبد الخالق»

اسْتِخْرَاجِ الْأَلْفَاظِ مِنَ الْأَخْبَارِ ، كِتَابُ الْأَوْسَطِ ، كِتَابُ غَرِيبِ الْقُرْآنِ لَطِيفٌ ، كِتَابُ الْمَسَائِلِ ، كِتَابُ حَدِّ النَّحْوِ ، كِتَابُ تَفْسِيرِ كَلَامِ ابْنَةِ الْخُسِّ (١) كِتَابُ الْفَصِيحِ (٢) وَذَكَرَ أَنَّ الْفَصِيحَ تَصْنِيفُ ابْنِ دَاوُدَ الرَّقِّيِّ ، وَادَّعَاهُ ثَعْلَبٌ وَهَذَا (٣) لَهُ تَرْجَمَةٌ .

قَالَ : وَلِأَبِي الْعَبَّاسِ مُجَالَسَاتٌ وَأَمَالٍ أَمْلَاهَا عَلَى أَصْحَابِهِ فِي مَجَالِسِهِ ، تَحْتَوِي عَلَى قِطْعَةٍ مِنَ النَّحْوِ ، وَاللُّغَةِ ، وَالْأَخْبَارِ ، وَمَعَانِي الْقُرْآنِ ، وَالشِّعْرِ ، رَوَاهَا عَنْهُ جَمَاعَةٌ . وَعَمِلَ أَبُو الْعَبَّاسِ قِطْعَةً مِنْ دَوَاوِينِ الْعَرَبِ ، وَفَسَّرَ غَرِيبَهَا كَالْأَعْشَى وَالنَّابِغَتَيْنِ (٤) وَغَيْرِهِمْ . وَسُئِلَ ثَعْلَبٌ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِمْ ، لَا أُكَلِّمُكَ أَصْلًا ، فَقَالَ : مَعْنَاهُ أَقْطَعُ ذَلِكَ مِنْ أَصْلِهِ وَأَنْشَدَ :

بِأَهْلِي مَنْ لَا يَقْطَعُ الْبُخْلُ رَغْبَتِي
إِلَيْهِ وَمَنْ يَزْدَادُ عَنْ رَغْبَتِي بُخْلَا

(١) هي هند بنت الخس الايادية كانت معروفة بالفصاحة وقوة الجلد على محاورة من يحاورها وكانت تبذهم فى كثير منها . (٢) قد ترك المؤلف من الكتب المذكورة فى الفهرست : كتاب الامثال ، وكتاب الايمان ، وكتاب الدواهي (٣) ولعله : « وجعل » (٤) يريد النابغة الذبيانى ، والنابغة الجعدى .

وَمَنْ قَدْ لَحَانِي (١) النَّاسُ فِيهِ فَأَكْثَرُوا
عَلَيَّ فَكُلُّ النَّاسِ مُضْطَغِنٌ ذَحْلَا

وَأَمْنَحُهُ صَفْوَ الْهَوَى وَلَوَ أَنَّهُ
عَلَى الْبَحْرِ يَسْقِي مَا سُقِيتُ بِهِ سَجْلَا (٢)

وَمَا زِلْتِ تَعْتَادِينَ وُدِّي بِالْمُنَى
وَبِالْبُخْلِ حَتَّى قَدْ ذَهَبْتِ بِهِ أَصْلَا (٣)

قَرَأْتُ فِي أَمَالِي أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ، بْنِ الْقَاسِمِ الْأَنْبَارِيِّ:
أَنْشَدَنَا أَبُو بَكْرٍ لِأَحْمَدَ بْنِ يَحْيَ النَّحْوِيِّ:

إِذَا كُنْتَ قُوتَ النَّفْسِ ثُمَّ هَجَرْتَهَا
فَلَمْ تَلْبَثُ النَّفْسُ الَّتِي أَنْتَ قُوتُهَا؟

سَتَبْقَى بَقَاءَ الضَّبِّ فِي الْمَاءِ أَوْ كَمَا
يَعِيشُ لَدَى دَيْمُومَةٍ (٤) الْبِيدِ حُوتُهَا

قَالَ: وَزَادَنَا أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْبَرَاءِ:

---

(١) لحانى : لامنى ، ومضطغن : أى بهم ضغينة وحقد ، وذحلا أى ثأراً
(٢) السجل : الدلو (٣) لو أن الرواية ، وبالمطل بدل من البخل
(٤) الديموم والديمومة : الفلاة الواسعة ، والمفازة التى لاماء فيها

أَغَرَّكَ أَنِّى قَدْ تَصَبَّرْتُ جَاهِداً
وَفِى النَّفْسِ مِنِّى مِنْكَ مَاسَيُمِيتُهَا
فَلَوْ كَانَ مَابِى بِالصُّخُورِ لَهَدَّهَا
وَبِالرِّيحِ مَاهَبَّتْ وَطَالَ خُفُوتُهَا
فَصَبْراً لَعَلَّ اللهَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا
فَأَشْكُو هُمُوماً مِنْكَ كُنْتُ لَقِيتُهَا

كَذَا كَانَ فِى الْكِتَابِ، وَلَا أَدْرِى، أَهَذَا الشِّعْرُ لِثَعْلَبٍ أَمْ أَنْشَدَهُ لِغَيْرِهِ؟ إِلَّا أَنَّهُ[1] فِى هَذَا الْكِتَابِ لِأَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى كَمَا تَرَى:

﴿ ٢٨ — أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى، بْنِ عَلِيٍّ، بْنِ يَحْيَى ﴾
« ابْنِ أَبِى مَنْصُورٍ * »

أحمد المنجم — الْمُنَجِّمُ أَبُو الْحَسَنِ، قَدْ ذَكَرْنَا آبَاءَهُ فِى أَبْوَابِهِمْ،

(١) كانت فى الاصل: « إلا أن » فأصلحناه إلى ماذكر

(*) ترجم له فى كتاب فهرست ابن النديم ص ٢٠٥ بما يأتى:
ولد سنة إحدى وأربعين ومائتين، ومات ليلة الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول، سنة ثلاثمائة، ونادم الموفق، ومن بعده من الخلفاء، وكان متكلما، معتزل المذهب، . وله فى ذلك كتب كثيرة، وكان له مجلس يحضره جماعة من المتكلمين بالحضرة، فمن كتبه: كتاب الباهر فى أخبار —

وَكَانَ أَبُو الْحَسَنِ هَذَا ، أَدِيباً ، شَاعِراً ، فَاضِلًا ، عَالِماً ، أَحَدَ رُؤَسَاءِ زَمَانِهِ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ ، وَعُلُومِ الدِّينِ ، وَالِافْتِنَانِ فِي الْآدَابِ . مَاتَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، عَنْ نَيِّفٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً ، وَلَهُ أَخْبَارٌ مَعَ الرَّاضِي فِي مُنَادَمَتِهِ إِيَّاهُ ، ذَكَرَ ذَلِكَ كُلَّهُ الْمَرْزُبَانِيُّ فِي الْمُعْجَمِ . قَالَ ثَابِتٌ : وَفِي ذِي الْحِجَّةِ كَانَتْ وَفَاتُهُ ، وَمَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَكَانَ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ أَبُوهُ ، قَدْ صَنَّفَ كِتَاباً فِي أَخْبَارِ الشُّعَرَاءِ الْمُخَضْرَمِينَ (١) ، فَأَتَمَّهُ ابْنُهُ هَذَا (٢) . وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ أَخْبَارِ أَهْلِهِ وَنَسَبِهِمْ ، كِتَابُ الْإِجْمَاعِ

— شعراء مخضرمي الدولتين ، ابتدأ فيه ببشار ، وابن هرمة ، وطريح ، وابن ميادة ، ومسلم ، وإسحاق بن إبراهيم ، وأبى هفان ، ويزيد بن الطثرية ، وآخر ما عمل مروان بن أبي حفصة ، ولم يتمه ، وتممه ابنه أبوالحسن ، أحمد بن يحيى ، وعزم على أن يضيف إلى كتاب أبيه ، سائر الشعراء المحدثين ، فعمل منهم أبا دلامة ، ووالبة بن الحباب ، ويحيى بن زياد ، ومطيع بن إياس ، وأبا على البصير ، وكان أبو الحسن متكلما ، فقيهاً ، على مذهب أبي جعفر فى الفقه ، ولأبى الحسن كتب ألفها سوى ما تقدم ، ذكرها ياقوت .

وله ترجمة أخرى فى كتاب تاريخ بغداد . جزء ٥ ص ٢١٥ —

(١) المخضرم : من أدرك الجاهلية والاسلام

(٢) وصف صاحب الفهرست فى ص ١٤٣ ، هذا الكتاب

فِي الْفِقْهِ ، عَلَى مَذْهَبِ ابْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ ، وَكَانَ يَرَى رَأْيَهُ .
كِتَابُ الْمَدْخَلِ إِلَى مَذْهَبِ الطَّبَرِيِّ وَنُصْرَةِ مَذْهَبِهِ ،
كِتَابُ الْأَوْقَاتِ ، وَأَبُو الْحَسَنِ هَذَا ، هُوَ الْقَائِلُ فِيمَا رَوَاهُ
الْمَرْزُبَانِيُّ :

يَاسَيِّداً قَدْ رَاحَ فَرْ
داً مَالَهُ فِي الْفَضْلِ تَوْءَمْ (١)
عُمِّرْتَ أَطْوَلَ مُدَّةٍ
تَزْدَادُ تَمْكِيناً وَتَسْلَمْ (٢)
فِي صَفْوِ عَيْشٍ لَا تَزَا
لُ بِهِ الْعِدَى تَقْذَى وَتُرْغَمْ
مَازِلْتَ فِي كُلِّ الْأُمُو
رِ مُوَفَّقاً لِلْخَيْرِ مُلْهَمْ
بِكَ إِنْ تُدُوكِرَتِ الْأَيَا
دِي يُبْتَدَا فِيهَا وَيُخْتَمْ

(١) توءم : نظير (٢) جملة دعائية

٢٩ – أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ، بْنِ الْوَزِيرِ ، بْنِ سُلَيْمَانَ ، بْنِ مُهَاجِرٍ *

مَوْلَى قَيْسَبَةَ بْنِ كُلْثُومٍ السُّوقِىّ ، سَمِعَ ابْنَ الْكَلْبِيِّ (١) أحمد بن يحيى الوزير

وَعَبْدَ اللهِ بْنَ وَهْبٍ ، وَكَانَ فَقِيهًا مِنْ جُلَسَاءِ ابْنِ وَهْبٍ ، وَكَانَ عَالِمًا بِالشِّعْرِ ، وَالْأَدَبِ ، وَالْأَخْبَارِ ، وَأَيَّامِ النَّاسِ ، وَالْأَنْسَابِ . يُقَالُ : كَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ ، وَتُوُفِّىَ فِى حَبْسِ ابْنِ الْمُدَبِّرِ ، صَاحِبِ الْخَرَاجِ بِمِصْرَ ، لِخَرَاجٍ

---

(١) كانت بالاصل : يكنى أبا عبد الله بن كايب ، وأصلحناه إلى ماذكر

(*) ترجم له فى بغية الوعاة . ص ١٧٤ بترجمة مسهبة ، عما ترجمه له ياقوت وها كها :

« أحمد بن يحيى بن الوزير ، بن سليمان ، بن المهاجر التجيبى أبو عبد الله المصرى الحافظ النحوى مولاهم » .

أحد الأئمة ، روى عن عبد الله بن وهب ، وشعيب بن الليث ، وأصبغ ابن الفروج ، وجماعة . روى عنه النسائى . وقال ثقة ، والحسين بن يعقوب المصرى ، وأبو بكر بن أبى داود ، وآخرون : ولد سنة إحدى وسبعين ومائة ، وكان من أعلم أهل زمانه بالشعر ، والادب ، والغريب ، وأيام الناس ، وصاحب الشافعى ، وتفقه له . وكان يتقبل فيما ذكر بعضهم ، أى يستأجر الاراضى للزراعة ، ويعمل الفلاحة ، فانكسر عليه بعض الخراج ، فحبسه أحمد بن محمد ، بن المدبر ، على ما انكسر عليه ، فمات فى السجن ، لست خلون من شوال سنة إحدى وخمسين ومائتين ، فيما ذكره بعضهم ، وذكر آخرون : أنه إنما مات سنة خمسين ومائتين فى الشهر المذكور فى السجن بمصر . واقتصر الحافظ بن حجر ، على سنة خمس وستين . قال زكريا الساجى عنه : ما شرب الشافعى من كوز مرتين ، ولا عاد فى جماع جارية مرتين .

كَانَ عَلَيْهِ ، وَدُفِنَ يَوْمَ الْأَحَدِ لِاثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ لَيْلَةٍ خَلَتْ مِنْ شَوَّالٍ ، سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَكَانَ (١) مِنْ أَهْلِ مِصْرَ ذَكَرَ (٢) ابْنُ يُونُسَ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي تَارِيخِ مِصْرَ .

﴿ ٣٠ — أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ، بْنِ سَهْلِ بْنِ السُّدِّيِّ (٣) ، الطَّائِيُّ * ﴾

أحمد الطائى

أَبُو الْحَسَنِ الْمَنْبِجِيُّ (٤) ، الشَّاهِدُ ، الْمُقْرِئُ ، النَّحْوِيُّ ، الْأُطْرُوشُ ، ذَكَرَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ ، وَكَانَ وَكِيلًا فِي الْجَامِعِ . مَاتَ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . رَوَى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَأَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ فَارِسٍ ، الْأَدِيبِ الْمَنْبِجِيِّ ، وَأَبِي الْحَسَنِ ، نَظِيفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْمُقْرِىءِ ، وَغَيْرِهِمْ . وَكَانَ يَحْفَظُ مِنْ أَخْبَارِ أَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ خَالَوَيْهِ النَّحْوِيِّ ، وَكَانَ ثِقَةً ، قَالَ ابْنُ عَسَاكِرَ : أَنْشَدَنِي ابْنُ الْأَكْفَانِيِّ ، عَنِ ابْنِ الْكَتَّانِيِّ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى ، بْنِ سَهْلٍ

---

(١) كانت فى الاصل « وكل » فأصلحناه الى ما ذكر (٢) وفى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد « ذكره » (٣) نسبة إلى قرية بالرى تسمى « السد » بضم السين وتشد الدال : منها على فرسخين كما قاله الاصطخرى معجم البلدان ج ٥ ص ٤٨

(٤) بفتح وسكون ، وباء موحدة مكسورة : هو بلد قديم ، وما أظنه إلا روميا . معجم البلدان ج ٨ ص ١٦٩

(*) راجع بغية الوعاة ص ١٧٢

الْمَنْبِجِىُّ ، أَنْشَدَنِى أَبُو الْعَبَّاسِ ، أَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ الْأَدِيبُ ، أَنْشَدَنِى ابْنُ طَبَاطَبَا لِنَفْسِهِ :

حَسُودٌ مَرِيضُ الْقَلْبِ يُخْفِى أَنِينَهُ
وَيُضْحِى كَئِيبَ الْبَالِ مِنِّى حَزِينَهُ

يَلُومُ عَلَى أَنْ رُحْتُ لِلْعِلْمِ طَالِبًا
أُقَلِّبُ مِنْ كُلِّ الرُّوَاةِ فُنُونَهُ

وَأَخْتَارُ أَبْكَارَ الْكَلَامِ وَعُونَهُ[1]
وَأَحْفَظُ مِمَّا أَسْتَفِيدُ عُيُونَهُ[2]

وَيَزْعُمُ أَنَّ الْعِلْمَ لَا يَجْلِبُ الْغِنَى
وَيُحْسِنُ بِالْجَهْلِ الذَّمِيمِ ظُنُونَهُ

فَيَا لَائِمِى دَعْنِى أُغَالِى بِقِيمَتِى
فَقِيمَةُ كُلِّ النَّاسِ مَا يُحْسِنُونَهُ

(١) العوان : ضد الابكار ، والجمع عون ، قال تعالى « لا فارض أى مسنة ولا بكر عوان بين ذلك »

(٢) أى جيده وأحسنه

٣١ – أَحْمَدُ بْنُ يَزِيدَ ، بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ ، أَبُو جَعْفَرٍ ، *

أحمد المهلبي

أَدِيبٌ ، شَاعِرٌ ، رَاوِيَةٌ ، لَهُ قَصِيدَةٌ مَدَحَ فِيهَا الْمُوَفَّقَ ، وَهَنَّأَهُ بِفَتْحِ مِصْرَ ، مِنْهَا :

قُلْ لِلْأَمِيرِ هَنَاكَ النَّصْرُ وَالظَّفَرُ
وَفِيهِمَا لِلْإِلَهِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ
مَا فَوْقَ فَتْحِكَ فَتْحٌ فِي الزَّمَانِ كَمَا
مَا فَوْقَ فَخْرِكَ يَوْمَ الْفَخْرِ مُفْتَخَرُ

٣٢ – أَحْمَدُ بْنُ يَعْقُوبَ ، بْنِ يُوسُفَ ، أَبُو جَعْفَرٍ *

أحمد بن يعقوب الأصبهاني

النَّحْوِيُّ ، الْمَعْرُوفُ بِبرْزَوَيْهِ الْأَصْبَهَانِيُّ ، مَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ الْخَطِيبُ ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فِي أَيَّامِ الْمُطِيعِ ، فَكَانَ يُعْرَفُ بِغُلَامِ نِفْطَوَيْهِ . أَخَذَ عَنْ أَبِي خَلِيفَةَ

(*) لم نعثر على من ترجم له غير ياقوت فيما رجعنا إليه من مظان .

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة ص١٧٥ وسأذكر ما لم يذكره ياقوت ، قال : روى عن عمر بن أيوب السقطى ، وعنه أبو الحسن بن شاذان ، وباقى الترجمة كما أورده ياقوت .

الْفَضْلِ بْنِ الْحُبَابِ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيِّ ، وَغَيْرِهِمَا .

٣٣ – أَحْمَدُ بْنُ يَعْقُوبَ ، بْنِ نَاصِحٍ الْأَصْبَهَانِيُّ *

أحمد الاصبهانى

الْأَدِيبُ ، أَبُو بَكْرٍ النَّحْوِيُّ ، ذَكَرَهُ الْحَاكِمُ فَقَالَ : هُوَ نَزِيلُ نَيْسَابُورَ ، وَسَمِعَ بِأَصْبَهَانَ مُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى ، بْنِ مَنْدَةَ الْأَصْبَهَانِيَّ وَأَقْرَانَهُ . مَاتَ بِنَيْسَابُورَ قبلَ الْخَمْسِينَ ، وَبَعْدَ الْأَرْبَعِينَ وَالثَّلَاثِمِائَةَ ، وَكَتَبَ عَنْهُ الْحَاكِمُ ، وَأَسْنَدَ إِلَيْهِ فِي كِتَابِهِ حَدِيثَيْنِ .

٣٤ – أَحْمَدُ بْنُ أَبِي يَعْقُوبَ ، إِسْحَقَ بْنِ جَعْفَرٍ *

أحمد الاخبارى

ابْنِ وَهْبٍ ، بْنِ وَاضِحٍ الْأَخْبَارِيُّ الْعَبَّاسِيُّ ، ذَكَرَهُ

(*) ترجم له فى بغية الوعاة ص ١٧٥ بما يأتى :
قال الحاكم : سمع ابن مندة ، وأقرانه ، ومات سنة نيف وأربعين وثلاثمائة ،
قلت : تقدم فى المحدثين ، محمد بن يعقوب ، بن ناصح الاصبهانى ، النحوى ، ووفاته كهذا ، فلا أدرى أهما واحد ، أم لا ؟ وقد ذكرهما اثنين الحاكم ، والله أعلم .

(*) ترجم له فى كتاب الأعلام ج ١ ص ٨٦
من أبناء موالى المنصور العباسى :
مؤرخ جغراف ، كثير الاسفار ، من أهل بغداد ، له كتب جيدة منها .
« تاريخ اليعقوبى » جزءان انتهى بهما إلى خلافة المعتمد على الله العباسى ،
« كتاب البلدان » .

أَبُو عُمَرَ ، مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ ، بْنِ يَعْقُوبَ الْمِصْرِيُّ الْكِنْدِيُّ ، الْمُؤَرِّخُ فِي تَارِيخٍ لَهُ ، ابْتَدَأَهُ بِسَنَةِ ثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، قَالَ : إِنَّ أَحْمَدَ بْنَ إِسْحَقَ بْنِ وَاضِحٍ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ ، تُوُفِّيَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَلَهُ تَصَانِيفُ كَثِيرَةٌ ، مِنْهَا : كِتَابُ التَّارِيخِ كَبِيرٌ ، كِتَابُ أَسْمَاءِ الْبُلْدَانِ مُجَلَّدٌ ، وَكِتَابٌ فِي أَخْبَارِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ صَغِيرٌ ، كِتَابُ مُشَاكَلَةِ النَّاسِ لِزَمَانِهِمْ .

﴿ ٣٥ – أَحْمَدُ بْنُ أَبِي يَعْقُوبَ ، يُوسُفَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ * ﴾

يُعْرَفُ بِابْنِ الدَّايَةِ ، كَانَ أَبُوهُ وَلَدَ دَايَةِ ابْنِ الْمَهْدِيِّ ، وَأَظُنُّ أَنَّ الْمَعْرُوفَ بِابْنِ الدَّايَةِ ، هُوَ يُوسُفُ ، الرَّاوِي أَخْبَارَ أَبِي نُوَاسٍ ، وَاللهُ أَعْلَمُ . وَكَانَ أَبُوهُ يُوسُفُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، يُكْنَى أَبَا الْحَسَنِ ، وَكَانَ مِنْ جِلَّةِ (١) الْكُتَّابِ بِمِصْرَ ، وَلَا أَدْرِي كَيْفَ كَانَ انْتِقَالُهُ إِلَيْهَا عَنْ بَغْدَادَ ؟ أحمد بن الداية

(١) أى من عظمائهم ، وذوى الاخطار منهم

(*) لم نجد من ترجم له غير ياقوت بعد البحث والاستقراء

وَكَانَ لَهُ مُرُوءَةٌ تَامَّةٌ ، وَعَصَبِيَّةٌ مَشْهُورَةٌ .

قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْعَسَاكِرِيُّ الْحَافِظُ : يُوسُفُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، أَبُو الْحَسَنِ الْكَاتِبُ ، وَأَظُنُّهُ بَغْدَادِيًّا : كَانَ فِي خِدْمَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ ، قَدِمَ دِمَشْقَ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَحَكَى عَنْ عِيسَى بْنِ حَكَمٍ الدِّمَشْقِيِّ ، الطَّبِيبِ النَّسْطُورِيِّ ، وَشَكْلَةَ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ ، وَإِسْمَاعِيلَ ابْنِ أَبِي سَهْلٍ ، بْنِ نُوبَخْتَ ، وَأَبِي إِسْحَقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ ، وَأَحْمَدَ بْنِ رَشِيدٍ الْكَاتِبِ ، مَوْلَى سَلَّامٍ الْأَبْرَشِ ، وَجَبْرَائِيلَ بْنِ بَخْتَيْشُوعَ الطَّبِيبِ ، وَأَيُّوبَ بْنِ الْحَكَمِ الْبَصْرِيِّ ، الْمَعْرُوفِ بِالْكِسْرَوِيِّ ، وَأَحْمَدَ بْنِ هَارُونَ الشَّرَابِيِّ . رَوَى عَنْهُ ابْنُهُ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ ، وَرِضْوَانُ بْنُ أَحْمَدَ ، بْنِ جَالِينُوسَ ، وَكَانَ مِنْ ذَوِي الْمُرُوءَاتِ ، وَصَنَّفَ كِتَابًا فِيهِ أَخْبَارُ الْمُتَطَبِّبِينَ

قَالَ الْحَافِظُ : وَبَلَغَنِي عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ أَحْمَدَ ، بْنِ يُوسُفَ قَالَ : حَبَسَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ ، يُوسُفَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ وَالِدِي

فِي بَعْضِ دَارِهِ ، وَكَانَ اعْتِقَالُ الرَّجُلِ فِي دَارِهِ يُؤْيِسُ مِنْ خَلَاصِهِ ، فَكَادَ سِتْرُهُ أَنْ يُنْتَهَكَ لِخَوْفٍ شَمِلَهُ عَلَيْهِ ، وَكَانَ لَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَبْنَاءِ السِّتْرِ تَتَحَمَّلُ مَئُونَةً مُقِيمَةً لَا تَنْقَطِعُ إِلَى غَيْرِهِ ، فَاجْتَمَعُوا ، وَكَانُوا زُهَاءَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا ، وَرَكِبُوا إِلَى دَارِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ ، فَوَقَفُوا بِبَابٍ لَهُ ، يُعْرَفُ بِبَابِ الْخَيْلِ ، وَاسْتَأْذَنُوا عَلَيْهِ ، فَأَذِنَ لَهُمْ ، فَدَخَلُوا إِلَيْهِ ، وَعِنْدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَعْلَامِ مَسْتُورِي مِصْرَ ، فَابْتَدَءُوا كَلَامَهُ بِأَنْ قَالُوا : قَدِ اتَّفَقَ لَنَا — أَيَّدَ اللهُ الْأَمِيرَ — مِنْ حُضُورِ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ ، « وَأَشَارُوا إِلَى ابْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ وَالْحَاضِرِينَ مَجْلِسَهُ » ، مَا رَجَوْنَا أَنْ يَكُونَ ذَرِيعَةً (١) إِلَى مَا نَسْأَلُهُ ، وَنَحْنُ نَرْغَبُ إِلَى الْأَمِيرِ فِي أَنْ يَسْأَلَهُمْ (٢) عَنَّا لِيَقِفَ عَلَى أَمْرِنَا وَمَنَازِلِنَا ، فَسَأَلَهُمْ عَنْهُمْ ، فَقَالُوا : قَدْ عَرَضَتِ الْعَدَالَةُ (٣)

---

(١) أى وسيلة

(٢) وكانت فى الاصل : « يسألها عنا » فاستصوبنا اصلاحها الى ما ذكر .

(٣) المراد بالعدالة هنا : القضاء والحكم ، بدليل ما يأتى بعد .

عَلَى أَكْثَرِهِمْ ، فَامْتَنَعَ مِنْهَا ، فَأَمَرَهُمْ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ بِالْجُلُوسِ ، وَسَأَلَهُمْ تَعْرِيفَهُ مَا قَصَدُوا لَهُ ، فَقَالُوا : لَيْسَ لَنَا أَنْ نَسْأَلَ الْأَمِيرَ مُخَالَفَةَ مَا يَرَاهُ فِي يُوسُفَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، لِأَنَّهُ أَهْدَى إِلَى الصَّوَابِ فِيهِ ، وَنَحْنُ نَسْأَلُهُ أَنْ يُقَدِّمَنَا إِلَى مَا اعْتَزَمَ عَلَيْهِ فِيهِ ، إِنْ آثَرَ قَتْلَهُ أَنْ يَقْتُلَنَا ، وَإِنْ آثَرَ غَيْرَ ذَلِكَ أَنْ يُبْلِغَهُ ، فَهُوَ فِي سَعَةٍ وَحِلٍّ مِنْهُ ، فَقَالَ لَهُمْ : وَلِمَ ذَلِكَ ؟ فَقَالُوا : لَنَا ثَلَاثُونَ سَنَةً مَا فَكَّرْنَا فِي ابْتِيَاعِ شَيْءٍ مِمَّا احْتَجْنَا إِلَيْهِ ، وَلَا وَقَفْنَا بِبَابِ غَيْرِهِ ، وَنَحْنُ وَاللهِ يَا أَمِيرُ ، نَرْفُضُ (١) الْبَقَاءَ بَعْدَهُ ، وَالسَّلَامَةَ إِنْ شَيْءٌ مَكْرُوهٌ وَقَعَ بِهِ ، وَضَجُّوا (٢) بِالْبُكَاءِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ : — بَارَكَ اللهُ عَلَيْكُمْ — ، فَقَدْ كَافَأْتُمْ إِحْسَانَهُ ، وَجَازَيْتُمْ إِنْعَامَهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَحْضِرُوا يُوسُفَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ ، فَأُحْضِرَ ، فَقَالَ : خُذُوا بِيَدِ صَاحِبِكُمْ وَانْصَرِفُوا ، فَخَرَجُوا مَعَهُ ، وَانْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ .

---

(١) كانت بالاصل : نرغمض البقاء بعده ومن السلامة من شيء مكروه فأصلحت إلى ما ذكر (٢) أى صاحوا ورفعوا أصواتهم الخ

قَالَ أَبُو جعفرٍ أَحْمَدُ بْنُ يوسُفَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ : وَبَعَثَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ فِي السَّاعَةِ الَّتِي تُوُفِّيَ فِيهَا وَالِدِي ، يُوسُفُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، بِخَدَمٍ فهجَمُوا الدَّارَ ، وَطَالَبُوا بِكُتُبِهِ ، مُقَدِّرِينَ أَنْ يَجِدُوا فِيهَا كِتَابًا مِنْ أَحَدٍ مِمَّنْ بِبَغْدَادِ ، فَحَمَلُوا صُنْدُوقَيْنِ ، وَقَبَضُوا عَلَيَّ وَعَلَى أَخِي ، وَصَارُوا بِنَا إِلَى دَارِهِ ، وَأُدْخِلْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ الطَّالِبِيِّينَ ، فَأَمَرَ بِفَتْحِ أَحَدِ الصُّنْدُوقَيْنِ ، وَأَدْخَلَ خَادِمٌ يَدَهُ ، فَوَقَعَ يَدُهُ عَلَى دَفْتَرِ جِرَايَاتِهِ (١) عَلَى الْأَشْرَافِ وَغَيْرِهِمْ ، فَأَخَذَ الدَّفْتَرَ بِيَدِهِ وَتَصَفَّحَهُ ، وَكَانَ جَيِّدَ الِاسْتِخْرَاجِ ، فَوَجَدَ اسْمَ الطَّالِبِيِّ فِي الْجِرَايَةِ ، فَقَالَ لَهُ وَأَنَا أَسْمَعُ : كَانَتْ عَلَيْكَ جِرَايَةٌ لِيُوسُفَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ؟ فَقَالَ لَهُ نَعَمْ : يَا أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، دَخَلْتُ هَذِهِ الْمَدِينَةَ وَأَنَا مُمْلِقٌ (٢) فَأَجْرَى عَلَيَّ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَتَيْ دِينَارٍ ، أُسْوَةً بِابْنِ الْأَرْقَطِ ، وَالْعَقِيقِيِّ ، وَغَيْرِهِمَا . ثُمَّ امْتَلَأَتْ يَدَايَ بِطَوْلِ (٤) الْأَمِيرِ ، فَاسْتَعْفَيْتُهُ (٥) مِنْهَا ، فَقَالَ لِي :

(١) أى عطاياه (٢) أى فقير معدم

(٣) زاد الصفدى فى ترجمة يوسف : ومائة أردب قمحاً

(٤) الطول : الانعام (٥) استعفيت : طلبت منه الاقالة منها

نَشَدْتُكَ اللهَ أَنْ لَا قَطَعْتَ سَبَبًا لِي بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَدَمَّعَ[1] الطَّالِبِيُّ ، فَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ : — رَحِمَ اللهُ — يُوسُفَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ ، ثُمَّ قَالَ : انْصَرِفُوا إِلَى مَنْزِلِكُمْ ، فَلَا بَأْسَ عَلَيْكُمْ ، فَانْصَرَفْنَا فَلَحِقْنَا جَنَازَةَ وَالِدِنَا ، وَحَضَرَ ذَلِكَ الْعَلَوِيُّ ، وَقَضَى حَقَّنَا ، وَقَدْ أَحْسَنَ مُكَافَأَةَ وَالِدِنَا فِي خَلَفِيَّهِ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : أَحْمَدُ بْنُ أَبِي يَعْقُوبَ ، يُوسُفَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، يُعْرَفُ بِابْنِ الدَّايَةِ ، مِنْ فُضَلَاءِ أَهْلِ مِصْرَ وَمَعْرُوفِيهِمْ ، وَمِمَّنْ لَهُ عُلُومٌ كَثِيرَةٌ فِي الْأَدَبِ ، وَالطِّبِّ وَالْنِّجَامَةِ ، وَالْحِسَابِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ . وَكَانَ أَبُوهُ أَبُو يَعْقُوبَ ، كَاتِبَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ وَرَضِيعَهُ ، أَلَّفَ كِتَابًا فِي أَخْبَارِ الطِّبِّ ، مَاتَ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ ، فِي سَنَةِ نَيِّفٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ ، وَأَظُنُّهَا سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ . وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ : سِيرَةُ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ ، كِتَابُ سِيرَاتِهِ إِلَى أَبِي الْجَيْشِ خُمَارَوَيْهِ[2] ،

---

(١) تدمع : سالت دموعه

(٢) كانت فى الاصل : « أبى الجيش حمال » فأصلحناه إلى ما ذكر

كِتَابُ سِيرَةِ هَارُونَ بْنِ أَبِي الْجَيْشِ ، وَأَخْبَارِ غِلْمَانِ بَنِي طُولُونَ ، كِتَابُ الْمُكَافَأَةِ ، كِتَابُ حُسْنِ الْعُقْبَى ، كِتَابُ أَخْبَارِ الْأَطِبَّاءِ ، كِتَابُ مُخْتَصَرِ الْمَنْطِقِ ، أَلَّفَهُ لِلْوَزِيرِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى ، كِتَابُ تَرْجَمَتِهِ ، كِتَابُ الثَّمَرَةِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ الْمُنَجِّمِينَ ، كِتَابُ أَخْبَارِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ ، كِتَابُ الطَّبِيخِ ، وَذَكَرَهُ ابْنُ زُولَاقَ[1] الْحَسَنُ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ ، فَقَالَ : كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ — رَحِمَهُ اللهُ — فِي غَايَةِ الافْتِنَانِ ، أَحَدَ وُجُوهِ الْكُتَّابِ الْفُصَحَاءِ ، وَالْحُسَّابِ وَالْمُنَجِّمِينَ . مجسطي أوقليدسي ، حَسَنُ الْمُجَالَسَةِ ، حَسَنَ الشِّعْرِ ، قَدْ خَرَجَ مِنْ شِعْرِهِ أَجْزَاءٌ . دَخَلَ يَوْماً عَلَى أَبِي الْحَسَنِ ، عَلِيِّ بْنِ الْمُظَفَّرِ الْكَرْخِيِّ ، عَامِلِ خَرَاجِ مِصْرَ ، مُسَلِّماً عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ حَالُكَ يَا أَبَا جَعْفَرٍ ؟ فَقَالَ عَلَى الْبَدِيهَةِ :

يَكْفِيكَ مِنْ سُوءِ حَالِي إِنْ سَأَلْتَ بِهِ
أَنِّي إِلَى ثَوْبِ طِمْرٍ فِي الْكَوَانِينِ[2]

(١) كانت في الاصل : « ابن رولان » وقد أصلحت إلى ما ذكر

(٢) الكوانين جمع كانون : شهر في قلب الشتاء ، وثوب طمر ، بمعنى ثوب بال ، من إضافة الصفة إلى الموصوف ، أو العام إلى الخاص

٣٦ - أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ ، بْنِ الْقَاسِمِ ، بْنِ صُبَيْحٍ (*)

أحمد الكوفى

الْكَاتِبُ الْكُوفِيُّ (١) أَبُوجَعْفَرٍ ، مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، كَانَ يَتَوَلَّى دِيوَانَ الرَّسَائِلِ لِلْمَأْمُونِ ، وَكَانَ أَخُوهُ الْقَاسِمُ بْنُ يُوسُفَ ، يَدَّعِي أَنَّهُ مِنْ بَنِي عِجْلٍ ، وَلَمْ يَدَّعِ أَحْمَدُ ذَلِكَ ، قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ : كَانَ مَوْلًى لِبَنِي عِجْلٍ ، وَمَنَازِلُهُمْ بِسَوَادِ الْكُوفَةِ .

---

(١) كانت فى الاصل القفطى ، ولعلها ذكرت خطأ ، لذلك أبدلناه بالكوفى كما يدل عليه قوله من أهل الكوفة

(*) ترجم له فى تاريخ بغداد صفحة ٢١٦ جزء ٥ بترجمة مسهبة نقتصر فيها على مالم يذكره ياقوت :

« أحمد بن يوسف ، بن القاسم ، بن صبيح ، أبو جعفر الكاتب ، مولى بنى عجل »

كان من أفاضل كتاب المأمون ، وأذكاهم وأفطنهم ، وأجمعهم للمحاسن ، وكان جيد الكلام ، فصيح اللسان ، حسن اللفظ ، مليح الخط ، يقول الشعر فى الغزل ، والمديح ، والهجاء ، وله أخبار مع إبراهيم بن المهدى ، وأبى العتاهية

أخبرنى عمر بن إبراهيم الفقيه ، أخبرنا محمد بن العباس الخزاز ، أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبانى ، — أجازة — أخبرنى محمد بن الفضل المروزى ، قال : قال رجل لاحمد بن يوسف كاتب المأمون : والله ما أدرى أيك أحسن ، ماوليته من خلقك ، أم ماوليته من أخلاقك ؟ ؟ أخبرنا على بن أبى على المعدل ، حدثنا محمد بن عمران المرزبانى ، حدثنا على ابن سليمان الاخفش قال : قال أحمد بن يوسف الكاتب ، رآنى عبد الحميد بن يحيى أكتب خطاً رديا ، فقال لى : إن أردت أن يجود خطك ، فأطل جلفتك واسمنها ، وحرف قطتك وأيمنها ، ثم قال :

إذا جرح الكتاب كان قسيهم دويا وأقلام الدوى لهم نبلا

قال الاخفش :

قوله جلفتك ، أراد فتحة رأس القلم ، أخبرنا أبوعبد الله الحسين ، بن الحسن ، بن محمد ، ابن القاسم المخزومى ، حدثنا أبوبكر . محمد بن يحى الصولى املاء ، حدثنى أحمد بن العباس النوفلى ، قال : حدثنى أبو الحارث النوفلى ، قال الصولى : وقد رأيت أبا الحارث هذا وكان —

وَزَرَ أَحْمَدُ لِلْمَأْمُونِ ، بَعْدَ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ . مَاتَ فِي قَوْلِ الصُّولِيِّ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ ، وَقَالَ غَيْرُهُ : سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ ، وَكَانَ أَبُوهُ يُوسُفُ يُكْنَى أَبَا الْقَاسِمِ ، وَكَانَ يَكْتُبُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيٍّ عَمِّ الْمَنْصُورِ ، وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ وَبَلَاغَةٌ ، وَكَانَ أَحْمَدُ وَأَخُوهُ الْقَاسِمُ ، شَاعِرَيْنِ ، أَدِيبَيْنِ ، وَأَوْلَادُهُمَا جَمِيعاً أَهْلُ أَدَبٍ ، يَطْلُبُونَ الشِّعْرَ وَالْبَلَاغَةَ . حَكَى عَنِ الْمَأْمُونِ وَعَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ يَحْيَى الْكَاتِبِ ، وَحَكَى عَنْهُ ابْنُهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ ، بْنِ

— رجل صدق ، قال : كنت أبغض القاسم بن عبيد الله لمكروه نالنى منه فقلت على لسان بسام وأورد الأبيات الآتية قال الصولى : وإنما أخذه أحمد بن يوسف من قول أبى نواس فى التسوية ، وزاد فى المعنى إرادة وكراهية ، قال أبو نواس : لما مات الرشيد وقام الامين ، يعزى الفضل بن الربيع :

تعز أبا العباس عن خير هالك ... بأكرم حى كان أو هو كائن
حوادث أيام تدور صروفها ... لهن مساو مرة ومحـــاسن
وفى الحى بالميت الذى غيب الثرى ... فلا أنت مغبون ولا الموت غابن

أخبرنا على بن محمد ، بن عبد الله المعدل ، أخبرنا الحسين بن صفوان البزدعى ، حدثنا عبد الله ، بن محمد بن أبى الدنيا ، حدثنا الحسين بن عبد الرحمن قال : أشرف أحمد بن يوسف وهو بالموت على بستان له ، على شاطىء دجلة يجعل يتأمله ، ويتأمل دجلة ، ثم تنفس ، وقال متمثلا :

ما أطيب العيش لولا موت صاحبه ... ففيه ما شئت من عيب لعائبه

قال : فما أنزلناه حتى مات . بلغنى أن أحمد بن يوسف الكاتب ، مات فى سنة ثلاث عشرة ومائتين .

راجع كتاب الاعلام أول ص ٨٧

يُوسُفَ ، وَعَلِيُّ بنُ سُلَيْمَانَ الأَخْفَشُ ، وَغَيرُهُمَا . قَالَ الصُّولِيُّ : لَمَّا مَاتَ أَحْمَدُ بنُ أَبِي خَالِدٍ الأَحْوَلُ ، شَاوَرَ المَأْمُونُ الحَسَنَ ابنَ سَهْلٍ ، فِيمَنْ يَكْتُبُ لَهُ ، وَيَقُومُ مَقَامَهُ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِأَحْمَدَ بنِ يُوسُفَ ، وَبِأَبِي عَبَّادٍ ثَابِتِ بنِ يَحْيَى الرَّازِيِّ ، وَقَالَ : هُمَا أَعْلَمُ النَّاسِ بِأَخْلَاقِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ ، وَخِدْمَتِهِ وَمَا يُرْضِيهِ . فَقَالَ لَهُ : إِخْتَرْ لِي أَحَدَهُمَا ، فَقَالَ الحَسَنُ : إِنْ صَبَرَ أَحْمَدُ عَلَى الخِدْمَةِ ، وَجَفَا لَذَّتَهُ قَلِيلًا ، فَهُوَ أَحَبُّهُمَا إِلَيَّ ، لِأَنَّهُ أَعْرَقُ فِي الكِتَابَةِ ، وَأَحْسَنُهُمَا بَلَاغَةً ، وَأَكْثَرُ عِلْمًا ، فَاسْتَكْتَبَهُ المَأْمُونُ ، وَكَانَ يَعْرِضُ الكُتُبَ وَيُوَقِّعُ ، وَيَخْلُفُهُ أَبُو عَبَّادٍ إِذَا غَابَ عَنْ دَارِ المَأْمُونِ ، مُتَرَفِّعًا عَنِ الحَالِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا أَيَّامَ أَحْمَدَ بنِ أَبِي خَالِدٍ ، وَكَانَ دِيوَانُ الرَّسَائِلِ ، وَدِيوَانُ الخَاتَمِ وَالتَّوْقِيعِ ، وَالأَزِمَّةُ ، إِلَى عَمْرِو بنِ مَسْعَدَةَ ، وَكَانَ أَمْرُ المَأْمُونِ يَدُورُ عَلَى هٰؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ . حَدَّثَ الصُّولِيُّ عَنْ أَبِي الحَارِثِ النَّوْفَلِيِّ قَالَ : كُنْتُ أُبْغِضُ القَاسِمَ بنَ عُبَيْدِ اللهِ لِمَكْرُوهٍ نَالَنِي مِنْهُ ،

وَآلَفُ أَحْمَدَ بْنَ يُوسُفَ الوَزِيرَ ، فَلَمَّا مَاتَ أَخُوهُ الْحَسَنُ ، قُلْتُ عَلَى لِسَانِ ابْنِ بَسَّامٍ :

قُلْ لِأَبِي القَاسِمِ الْمُرَجَّى   قَابَلَكَ الدَّهْرُ بِالْعَجَائِبْ
مَاتَ لَكَ ابْنٌ وَكَانَ زَيْنًا   وَعَاشَ ذُو الشَّيْنِ وَالْمَعَايِبْ
حَيَاةُ هَـذَا كَمَوْتِ هَذَا   فَلَيْسَ تَخْلُو مِنَ الْمَصَائِبْ

وَإِنَّمَا أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ الْـكَاتِبِ ، لِبَعْضِ إِخْوَانِهِ مِنَ الْـكُتَّابِ ، وَقَدْ مَاتَ لَهُ بَبَّغَا ، وَكَانَ لَهُ أَخٌ يَضْعُفُ ، فَـكَتَبَ إِلَيْهِ :

أَنْتَ تَبْقَى وَنَحْنُ طُرًّا فِدَاكَا
أَحْسَنَ اللهُ ذُو الْجَلَالِ عَزَاكَا
فَلَقَدْ جَلَّ خَطْبُ دَهْرٍ أَتَانَا
بِمَقَادِيرَ أَتْلَفَتْ بَبَّغَاكَا
عَجَبًا لِلْمَنُونِ كَيْفَ أَتَتْهَا
وَتَخَطَّتْ عَبْدَ الْحَمِيدِ أَخَاكَا
كَانَ عَبْدُ الْحَمِيدِ أَصْلَحَ لِلْمَوْ
تِ مِنَ الْبَبَّغَا وَأَوْلَى بِذَاكَا

شَمِلَتْنَا الْمُصِيبَتَانِ جَمِيعًا
فَقْدُنَا هَذِهِ وَرُؤْيَةُ ذَاكَا

حدّث أبو القاسم عبدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ، بنِ بَاقيا[1] الكاتبُ ، فى كتابِ مُلَحِ الْمُمالَحَةِ ، قالَ : ولمَّا خرجَ عبدُ اللهِ بنُ طاهرٍ منْ بغدادَ إلى خُراسانَ ، قالَ لابنِه مُحمَّدٍ : إنْ عاشرتَ أحدًا بمدينةِ السَّلامِ ، فعليكَ بأحمدَ ابنِ يُوسُفَ الكاتبِ ، فإنَّ لهُ مُروءةً ، فما عرَّجَ مُحمَّدٌ حينَ انصرفَ منْ توديعِ أبيهِ على شيءٍ ، حتَّى هجمَ على أحمدَ ابنِ يوسفَ فى دارِهِ ، فأطالَ عندَهُ ، ففطِنَ لهُ أحمدُ ، فقالَ : يا جاريةُ غدِّينا ، فأحضرتْ طبقًا وأرغفةً نقيَّةً ، وقدَّمتْ ألوانًا يسيرةً وحلاوةً ، وأُعقِبَ ذلكَ بأنواعٍ منَ الأشربةِ فى زُجاجٍ فاخرٍ ، وآلةٍ حسنةٍ ، وقالَ : يتناولُ الأميرُ منْ أيِّها شاءَ ، ثُمَّ قالَ لهُ : إنْ رأى الأميرُ أنْ يُشرِّفَ عبدَهُ ويجيئَهُ فى غدٍ ، فأنعمْ بذلكَ ، فنهضَ وهوَ

(١) وفى كشف الظنون : ابن مابيا

مُتَعَجِّبٌ مِنْ وَصْفِ أَبِيهِ لَهُ ، وَأَرَادَ فَضِيحَتَهُ ، فَلَمْ يَتْرُكْ قَائِدًا جَلِيلًا ، وَلَا رَجُلًا مَذْكُورًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، إِلَّا عَرَّفَهُمْ أَنَّهُ فِي دَعْوَةِ أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ ، وَأَمَرَهُمْ بِالْغُدُوِّ مَعَهُ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَصَدُوا دَارَ أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ ، وَقَدْ أَخَذَ أُهْبَتَهُ ، وَأَظْهَرَ مُرُوءَتَهُ ، فَرَأَى مُحَمَّدٌ مِنَ النَّضَائِدِ وَالْفُرُشِ ، وَالسُّتُورِ وَالْغِلْمَانِ وَالْوَصَائِفِ مَا أَدْهَشَهُ ، وَكَانَ قَدْ نَصَبَ ثَلَاثَمِائَةِ مَائِدَةٍ ، وَقَدْ حُفَّتْ بِثَلَاثِمِائَةِ وَصِيفَةٍ ، وَنَقَلَ إِلَى كُلِّ مَائِدَةٍ ثَلَاثَمِائَةِ لَوْنٍ فِي صِحَافِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَمَثَارِدِ الصِّينِ [1] ، فَلَمَّا رُفِعَتِ الْمَوَائِدُ ، قَالَ ابْنُ طَاهِرٍ : هَلْ أَكَلَ مَنْ بِالْبَابِ ؟ فَنَظَرُوا ، فَإِذَا جَمِيعُ مَنْ بِالْبَابِ قَدْ نُصِبَتْ لَهُمُ الْمَوَائِدُ ، فَأَكَلُوا ، فَقَالَ : شَتَّانَ بَيْنَ يَوْمَيْكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ « كَذَا فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ ، كَنَاهُ بِأَبِي الْحَسَنِ » فَقَالَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ : ذَاكَ قُوتِي [2] ، وَهَذِهِ مُرُوءَتِي [3] .

(١) لعل المثارد جمع مثرد اسم مكان ، من ثرد الخبز فته ، فهى آنية من الصين

(٢) يريد هذه عادتى فى القوت

(٣) لعل هذه الاعداد ، التى ذكرت فى الوليمة مبالغ فيها ، أو على حد قول القائلين : العدد لا مفهوم له ، يريدون أن مثل هـذا التقدير ، الغرض منه الاشعار بكثرة الانواع المطعومة « عبد الخالق »

وَحَدَّثَ الصُّولِيُّ قَالَ : كَانَ مِنْ أَوَّلِ مَا ارْتَفَعَ بِهِ أَحْمَدُ ابْنُ يُوسُفَ ، أَنَّ الْمَخْلُوعَ (١) لَمَّا قُتِلَ ، أَمَرَ طَاهِرٌ الْكُتَّابَ أَنْ يَكْتُبُوا إِلَى الْمَأْمُونِ ، فَأَطَالُوا ، فَقَالَ طَاهِرٌ ، أُرِيدُ أَخْصَرَ مِنْ هَـذَا ، فَوُصِفَ لَهُ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ ، فَأَحْضَرَهُ لِذَلِكَ ، فَكَتَبَ أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ الْمَخْلُوعَ وَإِنْ كَانَ قَسِيمَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي النَّسَبِ وَاللُّحْمَةِ ، فَقَدْ فَرَّقَ حُكْمُ الْكِتَابِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِي الْوَلَايَةِ وَالْحُرْمَةِ ، لِمُفَارَقَتِهِ عِصْمَةَ الدِّينِ ، وَخُرُوجِهِ عَنْ إِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ابْنِهِ : « يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ، إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ » وَلَا صِلَةَ لِأَحَدٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ ، وَلَا قَطِيعَةَ مَا كَانَتْ فِي ذَاتِ اللهِ .

وَكَتَبْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَدْ قَتَلَ اللهُ الْمَخْلُوعَ ، وَأَحْصَدَ (٢) لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرَهُ ، وَأَنْجَزَ لَهُ وَعْدَهُ ، فَالْأَرْضُ بِأَكْنَافِهَا أَوْطَأُ مِهَادٍ (٣) لِطَاعَتِهِ ، وَأَتْبَعُ شَيْءٍ لِمَشِيئَتِهِ ، وَقَدْ

(١) هو الامين بن الرشيد (٢) أى أحكم

(٣) أى أسهل انقياد لطاعته ، والاكناف جمع كنف : الناحية

وَجهتُ إلى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ بالدُّنيا ، وَهِيَ رَأْسُ المَخلوعِ ، وَبالآخِرَةِ وَهِيَ البُرْدَةُ وَالقَضِيبُ ، والحَمْدُ لِلهِ الآخِذِ لِأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ بِحَقِّهِ ، والكَائِدِ لَهُ مَنْ خَانَ عَهْدَهُ ، وَنَكَثَ عَقْدَهُ ، حَتَّى رَدَّ الأُلْفَةَ ، وَأَقَامَ بِهِ الشَّرِيعَةَ ، وَالسَّلامُ عَلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ ، فَرَضِيَ طَاهِرٌ ذَلِكَ وَأَنْفَذَهُ (١) ، وَوَصَلَ أَحْمَدَ بْنَ يُوسُفَ وَقَدَّمَهُ .

وحَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدُوسَ : أَنَّهُ لَمَّا حُمِلَ رَأْسُ المَخْلوعِ إِلَيْهِ وَهُوَ بِمَرْوَ ، أَمَرَ المَأْمُونُ بِإِنْشَاءِ كِتَابٍ عَنْ طَاهِرِ ابْنِ الحُسَيْنِ ، لِيُقْرَأَ عَلَى النَّاسِ ، فَكَتَبَتْ عِدَّةٌ كُتُبٍ لَمْ يَرْضَهَا المَأْمُونُ ، وَالفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ ، فَكَتَبَ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ هَذَا الكِتَابَ ، فَلَمَّا عُرِضَتِ النُّسْخَةُ عَلَى ذِي الرِّيَاسَتَيْنِ ، رَجَعَ نَظَرَهُ فِيهَا ، ثُمَّ قَالَ لِأَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ : مَا أَنْصَفْنَاكَ ، وَدَعَا بِقَهْرَمَانِهِ (٢) ، وَأَخَذَ القَلَمَ وَالقِرْطَاسَ ، وَأَقْبَلَ يَكْتُبُ بِمَا يُفْرَغُ (٣) لَهُ مِنَ المَنَازِلِ ، وَيُعَدُّ لَهُ فِيهَا مِنَ الفُرُشِ وَالآلَاتِ ،

(١) أى أرسله

(٢) أى أمير الدخل والخرج (٣) يريد ما يخلى ويهيأ لابن يوسف

وَالْكِسْوَةِ وَالْكُرَاعِ [(١)]، وَغَيْرِ ذَلِكَ، ثُمَّ طَرَحَ الرُّقْعَةَ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ، وَقَالَ لَهُ: إِذَا كَانَ فِي غَدٍ فَاقْعُدْ فِي الدِّيوَانِ، وَلْيَقْعُدْ جَمِيعُ الْكُتَّابِ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَاكْتُبْ إِلَى الْآفَاقِ.

وَحَدَّثَ فِيمَا رَفَعَهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: قَالَ: كَثُرَ الطُّلَّابُ لِلصِّلَاتِ [(٢)] بِبَابِ الْمَأْمُونِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ: دَاعِي نَدَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمُنَادِي جَدْوَاكَ، جَمَعَا الْوُفُودَ بِبَابِكَ، يَرْجُونَ نَائِلَكَ الْمَعْهُودَ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُتُّ [(٣)] بِحُرْمَةٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُدْلِي بِخِدْمَةٍ، وَقَدْ أَجْحَفَ بِهِمُ الْمُقَامُ، وَطَالَتْ عَلَيْهِمُ الْأَيَّامُ، فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُنْعِشَهُمْ بِسَيْبِهِ [(٤)]، وَيُحَقِّقَ حُسْنَ ظَنِّهِمْ بِطَوْلِهِ [(٥)]، فَعَلَ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، فَوَقَّعَ الْمَأْمُونُ: الْخَيْرُ مُتَّبَعٌ، وَأَبْوَابُ الْمُلُوكِ مَغَانٍ لِطَالِبِي الْحَاجَاتِ، وَمَوَاطِنُ لَهُمْ، وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ:

---

(١) الكراع : الخيل والبغال والحمير

(٢) الصلات : العطايا

(٣) أى يتوسل ويتقرب

(٤) أى عطائه

(٥) الطول : الانعام

يَسقطُ الطَّيْرُ حيثُ يُلتقطُ الحَبْ

بُ وتَغشى (١) مَنازِلُ الكُرَماءِ

فاكْتُبْ أَسْماءَ مَنْ بِبابِنا مِنْهُمْ، وَاحْكِ مَراتِبَهُمْ، لِيَصِلَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ قَدْرُ اسْتِحْقاقِهِ، وَلا تُكَدِّرْ مَعْرُوفَنا عِنْدَهُمْ بِطُولِ الحِجابِ، وَتَأْخِيرِ الثَّوابِ، فَقَدْ قالَ الشَّاعِرُ:

فَإِنَّكَ لَنْ تَرى طَرْداً لِحُرٍّ

كَإِلْصاقٍ بِهِ طَرَفَ الهَوانِ

حَدَّثَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طاهِرٍ قالَ: كَتَبَ صَدِيقٌ لِأَحْمَدَ ابْنِ يُوسُفَ الكاتِبِ فِي يَوْمِ دَجْنٍ (٢) إِلَيْهِ: يَوْمُنا طَرِيفُ النَّواحِي، رَقِيقُ الحَواشِي، قَدْ رَعَدَتْ سَماؤُهُ، وَبَرَقَتْ وَحَنَّتْ وَارْجَحَنَّتْ (٣) وَأَنْتَ قُطْبُ السُّرُورِ، وَنِظامُ الأُمُورِ، فَلا تُفْرِدْنا مِنْكَ فَنَقِلَّ، وَلا تَنْفَرِدْ عَنَّا فَنَذِلَّ، فَإِنَّ المَرْءَ بِأَخِيهِ كَثِيرٌ، وَبِمُساعَدَتِهِ جَدِيرٌ. قالَ: فَصارَ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ إِلَى

---

(١) أى تزاز وتقصد

(٢) إلباس الغيم الارض وأقطار السماء

(٣) أى تمايلت وتبخترت الغيوم

الرُّجلِ ، وَحضَرَهُمْ مَنْ أَرَادُوا ثُمَّ تغيمتِ السَّماءُ ، فقَالَ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ :

أَرَى غيماً تؤلفهُ جنُوبٌ
وَأَحْسَبُ أَنْ سَيأْتِينا بِهطْلِ

فَعَيْنُ [1] الرَّأْيِ أَنْ تدْعُو [2] بِرِطْلٍ
فَتشْرَبَهُ وَتَدْعُو لِى بِرِطْلِ

وَنَسقِيهِ نَدامانَا جَمِيعًا
فَيَغْتَرِفُونَ [3] مِنْهُ بِغَيْرِ عَقلِ

فَيَوْمُ الْغَيْمِ يَوْمُ الْغَمِّ إِنْ لَمْ
تُبَادِرْ بِالْمُدَامَةِ كُلَّ شغْلِ

وَلَا تُكْرِهْ مُحَرِّمَهَا عَلَيْهَا
فَإِنِّى لَا أَرَاهُ لَهَا بِأَهْلِ

قَالَ فَغَنَّى فِيهِ عَثْعَثٌ [4] اللَّحْنَ الْمَشْهُورَ :

---

(١) فى الأصل الذى فى مكتبة اكسفورد : « يعين »

(٢) فى الأغانى : تأتى

(٣) عبارة الاغانى : فينصرفون ، وربما كانت يغترفون

(٤) عثعث مغن معروف ، كان فى هذا العصر ، قال فى الاغانى : عثعث الاسود

وَأَهْدَى أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ هَدِيَّةً فِي يَوْمِ نَوْرُوزٍ (١) إِلَى الْمَأْمُونِ وَكَتَبَ مَعَهَا :

عَلَى الْعَبْدِ حَقٌّ فَهْوَ لَا بُدَّ فَاعِلُهْ
وَإِنْ عَظُمَ الْمَوْلَى وَجَلَّتْ فَضَائِلُهْ
أَلَمْ تَرَنَا نُهْدِي إِلَى اللهِ مَالَهُ
وَإِنْ كَانَ عَنْهُ ذَا غِنًى فَهْوَ قَابِلُهْ
وَلَوْ كَانَ يُهْدَى لِلْكَرِيمِ بِقَدْرِهِ
لَقَصَّرَ فَضْلُ الْمَالِ عَنْهُ وَنَائِلُهْ (٢)
وَلَكِنَّنَا نُهْدِي إِلَى مَنْ نُعِزُّهُ
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي وُسْعِنَا مَا يُعَادِلُهْ

وَذَكَرَ الْجَهْشَيَارِيُّ قَالَ : كَانَ يَكْتُبُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيٍّ ، يُوسُفُ بْنُ صُبَيْحٍ ، مَوْلَى بَنِي عِجْلٍ ، مِنْ سَاكِنِي سَوَادِ الْكُوفَةِ ، فَذَكَرَ الْقَاسِمُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ صُبَيْحٍ ، أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ : أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَلِيٍّ ، لَمَّا اسْتَتَرَ عِنْدَ أَخِيهِ

(١) عيد من أعيادهم المشهورة ، وهو أول يوم من السنة الشمسية
(٢) فى الاصل : سائله ، فأصلحت إلى ما ذكر

سُلَيْمَانَ بِالْبَصْرَةِ ، عَلِمَ أَنَّهُ لَا وَزَرَ[١] لَهُ مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ[٢] قَالَ : فَلَمْ أَسْتَتِرْ ، وَقَصَدْتُ أَصْحَابَنَا الْكُتَّابَ ، فَصِرْتُ فِي دِيوَانِ أَبِي جَعْفَرٍ ، وَأُجْرِيَ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ عَشْرَةُ دَرَاهِمَ ، قَالَ : فَبَكَّرْتُ يَوْماً إِلَى الدِّيوَانِ قَبْلَ فَتْحِ بَابِهِ ، وَلَمْ يَحْضُرْ أَحَدٌ مِنَ الْكُتَّابِ ، وَإِنِّي لَجَالِسٌ عَلَيْهِ ، إِذْ أَنَا بِخَادِمٍ لِأَبِي جَعْفَرٍ ، قَدْ جَاءَ إِلَى الْبَابِ فَلَمْ يَرَ غَيْرِي ، فَقَالَ لِي : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأُسْقِطَ[٣] فِي يَدِي ، وَخَشِيتُ الْمَوْتَ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يُرِدْنِي . فَقَالَ وَكَيْفَ ؟ فَقُلْتُ : لِأَنِّي لَسْتُ مِمَّنْ يَكْتُبُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَهَمَّ بِالِانْصِرَافِ عَنِّي ، ثُمَّ بَدَا لَهُ فَأَخَذَنِي وَأَدْخَلَنِي ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ دُونَ السِّتْرِ وَكَّلَ[٤] بِي ، وَدَخَلَ وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ ، فَقَالَ لِي : اُدْخُلْ ، فَدَخَلْتُ ، فَلَمَّا صِرْتُ بَابَ الْإِيوَانِ ، قَالَ لِي الرَّبِيعُ : سَلِّمْ عَلَى أَمِيرِ

(١) أى لاملجأ ولا معتصم ولا مفر ، ولا أحد يحميه من أبى جعفر
(٢) يعنى المنصور
(٣) أى خفت أشد الخوف واضطربت
(٤) أى تركنى لآخر

الْمُؤْمِنِينَ ، فَشَمَمْتُ رَائِحَةَ الْحَيَاةِ ، فَسَلَّمْتُ ، فَأَدْنَانِي وَأَمَرَنِي بِالْجُلُوسِ ، ثُمَّ رَمَى إِلَيَّ بِرُبْعِ قِرْطَاسٍ وَقَالَ لِي : اُكْتُبْ وَقَارِبْ بَيْنَ الْحُرُوفِ ، وَفَرِّجْ بَيْنَ السُّطُورِ ، وَاجْمَعْ خَطَّكَ ، وَلَا تُسْرِفْ فِي الْقِرْطَاسِ ، وَكَانَتْ مَعِي دَوَاةٌ شَامِيَّةٌ ، فَتَوَقَّفْتُ عَنْ إِخْرَاجِهَا ، فَقَالَ لِي يَا يُوسُفُ : أَنْتَ تَقُولُ فِي نَفْسِكَ ، أَنَا بِالْأَمْسِ فِي دِيوَانِ الْكُوفَةِ ، أَكْتُبُ لِبَنِي أُمَيَّةَ ، ثُمَّ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَأُخْرِجُ السَّاعَةَ دَوَاةً شَامِيَّةً ، إِنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ فِي الْكُوفَةِ تَحْتَ يَدَيْ غَيْرِكَ ، وَكُنْتَ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيٍّ ، لِي وَمَعِي ، وَالدُّوِيُّ الشَّامِيَّةُ أَدَبٌ جَمِيلٌ ، وَمِنْ أَدَوَاتِ الْكُتَّابِ ، وَنَحْنُ أَحَقُّ بِهَا . قَالَ : فَأَخْرَجْتُهَا ، وَكَتَبْتُ وَهُوَ يُمْلِي ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الْكِتَابِ ، أَمَرَ بِهِ فَأُتْرِبَ وَأُصْلِحَ ، وَقَالَ : دَعْهُ ، وَكِلِ الْعُنْوَانَ إِلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ لِي : كَمْ رِزْقُكَ يَا يُوسُفُ فِي دِيوَانِنَا ؟ فَقُلْتُ : عَشَرَةُ دَرَاهِمَ ، فَقَالَ : قَدْ زَادَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ أُخْرَى ، رِعَايَةً لِحُرْمَتِكَ بِعَبْدِ اللهِ ابْنِ عَلِيٍّ ، وَمَثُوبَةً[1] لَكَ عَلَى طَاعَتِكَ ، وَنَقَاءِ سَاحَتِكَ[2]

(١) أي ومكافأة (٢) أي شرفك وبراءتك

وَأَشْهَدُ أَنَّكَ لَوِ اخْتَفَيْتَ بِاخْتِفَائِهِ ، لَأَخْرَجْتُكَ وَلَوْ كُنْتَ فِي حُجْرَةِ النَّمْلِ ، ثُمَّ زَايَلْتُ[١] بَيْنَ أَعْضَائِكَ ، فَدَعَوْتُ لَهُ ، وَخَرَجْتُ مَسْرُوراً بِالسَّلَامَةِ .

كَانَ لِلْمَأْمُونِ جَارِيَةٌ اسْمُهَا مُؤْنِسَةٌ ، وَكَانَتْ تَعْتَنِي بِأَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ ، وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ يَقُومُ بِحَوَائِجِهَا ، فَأَدَلَّتْ عَلَى الْمَأْمُونِ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهَا ، وَصَارَ إِلَى الشَّمَّاسِيَّةِ[٢] وَلَمْ يَحْمِلْهَا مَعَهُ ، فَاسْتَحْضَرَتْ نَصْرَةَ خَادِمَ أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ ، وَحَمَّلَتْهُ رِسَالَةً إِلَى مَوْلَاهُ بِخَبَرِهَا ، وَسَأَلَتْهُ التَّلَطُّفَ لِإِصْلَاحِ نِيَّةِ الْمَأْمُونِ ، فَلَمَّا عَرَّفَهُ الْخَادِمُ ذَلِكَ ، دَعَا بِدَوَاتِهِ ، وَقَصَدَ الشَّمَّاسِيَّةَ ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَى الْمَأْمُونِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ قَالَ : أَنَا رَسُولٌ ، فَأْذَنْ لِي فِي تَأْدِيَةِ الرِّسَالَةِ ، فَأَنْشَدَهُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ :

---

(١) أى فرقت

(٢) الشماسية نسبة إلى بعض شماسى النصارى ، وهى مجاورة لدار الروم ، التى فى أعلى مدينة بغداد ، وفيها كانت دار معز الدولة ، أبى الحسين أحمد بن بويه ، التى أنفق عليها أموالا طائلة .

قَدْ كَانَ عَتْبُكَ مَرَّةً[1] مَكْتُوماً
فَالْيَوْمَ أَصْبَحَ ظَاهِراً مَعْلُومَا

نَالَ الْأَعَادِي سُؤْلَهُمْ، لَا هُنِّئُوا،
لَمَّا رَأَوْنَا ظَاعِناً وَمُقِيمَا

هَبْنِي أَسَأْتُ فَعَادَةٌ لَكَ أَنْ تُرَى
مُتَجَاوِزاً مُتَفَضِّلاً مَظْلُومَا

قَالَ : قَدْ فَهِمْتُ الرِّسَالَةَ ، فَكُنِ الرَّسُولَ بِالرِّضَا، وَوَجَّهَ بِيَاسِرٍ الْخَادِمِ فَحَمَلَهَا .

وَكَانَ مُوسَى بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فِي نَاحِيَةِ أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ وَهُوَ خَرَّجَهُ ،[2] وَقَدَّمَهُ ، قَالَ الْحَسَنُ بْنُ مَخْلَدٍ : حَدَّثَنِي ، مُوسَى بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَانَ يُرْمَى بِأُبْنَةٍ قَالَ : وَهَبَ لِي أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ ، « وَكَانَ يَعْبَثُ بِمُوسَى بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَيَتَعَشَّقُهُ » ، أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فِي مَرَّاتٍ ، وَكَانَ عَاتَبَهُ فِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْجَهْمِ الْبَرْمَكِيُّ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ :

---

(١) فى الاغانى ج ٢٠ ص ٥٦ : « كوة »
(٢) أى دربه وعلمه

لَا تعذُلنّى (١) يَا أَبَا جَعْفَرٍ
لَوْمُ الْأَخِلَّاء مِنَ اللُّومِ (٢)
إِنَّ اسْتَهُ مُشْرَبَةٌ حُمْرَةً
كَأَنَّهَا وَجْنَةُ مَكْلُومِ

فَتَقَدَّمَ مُحَمَّدٌ إِلَى الْبَجَلِيِّ، وَكَانَ فِي نَاحِيَتِهِ، فَأَجَابَهُ:

لَسْتُ بِلَاحِيكَ عَلَى حُبِّهِ
وَلَسْتَ فِي ذَاكَ بِمَذْمُومِ
لِأَنَّهُ فِي إِسْتِهِ سُخْنَةٌ
كَأَنَّهَا سُخْنَةُ مَحْمُومِ

ذَكَرَ غَرْسُ النِّعْمَةِ فِي كِتَابِ الْهَفَوَاتِ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ، بْنِ طَاهِرِ، بْنِ الْحُسَيْنِ قَالَ: كَانَ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ يَسْقُطُ السَّقْطَةَ بَعْدَ السَّقْطَةِ، فَيُتْلِفُ (٣) نَفْسَهُ فِي بَعْضِ سَقَطَاتِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ حَكَى عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى، بْنِ أَبِي مَنْصُورٍ: أَنَّ الْمَأْمُونَ كَانَ

(١) أى لاتلمنى
(٢) أى من اللؤم
(٣) الاصل: الذى فى مكتبة اكسفورد: « فيلفت »

إِذَا تَبَخَّرَ طُرِحَ لَهُ الْعُودُ وَالْعَنْبَرُ ، فَإِذَا تَبَخَّرَ أَمَرَ بِإِخْرَاجِ الْمِجْمَرَةِ ، وَوَضْعِهَا تَحْتَ الرَّجُلِ مِنْ جُلَسَائِهِ إِكْرَامًا لَهُ ، وَحَضَرَ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ يَوْمًا ، وَتَبَخَّرَ الْمَأْمُونُ عَلَى عَادَتِهِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِوَضْعِ [1] الْمِجْمَرَةِ تَحْتَ أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ ، فَقَالَ: هَاتُوا ذَا الْمَرْدُودَ ، فَقَالَ الْمَأْمُونُ : أَلَنَا يُقَالُ هٰذَا ، وَنَحْنُ نَصِلُ رَجُلًا وَاحِدًا مِنْ خَدَمِنَا بِسِتَّةِ آلَافِ دِينَارٍ ، إِنَّمَا قَصَدْنَا إِكْرَامَكَ ، وَأَنْ أَكُونَ أَنَا وَأَنْتَ ، قَدِ اقْتَسَمْنَا بَخُورًا وَاحِدًا . ثُمَّ قَالَ [2] : يُحْضَرُ عَنْبَرٌ ، فَأُحْضِرَ مِنْهُ شَيْءٌ فِي الْغَايَةِ مِنَ الْجَوْدَةِ ، فِي كُلِّ قِطْعَةٍ ثَلَاثَةُ مَثَاقِيلَ ، وَأَمَرَ أَنْ تُطْرَحَ قِطْعَةٌ فِي الْمِجْمَرِ ، وَيُبَخَّرَ بِهَا أَحْمَدُ ، وَيُدْخَلَ رَأْسُهُ فِي زِيقِهِ [3] حَتَّى يَنْفَدَ بَخُورُهَا ، وَفَعَلَ بِهِ ذٰلِكَ بِقِطْعَةٍ ثَانِيَةٍ ، وَثَالِثَةٍ ، وَهُوَ يَسْتَغِيثُ وَيَصِيحُ ، وَانْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَقَدِ احْتَرَقَ دِمَاغُهُ وَاعْتَلَّ ، وَمَاتَ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ ، وَقِيلَ : أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ .

---

(١) كانت فى الاصل : ثم توضع الجمرة تحت الخ فأصلحت الى ما ذكر

(٢) لعله سقط من الاصل « ثم قال » فزدناها كما ترى

(٣) ما أحاط بالعنق من القميص

وَكَانَتْ لَهُ جَارِيَةٌ يُقَالُ لَهَا نَسِيمٌ، لَهَا مِنْ قَلْبِهِ مَكَانٌ خَطِيرٌ، فَقَالَتْ تَرْثِيهِ :

وَلَوْ أَنَّ مَيتاً هَابَهُ الْمَوْتُ قَبْلَهُ
لَمَا جَاءَهُ الْمِقْدَارُ وَهْوَ هَيُوبُ
وَلَوْ أَنَّ حَيًّا قَبْلَهُ جَازَهُ الرَّدَى
إِذاً لَمْ يَكُنْ لِلأَرْضِ فِيهِ نَصِيبُ

وَقَالَتْ أَيضاً تَرْثِيهِ :

نَفْسِي فِدَاؤُكَ لَوْ بِالنَّاسِ كُلِّهِمِ
مَابِي عَلَيْكَ تَمَنَّوْا (١) أَنَّهُمْ مَاتُوا
وَلِلْوَرَى مَوْتَةٌ فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةٌ
وَلِي مِنَ الْهَمِّ وَالْأَحْزَانِ مَوْتَاتُ

وَمِنْ شِعْرِ أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ كَتَبَ بِهِ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ :

تَطَاوَلَ بِاللِّقَاءِ الْعَهْدُ مِنَّا
وَطُولُ الْعَهْدِ يَقْدَحُ فِي الْقُلُوبِ

(١) وكانت فى الاصل هذا « هتوا » فأصلحت إلى ما ذكر

أَرَاكَ وَإِنْ نَأَيْتَ بِعَيْنِ قَلْبِي
كَأَنَّكَ نُصْبَ عَيْنِي مِنْ قَرِيبِ

فَهَلْ لَكَ فِي الرَّوَاحِ إِلَى حَبِيبٍ
يَقَرُّ بِعَيْنِهِ قُرْبُ الْحَبِيبِ

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ : ـ وَقَدْ شَتَمَهُ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيِ الْمَأْمُونِ ـ ، لِلْمَأْمُونِ ، قَدْ وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، رَأَيْتُهُ يَسْتَمْلِي مِنْ عَيْنَيْكَ مَا يَلْقَانِي بِهِ .

وَكَتَبَ إِلَى إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيِّ ، وَقَدْ أَرَادَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ : مِنْ حَقِّ مَنْ أَنَا عَبْدُهُ ، وَحُجَّتُنَا عَلَيْكَ ، إِعْلَامُنَا إِيَّاكَ ، وَالسَّلَامُ .

عِنْدِي مَنْ تَبْهَجُ الْعُيُونُ بِهِ
فَإِنْ تَخَلَّفْتَ كُنْتَ مَغْبُونَا

وَأَهْدَى إِلَى الْمَأْمُونِ فِي يَوْمِ عِيدٍ هَدِيَّةً وَكَتَبَ مَعَهَا : هَذَا يَوْمٌ جَرَتْ فِيهِ الْعَادَةُ ، بِإِهْدَاءِ الْعَبِيدِ إِلَى السَّادَةِ ، وَقَدْ أَهْدَيْتُ قَلِيلًا مِنْ كَثِيرٍ عِنْدِي ، وَقُلْتُ :

أَهْدَى إِلَى سَيِّدِهِ الْعَبْدُ
مَا نَالَهُ الْإِمْكَانُ وَالْوَجْدُ (١)
وَإِنَّمَا أَهْدَى لَهُ مَالَهُ
يَبْدَأُ هَذَا وَلِذَا رَدُّ

وَمِنْ شِعْرِهِ اللَّطِيفِ :

إِذَا مَا الْتَقَيْنَا وَالْعُيُونُ نَوَاظِرٌ
فَأَلْسُنُنَا حَرْبٌ وَأَبْصَارُنَا سَلْمٌ
وَتَحْتَ اسْتِرَاقِ (٢) اللَّحْظِ مِنَّا مَوَدَّةٌ
تَطَلَّعُ سِرًّا حَيْثُ لَا يَبْلُغُ الْوَهْمُ

وَهُوَ الْقَائِلُ فِي مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ ، بْنِ حَمَّادٍ الْكَاتِبِ ، وَكَانَ يَمِيلُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ صَبِيًّا مَلِيحاً .

صَدَّ عَنِّي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ أَحْسَنُ الْعَالَمِينَ ثَانِيَ جِيدِ
صَدَّ عَنِّي لِغَيْرِ جُرْمٍ إِلَيْهِ لَيْسَ إِلَّا (٣) لِحُبِّهِ فِي الصُّدُودِ

قَالَ : وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ يَكْتُبُ بَيْنَ يَدَيْهِ ،

(١) أى الظفر بالمطلوب ، وفى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد « إلا مكان الوجد »
(٢) كانت فى الاصل : « استرقاق » وهذا لا معنى له فأصلحت إلى ما ذكر
(٣) كانت فى الاصل : لحسنه، فجعلتها لحبه ، للمناسبة بين هذا ولفظ جرم « عبدالخالق »

فَنَظَرَ إِلَى عَارِضِهِ قَدِ اخْتَطَّ فِي خَدِّهِ ، فَأَخَذَ رُقْعَةً وَكَتَبَ فِيهَا :

لَحَاكَ اللهُ مِنْ شَعَرٍ وَزَادَا كَمَا أَلْبَسْتَ عَارِضَهُ الْحِدَادَا
أَغَرْتَ عَلَى تَوَرُّدِ وَجْنَتَيْهِ فَصَيَّرْتَ احْمِرَارَهُمَا سَوَادَا

وَرَمَى بِهَا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ ، فَكَتَبَ مُجِيباً : عَظَّمَ اللهُ أَجْرَكَ فِيَّ يَا سَيِّدِي ، وَأَحْسَنَ لَكَ الْعِوَضَ مِنِّي .

وَمِنْ شِعْرِ أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ :

كَثِيرُ هُمُومِ النَّفْسِ حَتَّى كَأَنَّمَا
عَلَيْهِ كَلَامُ الْعَالَمِينَ حَرَامُ
إِذَا قِيلَ مَا أَضْنَاكَ أَسْبَلَ دَمْعَهُ
يَبُوحُ بِمَا يُخْفِي وَلَيْسَ كَلَامُ

وَعَاشَ[1] الْقَاسِمُ أَخُوهُ بَعْدَهُ ، فَقَالَ يَرْثِيهِ :

رَمَاكَ الدَّهْرُ بِالْحَدَثِ الْجَلِيلِ
فَعَزِّ النَّفْسَ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ

---

(١) وفى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد « أبو القاسم »

أَتَرْجُو سَلْوَةً وَأَخُوكَ ثَاوٍ[١]

بِبَطْنِ الْأَرْضِ تَحْتَ ثَرًى مَهِيلِ

وَلِمِثْلِ أَخِيكَ فَلْتَبْكِ الْبَوَاكِي

لِمُعْضِلَةٍ مِنَ الْخَطْبِ الْجَلِيلِ

وَزِيرُ الْمُلْكِ يَرْعَى جَانِبَيْهِ

بِحُسْنِ تَيَقُّظٍ وَصَوَابِ قِيلٍ[٢]

﴿ ٣٧ — أَخْنَاء* ﴾

أخناء النحوى

هُوَ لَقَبٌ وَلَا أَعْرِفُ اسْمَهُ ، وَلَمْ أَجِدْ لَهُ ذِكْرًا ، إِلَّا مَا ذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ الْمَبْرَمَانُ ، فِي الْبَابِ مِنْ كِتَابِهِ فِي نُكَتِ كِتَابِ سِيبَوَيْهِ ، فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْكَلِمِ وَالْكَلَامِ ، فَقَالَ : وَقَالَ لِي الْمُلَقَّبُ[٣] بِأَخْنَا : وَكَانَ أَحَدَ مَنْ رَأَيْنَا مِنَ النَّحْوِيِّينَ ، الَّذِينَ صَحَّتْ لَهُمُ الْقِرَاءَةُ عَلَى أَبِي عُثْمَانَ الْمَازِنِيِّ ،

---

(١) ثاو : أى مدفون

(١) أى قول

(٣) لعل ياقوت وهم وكان لقب الرجل باحث ، وقد ذكر صاحب الفهرست رجلا اسمه محمد بن سهل ، ولقبه الباحث عن معتاص العلم

(*) راجع بغية الوعاة ص ١٩٠

وَكَانَ مَوْصُوفًا فِي أَوَّلِ نَظَرِهِ بِالْبَرَاعَةِ، مُسَلَّمًا لَهُ لاسْتِغْرَاقِهِ (١) الْكِتَابَ عَلَى أَبِي عُثْمَانَ، ثُمَّ أَدْرَكَتْهُ عِلَّةٌ، فَقَالَ عَنِ الْحَالِ الْأُولَى كَلَامًا (٢) أَنَا حَاكِيهِ، وَرَأَيْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ ثَعْلَبًا يَرُومُ ذَلِكَ، وَهُوَ أَنَّ كُلَّ مَا لُفِظَ بِهِ يَنْقَسِمُ أَقْسَامًا ثَلَاثَةً: قِسْمٌ مِنْهُ يَكُونُ لِلْحَدَثِ، وَلِأَسْمَاءِ الْمُحْدَثِينَ، وَلِأَسْمَاءِ الْأَمْكِنَةِ وَالْأَزْمِنَةِ، الَّتِي تَقَعُ فِيهَا الْأَحْدَاثُ، وَلَا اسْمَ لِلْجِنْسِ فِيهِ، وَذَلِكَ نَحْوُ الضَّرْبِ، وَالْقَتْلِ، وَالْأَخْذِ، وَالْكَلَامِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. فَإِذَا سُئِلْتَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ هَذَا، فَقِيلَ لَكَ: مَا هُوَ؟ فَجَوَابُهُ أَنْ تَذْكُرَ الْحَدَثَ الْمُنْقَضِيَ مَعَ الزَّمَانِ، وَصِنْفٌ مِنْهُ يَكُونُ لِلْأَجْنَاسِ، وَلَا اسْمَ لِلْأَحْدَاثِ فِيهِ، وَلَا يَكُونُ حَدَثًا، وَهُوَ كَقَوْلِكَ: سَفَرْجَلَةٌ وَسَفَرْجَلٌ، فَإِذَا سُئِلْتَ عَنْ ذَلِكَ، فَجَوَابُهُ أَنْ تُخْبِرَ عَنْ صِفَةِ الشَّيْءِ، فَتَقُولَ: هُوَ الَّذِي لَوْنُهُ كَذَا، وَجِسْمُهُ كَذَا، وَمُرَكَّبٌ مِنْ كَذَا، وَصِنْفٌ آخَرُ يَجْمَعُ الْجِنْسَيْنِ، وَذَلِكَ نَحْوُ تَمْرَةٍ وَتَمْرٍ، فَهَذَا مِنْ بَابِ سَفَرْجَلَةٍ

(١) أى استيعاب الكتاب بمعنى قرأه جميعه

(٢) لعله سقط من الاصل «كلاماً» وقد ذكرتها. يريد بالحال، الفرق بين الكلم والكلام

وَسَفَرْجَلٍ ، ثُمَّ تَقُولُ : أَثْمَرَ النَّخْلُ يُثْمِرُ إِثْمَاراً ، فَهَذَا إِنَّمَا هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الْحَدَثِ ، فَإِذَا سُئِلْتَ مَا التَّمْرُ ؟ فَجَوَابُهُ أَنْ تَقُولَ : هُوَ الْجِسْمُ الَّذِي مِنْ صِفَتِهِ كَذَا ، وَمِنْ قَدِّهِ كَذَا ، وَفِي دَاخِلِهِ كَذَا ، وَإِذَا سُئِلْتَ مَا الْإِثْمَارُ ؟ فَجَوَابُهُ أَنَّهُ يَمُرُّ الزَّمَانُ[1] بِحَرِّهِ وَبَرْدِهِ ، وَمَا فِيهِ عَلَى الْبُسْرِ[2] ، فَيَتَغَيَّرُ مِنْ حَالٍ كَذَا إِلَى حَالٍ كَذَا ، ثُمَّ يَلِينُ فَيَصِيرُ فِيهِ الدِّبْسُ[3] ، وَإِنَّمَا تُنْبِيءُ عَنِ الْأَحْدَاثِ الَّتِي تَقَعُ ، وَكَذَا كَلِمَةٌ وَكَلِمٌ ، فِي بَابِ تَمْرَةٍ وَتَمْرٍ ، فَإِذَا قِيلَ لَكَ : مَا الْكَلِمُ ؟ فَالْجَوَابُ هُوَ الْمَوْضُوعُ الْمُتَعَارَفُ بَيْنَ النَّاسِ فَاسْتَعْمَلُوهُ ، وَهُوَ الَّذِي يُسَمُّونَهُ : إِسْمٌ ، وَفِعْلٌ ، وَحَرْفٌ ، فَإِنْ قِيلَ : فَمَا الْكَلَامُ ؟ فَجَوَابُ ذَلِكَ أَنْ نَقُولَ : هُوَ إِجْرَاءُ هَذَا الَّذِي يُسَمُّونَهُ كَلِماً ، وَإِخْرَاجُهُ بِالصَّوْتِ[4] مِنَ الْفَمِ ، فَهُوَ حَدَثٌ ، فَالْكَلَامُ حَدَثٌ ، وَالْكَلِمُ مَوْضُوعُ الْكَلَامِ الَّذِي يُسْتَعْمَلُ ، كَزَيْدٍ ،

---

(١) كانت فى الاصل (أن يمر) فأصلحت إلى ما ذكر (٢) التمر قبل أن ترطب لغضاضته ، واحدته بسرة (٣) الدبس : عسل التمر ونحوه

(٤) كانت بالاصل : « الصواب » ولعل ما ذكر أصح

وَضَرَبَ ، وَهَلْ ، وَبَلْ ، فقدْ جَمَعَ الْكَلِمُ أَمْرَيْنِ ، وَالْكَلَامُ لَيْسَ كَذَلِكَ ، إِنَّمَا هُوَ لِأَمْرٍ وَاحِدٍ .

﴿ ٣٨ – أُسَامَةُ بْنُ سُفْيَانَ ، السَّجْزِيُّ النَّحْوِيُّ * ﴾

أسامة السجزى

مِنْ نُحَاةِ سِجِسْتَانَ وَشُعَرَائِهَا ، ذَكَرَهُ أَبُو الْحَسَنِ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِ الْوِشَاحِ ، وَأَنْشَدَ لَهُ :

أَبَى النَّأْىُ إِلَّا أَنْ يُجَدِّدَ لِي ذِكْرَى
لِمَنْ وَدَّعَتْنِي وَهِيَ لَا تَمْلِكُ الْعَبْرَا

وَقَالَتْ :ـ رَعَاكَ اللهُ ـ مَا خِلْتُ أَنَّنِي
أَرَاكَ تَسَلَّى (١) أَوْ تُطِيقُ لَنَا هَجْرَا

وَكَانَتْ تَرَى فَرْطَ الْعَلَاقَةِ سَاعَةً
تَغَيَّبُهَا عَنَّا وَإِنْ قَصُرَتْ شَهْرَا (٢)

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة ص ١٩١
قال الصفدى : له شعر منحط ، لكنه منسجم ، وباقى الترجمة لم يزد فيها شيئاً على معجم الادباء .
وترجم له أيضاً فى كتاب أنباه الرواة ص ٢٢٣ بما يأتى :
من نحاة سجستان فى العهد القريب ، وكان متصدراً هناك لافادة العربية وطالبيها ، وله شعر مذكور ، إلا أنه كشعر النحاة ، أورده ياقوت فى ترجمته

(١) تسلى : أصلها تتسلى : أى تتصبر

(٢) فرط مفعول لاجله يرى أنها تحسب الساعة وإن كانت قليلة شهراً لفرط العلاقة بيننا

وَتجزعُ مِنْ وَشْكِ الفِرَاقِ فما لَهَا
عَلَى فُرْقَةِ الأَحْبَابِ أَنْ تُظهِرَ الصَّبْرَا

وَمِنْهَا فِي الْمَدِيحِ :

وَزِيرٌ يَرَى الْمَعْرُوفَ يَجْمُلُ ذِكْرُهُ
فَأَرْسَلَ بَيْنَ النَّاسِ مَعْرُوفَهُ غَمْرَا (١)
فَمَا أَقْلَعَتْ يَوْماً غَمَامَةُ جُوْدِهِ
وَلَا قَطَرَتْ رَشّاً (٢) وَلَا أَخْطَأَتْ قَطْرَا
وَمَا اخْتَصَّ يَوْماً حَاضِراً دُونَ غَائِبٍ
بِرِفْدٍ (٣) وَلَا ذَا فَاقَةٍ (٤) دُونَ مَنْ أَثْرَى
وَقَدْ أَمَّهُ الرَّاجُونَ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ
فَأَرْبَى مُرَجَّاهُمْ (٥) بِوَاحِدَةٍ عَشْرَا
وَقَدْ كَانَ يُعْطِيهِمْ وَهُمْ فِي دِيَارِهِمْ
وَلَكِنْ هَوِي أَنْ يَجْمَعَ الرِّفْدَ وَالْبِشْرَا

(١) غمر الماء الشيء : علاه ، والرجل فلاناً بمعروفه : بالغ فى الاحسان إليه

(٢) أى مطراً قليلا

(٣) أى عطاء (٤) الفاقة : الفقر

(٥) يريد : بالغ فى إكرامهم ، حتى رأوا ما نالوا أضعاف أضعاف ما أملوا ، بل أكثر ، إذ رأوا أملهم صار عشرة أمثاله

رَأَى مَالَهُ مَالَ العِدَى فَأَبَادَهُ
فَلَمْ يُبْقِ مِنْهُ لَا وَلَا مِنْهُمُ أَثَرَا

﴿ ٣٩ – أُسَامَةُ بْنُ مُرْشِدِ ، بْنِ مَقْلَدٍ* ﴾

أسامة بن منقذ

ابْنِ نَصْرِ ، بْنِ مُنْقِذِ ، بْنِ مُحَمَّدِ ، بَنِ مُنْقِذِ ، بْنِ نَصْرِ ،

(*) ترجم له فى وفيات الاعيان جزء أول صفحة ٦٣ بما يأتى :

« أبو المظفر ،أسامة بن مرشد، بن على،بن مقلد، بن نصر ، بن منقذ الكنانى الكلبى الشيزرى الملقب بمؤيد الدولة مجد الدين »

من أكابر بنى منقذ.أصحاب قلعة شيزر ، وعلمائهم وشجعانهم،له تصانيف عديدة فى فنون الادب ، ذكره أبوالبركات بن المستوفى فى تاريخ أربل ، وأثنى عليه، وعده فى جملة من ورد عليه، وأورد له مقاطيع من شعره ، وذكره العماد الكاتب فى الخريدة ، وقال بعد الثناء عليه : سكن دمشق ، ثم نبت به كما تنبو الدار بالكريم ، فانتقل إلى مصر فبقى بها مؤمرا مشاراً إليه بالتعظيم ، إلى أيام الصالح بن رزيك ، ثم عاد إلى الشام ، وسكن دمشق ثم رماه الزمان إلى حصن كيفا. فأقام بها حتى ملك السلطان صلاح الدين « رحمه الله » دمشق . فاستدعاه وهو شيخ قد جاوز الثمانين ، وقال غير العماد : إن قدومه مصر ، كان فى أيام الظافر بن الحافظ ، والوزير يومئذ العادل بن السلار ، فأحسن إليه ، وعمل عليه حتى قتل حسبما هو مشروح فى ترجمته . قلت : ثم وجدت جزءا كتبه بخطه للرشيد بن الزبير ، حتى يلحقه بكتاب الجنان ، وكتب عليه أنه كتبه بمصر ، سنة إحدى وأربعين وخمسمائة، فيكون قد دخل مصر فى أيامه، وقام بها حتى قتل العادل بن السلار، إذ لا خلاف أنه حضر هناك وقت قتله، وله ديوان شعر فى جزأين فى أيدى الناس، ورأيته بخطه ، ونقلت منه قوله :

لا تستعر جلدا على هجرانهم ... فقواك تضعف من صدود دائم
واعلم بأنك إن رجعت إليهم ... طوعاً وإلا عدت عودة راغم

ونقلت منه فى ابن طليب المصرى ، وقد احترقت داره :

أنظر إلى الايام كيف تسوقنا ... قسراً إلى الاقدار بالاقدار
ما اوقد ابن طليب قط فى الدار ... ناراً وكان خراب الدار بالنار —

ابْنِ هَاشِمِ ، بْنِ سِوَادِ [١] ، بْنِ زِيَادِ ، بْنِ رَغِيبِ [٢] ، بْنِ مَكْحُولِ ، بْنِ عُمَرَ ، بْنِ الْحَارِثِ ، بْنِ عَامِرِ ، بْنِ مَالِكِ ،

— ومما يناسب هذه الواقعة، أن الوجيه بن صورة المصرى دلال الكتب، كانت له بمصر دار موصوفة بالحسن، فاحترقت فعمل نشء الملك أبو الحسن على بن مفرج، المعروف بابن منجم المعرى الاصل ، المصرى الدار والوفاة :

أقول وقد عاينت دار ابن صورة ... والنار فيها مارج يتضرم
كذا كل مال أصله من مهاوش ... فعما قليل فى نهابر يعدم
وما هو إلا كافر طال عمره ... فجاءته لما استبطأته جهنم

والبيت الثانى من قوله صلى الله عليه وسلم « من أصاب مالا من مهاوش أذهبه الله فى نهابر » والمهاوش الحرام ، والنهابر المهالك ، والوجيه المذكور ، هو أبوالفتوح ، ناصر بن أبى الحسن، على بن خلف الانصارى، المعروف بابن صورة ، وكان سمسارا فى الكتب بمصر ، وله فى ذلك حظ كبير ، وكان يجلس فى دهليز داره لذلك، ويجتمع عنده فى يوم الاحد والاربعاء، أعيان الرؤساء والفضلاء ، ويعرض عليهم الكتب التى تباع ، ولا يزالون عنده إلى انقضاء وقت السوق ، فلما مات السلفى ، سار الى الاسكندرية لبيع كتبه ، ومات فى السادس عشر من شهر ربيع الآخر ، سنة سبع وستمائة بمصر ، ودفن بقرافتها — رحمه الله — ولابن منقذ من قطعة يصف ضعفه :

فأعجب لضعف يدى عن حملها قلما ... من بعد حطم القنا فى لبه الاسد

ونقلت من ديوانه أيضاً أبياتاً كتبها إلى أبيه مرشد ، جواباً عن أبيات كتبها أبوه إليه . وهي :

وما أشكو تلون أهل ودى ... ولو أجدت شكيتهم شكوت
مللت عتابهم ويئست منهم ... فما أرجوهم فيمن رجوت
إذا أدمت قوارضهم فؤادى ... كظمت على أذاهم وانطويت
ورحت عليهم طلق المحيا ... كأنى ما سمعت ولا رأيت
تجنوا لى ذنوباً ما جنتها ... يداى ولا أمرت ولا نهيت —

(١) فى كتاب عماد الدين الاصفهانى الذى نشره الاستاذ درنبورغ فى المجلد ١٩ ص ١٢٢ « سرار » (٢) فى العماد : دعيب

— ولا والله ما ضمرت غدراً كما قد أظهروه ولا نويت
ويوم الحشر موعدنا وتبدو صحيفة ما جنوه وما جنيت

وله بيتان في هذا الروى والوزن ، كتبها في صدر كتاب إلى بعض أهالى بيته في غاية الرقة والحسن وهما :

شكا ألم الفراق الناس قبلى وروع بالنوى حى وميت
وأما مثل ما ضمت ضلوعى فانى ما سمعت ولا رأيت

والشىء بالشىء يذكر ، أنشدنى الاديب أبو الحسن ، يحيى بن عبدالعظيم ، المعروف بالجزار المصرى لنفسه في بعض أدباء مصر ، وكان شيخاً كبيرا ، وظهر عليه جرب فالتطخ بالكبريت ، قال : فلما بلغنى ذلك كتبت إليه :

أيها السيد الاديب دعاء من محب خال من التنكيت
أنت شيخ وقد قربت من النا ر فكيف ادهنت بالكبريت

ونقلت من خط الامير ، أبى المظفر أسامة بن منقذ ، المذكور لنفسه ، وقد قلع ضرسه وقال : عملتهما ونحن بظاهر خلاط ، بلد بأرمينية ، جليلة الشهرة ، وهو معنى غريب ، ويصلح أن يكون لغزاً فى الضرس :

وصاحب لا أمل الدهر صحبته يشقى لنفعى ويسعى سعى مجتهد
لم ألقه مذ تصاحبنا فحين بدا لناظرى افترقنا فرقة الابد

قال العماد الكاتب ، وكنت أتمنى أبداً لقياه ، وأشيم على البعد حياه ، حتى لقيته فى صفر سنة إحدى وسبعين ، وسألته عن مولده ، فقال : يوم الاحد السابع والعشرين من جمادى الآخرة ، سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، قلت بقلعة شيزر ، وتوفى ليلة الثلاثاء ، الثالث والعشرين من شهر رمضان ، سنة أربع وثمانين وخمسمائة بدمشق — رحمه الله — ، ودفن من الغد شرق جبل قاسيون ودخلت تربته ، وهى على جانب نهر يزيد الشمالى ، وقرأت عنده شيئاً من القرآن ، وترحمت عليه ، وتوفى والده أبو أسامة مرشد ، سنة ست وثلاثين وخمسمائة - رحمه الله - وشيزر بفتح الشين المثلثة وسكون الياء المثناة من تحتها ، وبعدها زاى مفتوحة ثم راء ، قلعة بالقرب من حماة وهى معروفة به .

وترجم له أيضاً فى كتاب تاريخ الاسلام للذهبى . جزء أول ص ٤٨
وله ترجمة أخرى فى كتاب سلم الوصول ص ١٧٥

ابْنِ زَيْدِ اللَّاتِ ، بْنِ رَفِيدَةَ ، بْنِ ثَوْرٍ ، بْنِ كَلْبٍ ، بْنِ وَبْرَةَ ، ابْنِ ثَعْلَبٍ ، بْنِ حَلْوَانَ ، بْنِ عِمْرَانَ [١] ، بْنِ قُضَاعَةَ ، ابْنِ مَالِكٍ ، بْنِ حِمْيَرَ ، بْنِ مُرَّةَ ، بْنِ زَيْدِ ، بْنِ مَالِكِ ، بْنِ حُمَيْدِ ، بْنِ سَبَا ، بْنِ يَشْجُبَ ، بْنِ يَعْرُبَ ، بْنِ قَحْطَانَ ، هَكَذَا ذَكَرَ هُوَ نَسَبَهُ ، وَفِيهِ اخْتِلَافٌ يَسِيرٌ ، عِنْدَ ابْنِ الْكَلْبِيِّ ، وَيُكْنَى أَبَا أُسَامَةَ ، وَأَبَا الْمُظَفَّرِ ، وَيُلَقَّبُ مُؤَيَّدَ الدَّوْلَةِ ، وَمَجْدَ الدِّينِ ، وَفِي بَنِي مُنْقِذٍ جَمَاعَةٌ أُمَرَاءُ شُعَرَاءُ ، لَكِنْ أُسَامَةُ أَشْعَرُهُمْ وَأَشْهَرُهُمْ ، وَأَنَا أَذْكُرُ لِكُلٍّ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِهِ وَتَرْجَمَتِهِ مَا يَلِيقُ ، وَلَا أُفَرِّقُهُمْ .

ذَكَرَهُ عِمَادُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللهِ ، مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ ، بْنِ حَامِدٍ الْأَصْفَهَانِيُّ فِي كِتَابِ خَرِيدَةِ الْقَصْرِ ، وَفَرِيدَةِ الْعَصْرِ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ كَثِيراً ، فَقَالَ : مَا زَالَ بَنُو مُنْقِذٍ هَؤُلَاءِ ، مَالِكِي شَيْزَرَ ، وَهِيَ حِصْنٌ قَرِيبٌ مِنْ حَمَاةَ ، مُعْتَصِمِينَ بِحَصَانَتِهَا ، مُمْتَنِعِينَ بِمَنَاعَتِهَا ، حَتَّى جَاءَتِ الزَّلْزَلَةُ فِي سَنَةِ نَيِّفٍ وَخَمْسِينَ ، فَخَرَّبَتْ حِصْنَهَا ، وَأَذْهَبَتْ حُسْنَهَا ، وَتَمَلَّكَهَا

(١) رواية العماد : ابن الحسن بن قضاعة

نُورُ الدِّينِ ، مَحْمُودُ بْنُ زَنْكِى عَلَيْهِمْ ، وَأَعَادَ بِنَاءَهَا ، فَتَشَعَّبُوا شُعَبًا ، وَتَفَرَّقُوا أَيْدِى سَبَا[1] .

قَالَ ابْنُ عَسَاكِرَ : ذَكَرَ لِى أُسَامَةُ ، أَنَّهُ وُلِدَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَقَدِمَ دِمَشْقَ ، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . وَمَاتَ أُسَامَةُ فِى الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَدُفِنَ بِجَبَلِ قَاسِيُونَ[2] .

قَالَ الْعِمَادُ : وَأُسَامَةُ كَاسْمِهِ ، فِى قُوَّةِ نَثْرِهِ وَنَظْمِهِ ، يَلُوحُ مِنْ كَلَامِهِ أَمَارَةُ الْإِمَارَةِ ، وَيُؤَسِّسُ بَيْتُ قَرِيضِهِ عِمَارَةَ الْعِبَارَةِ ، حُلْوُ الْمُجَالَسَةِ ، حَالِى الْمُسَاجَلَةِ ، نَدِىُّ النَّدَى بِمَاءِ الْفُكَاهَةِ ، عَالِى النَّجْمِ فِى سَمَاءِ النَّبَاهَةِ ، مُعْتَدِلُ التَّصَارِيفِ ، مَطْبُوعُ التَّصَانِيفِ ، أَسْكَنَهُ عِشْقُ[3] الْغُوطَةِ ، دِمَشْقَ الْمَغْبُوطَةِ ، ثُمَّ نَبَتْ بِهِ كَمَا تَنْبُو الدَّارُ بِالْكَرِيمِ ، فَانْتَقَلَ إِلَى مِصْرَ ، فَبَقِىَ بِهَا مُؤَمَّرًا ، مُشَارًا إِلَيْهِ بِالتَّعْظِيمِ ، إِلَى أَيَّامِ ابْنِ رُزِّيكَ ، فَعَادَ إِلَى الشَّامِ ، وَسَكَنَ دِمَشْقَ ،

(١) أى تبددوا تبددا لا اجتماع بعده، وذلك نسبة إلى سبا ، والد قبائل اليمن، التى تفرقت على أثر سيل أغرق ديارها (٢) وفى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد : « كاسيون »
(٣) كانت فى الاصل : « عشى » فأصلحت الى «عشق» كما ترى

مَخْصُوصاً بِالاحْتِرَامِ، حَتَّى أُخِذَتْ شَيْزَرُ مِنْ أَهْلِهِ، وَرَشَقَهُمْ(١) صَرْفُ الزَّمَانِ بِنَبْلِهِ، وَرَمَاهُ الْحَدَثَانُ إِلَى حِصْنِ كِيفَا، مُقِيماً بِهَا فِي وَلَدِهِ، مُؤْثِراً لَهَا عَلَى بَلَدِهِ، حَتَّى أَعَادَ اللهُ دِمَشْقَ إِلَى سَلْطَنَةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ، يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ، سَنَةَ سَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَلَمْ يَزَلْ مَشْغُوفاً بِذِكْرِهِ، مُشْتَهِراً بِإِشَاعَةِ نَظْمِهِ وَنَثْرِهِ، وَالْأَمِيرُ الْعَضُدُ مُرْهَفٌ، وَلَدُ الْأَمِيرِ مُؤَيَّدِ الدَّوْلَةِ، جَلِيسُهُ وَنَدِيمُهُ وَأَنِيسُهُ.

قَالَ مُؤَلِّفُ هَذَا الْكِتَابِ: وَقَدْ رَأَيْتُ أَنَا الْعَضُدَ هَذَا بِمِصْرَ، عِنْدَ كَوْنِي بِهَا، فِي سَنَتَيْ إِحْدَى عَشْرَةَ وَاثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَأَنْشَدَنِي شَيْئاً مِنْ شِعْرِهِ، وَشِعْرِ وَالِدِهِ، قَالَ: فَاسْتَدْعَاهُ إِلَى دِمَشْقَ، يَعْنِي: مُؤَيَّدَ الدَّوْلَةِ، وَهُوَ شَيْخٌ قَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ. قَالَ: وَأَنْشَدَنِي الْعَامِرِيُّ مِنْ شِعْرِهِ بِأَصْبَهَانَ، وَكُنْتُ أَتَمَنَّى لُقْيَاهُ، وَأَشِيمُ عَلَى الْبُعْدِ حَيَاهُ، حَتَّى لَقِيتُهُ فِي صَفَرٍ، سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ بِدِمَشْقَ، وَسَأَلْتُهُ عَنْ مَوْلِدِهِ،

---

(١) رشقهم: أصابهم، وصرف الزمان: حوادثه ونوائبه

فقالَ : وُلِدْتُ فِي السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الآخِرَةِ ، سَنَةَ ثَمانٍ وثَمانِينَ وَأَرْبعمِائَةٍ ، وَأَنْشَدَنِي لِنفْسِهِ ، الْبَيْتَيْنِ اللّذَيْنِ سارَا لَهُ فِي قلعِ ضِرْسِهِ :

وَصاحِبٍ لَا أَملُّ الدَّهْرَ صُحْبَتَهُ
يَشْقَى[1] لِنَفْعِي وَيَسْعَى سَعْيَ مُجْتَهِدِ
لَمْ أَلْقَهُ مُذْ تَصاحَبْنَا فَحِينَ بَدَا
لِنَاظِرَيَّ افْتَرَقْنَا فُرْقَةَ الأَبَدِ

وَأَنْشَدَنِي لِنفسِهِ مِنْ قَدِيمِ شِعْرِهِ :

قَالُوا نَهَتْهُ الْأَرْبَعُونَ عَنِ الصِّبَا
وَأَخُو الْمَشِيبِ يَجُورُ[2] ثُمَّتَ يَهْتَدِي
كَمْ جَارَ فِي لَيْلِ الشَّبَابِ فَدَلَّهُ
صُبْحُ الْمَشِيبِ عَلَى الطَّرِيقِ الْأَقْصَدِ
وَإِذَا عَدَدْتَ سِنِيَّ ثُمَّ نَقَصْتَهَا
زَمَنَ الْهُمُومِ فَتِلْكَ سَاعَةُ مَوْلِدِي

(١) وعند ابن عساكر ج ٢ ص ٤٠٢ « سعى »

(٢) فى ذيل ترجمة أسامة للاستاذ « درنبورغ » « يحوم »

قُلْتُ أَنَا : هَذَا كَلَامٌ نَفِيسٌ ، وَمَعْنًى لَطِيفٌ ، وَلَكِنَّهُ أَخَذَ مَعْنَى الْبَيْتِ الثَّانِي ، مِنْ قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ :

كَفَى بِسِرَاجِ الشَّيْبِ فِي الرَّأْسِ هَادِيًا
إِلَى مَنْ أَضَلَّتْهُ الْمَنَايَا لَيَالِيَا
فَكَانَ كَرَامِي اللَّيْلِ يَرْمِي فَلَا يَرَى
فَلَمَّا أَضَاءَ الشَّيْبُ شَخْصِي رَمَانِيَا

وَأَخَذَ مَعْنَى الْبَيْتِ الْأَخِيرِ ، مِنْ قَوْلِ أَبِي فِرَاسِ بْنِ حَمْدَانَ فِي مُزْدَوِجَتِهِ :

مَا الْعُمْرُ مَا طَالَتْ بِهِ الدُّهُورُ
الْعُمْرُ مَا تَمَّ بِهِ السُّرُورُ
أَيَّامُ عِزِّي وَنَفَاذُ أَمْرِي
هِيَ الَّتِي أَحْسِبُهَا مِنْ عُمْرِي
لَوْ شِئْتُ مِمَّا قَدْ قَلَلْنَ جِدًّا
عَدَدْتُ (١) أَيَّامَ السُّرُورِ عَدًّا

(١) فى ديوان أبى فراس طبع مصر سنة ١٩٠٠ « أعددت »

وَلَـكِنْ قَوْلُ أُسامَةَ أَبلَغُ فِي الْمَعْنَى ، وَهَذَا ظَاهِرٌ .

قَالَ : وَأَنْشَدَنِي مِنْ قَدِيمِ شِعْرِهِ :

لَمْ يَبْقَ لِي فِي هَوَاكُمُ أَرَبُ
سَلَوْتُكُمْ وَالْقُلُوبُ تَنْقَلِبُ
أَوْضَحْتُمُ لِي سُبْلَ السُّلُوِّ وَقَدْ
كَانَتْ لِيَ الطُّرْقُ عَنْهُ تَنْشَعِبُ (١)
إِلَامَ دَمْعِي مِنْ هَجْرِكُمْ سَرِبٌ (٢)
قَانٍ وَقَلْبِي مِنْ غَدْرِكُمْ يَجِبُ (٣)
إِنْ كَانَ هَـذَا لِأَنْ تَعَبَّدَنِي (٤) الْ
حُبُّ فَقَدْ أَعْتَقَتْنِيَ الرِّيَبُ
أَحْبَبْتُكُمْ فَوْقَ مَا تَوَهَّمَهُ النَّا
سُ وَخُنْتُمْ أَضْعَافَ مَاحَسِبُوا

(١) تنشعب : تتفرق
(٢) أى سائل
(٣) يجب : أى يخفق ويضطرب
(٤) أى اتخذنى عبدا ، كناية عن شدة تملك الحب منه ، فكما أن العبد يكون مملوكا للسيد ، فكذلك هو مملوك للحب

وَقَوْلُهُ أَيْضاً :

يَادَهْرُ مَالَكَ لَايَصُدُّ دُكَ عَنْ مَسَاءَتِيَ الْعِتَابُ
أَمْرَضْتَ مَنْ أَهْوَى وَيَأْ بَى أَنْ أُمَرِّضَهُ الْحِجَابُ
لَوْ كُنْتَ تُنْصِفُ كَانَتِ الْ أَمْرَاضُ لِي وَلَهُ الثَّوَابُ

أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

يَالَيْتَ عِلَّتَهُ لِي غَيْرَ أَنَّ لَهُ
أَجْرَ الْمَرِيضِ وَأَنِّي غَيْرُ مَأْجُورِ

قَالَ الْعِمَادُ : وَهَذَا الَّذِي أَوْرَدْتُهُ مِنْ شِعْرِهِ ، نَقَلْتُهُ مِنْ تَارِيخِ السَّمْعَانِيِّ ، فَلَمَّا وَرَدْتُ إِلَى دِمَشْقَ ، وَاجْتَمَعْتُ بِهِ ، قُلْتُ لَهُ : هَلْ لَكَ مَعْنًى مُبْتَكَرٌ فِي الشَّيْبِ ؟ فَأَنْشَدَنِي :

لَوْ كَانَ صَدَّ مُعَاتِباً وَمُغَاضِباً
أَرْضَيْتُهُ وَتَرَكْتُ خَدِّي شَائِباً
لَكِنْ رَأَى تِلْكَ النَّضَارَةَ قَدْ ذَوَتْ[1]
لَمَّا غَدَا مَاءُ الشَّبِيبَةِ نَاضِباً[2]

(١) أي ذبلت (٢) ناضبا اسم فاعل من نضب الماء : إذا جف

وَرَأَى النُّهَى بَعْدَ الْغَوَايَةِ صَاحِبِي
فَثَنَى الْعِنَانَ يُرِيغُ (١) غَيْرِى صَاحِبَا
وَأَبِيهِ مَا ظَلَمَ الْمَشِيبُ وَإِنَّهُ
أَمَلِى ، فَقُلْتُ عَسَاهُ عَنِّى رَاغِبَا (٢)
أَنَا كَالدُّجَى لَمَّا تَنَاهَى عُمْرُهُ
نَشَرَتْ لَهُ أَيْدِى الصَّبَاحِ ذَوَائِبَا

وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضاً فِى مَحْبُوسٍ :

حَبَسُوكَ : وَالطَّيْرُ النَّوَاطِقُ إِنَّمَا
حُبِسَتْ لِمَيْزَتِهَا عَلَى الْأَنْدَادِ
وَتَهَيَّبُوكَ وَأَنْتَ مُودَعُ سِجْنِهِمْ
وَكَذَا السُّيُوفُ تُهَابُ فِى الْأَغْمَادِ
مَا الْحَبْسُ دَارُ مَهَانَةٍ لِذَوِى الْعُلَا
لَكِنَّهُ كَالْغِيلِ (٣) لِلْآسَادِ

---

(١) يريغ : يطلب
(٢) راغبا اسم فاعل من رغب عنه : إذا أعرض عنه
(٣) الغيل : الأجمة : وجمعه غيول ، وهو موضع الاسد كثيرا

وَمِنْهُ قَوْلُهُ فِي الشَّمْعَةِ :

أُنْظُرْ إِلَى حُسْنِ صَبْرِ الشَّمْعِ يُظْهِرُ لِلرْ
رَائِينَ نُوراً وَفِيهِ النَّارُ تَسْتَعِرُ
كَذَا الْكَرِيمُ تَرَاهُ ضَاحِكًا جَذِلًا
وَقَلْبُهُ بِدَخِيلِ الْغَمِّ مُنْفَطِرُ

وَقَوْلُهُ أَيْضاً :

نَافَقْتُ دَهْرِي فَوَجْهِي ضَاحِكٌ جَذِلٌ
طَلْقٌ[1] وَقَلْبِي كَئِيبٌ مُكْمَدٌ بَاكِ
وَرَاحَةُ الْقَلْبِ فِي الشَّكْوَى وَلَذَّتُهَا
لَوْ أَمْكَنَتْ لَا تُسَاوِي ذِلَّةَ الشَّاكِي

وَقَوْلُهُ أَيْضاً :

لَئِنْ غَضَّ[2] دَهْرٌ مِنْ جِمَاحِي أَوْ ثَنَى
عِنَانِيَ أَوْ زَلَّتْ بِأَخْمَصِيَ[3] النَّعْلُ

(١) أى باش غير عابس ، ويقال طليق الوجه

(٢) أى كفه عن هواه ، وثناه عن عزمه

(٣) الاخمص : ما دخل فى باطن القدم ، فلم يصب الارض

تَظَاهَرَ قَوْمٌ بِالشَّماتِ جَهالَةً
وَكَمْ إِحنَةٍ(١) فِى الصَّدْرِ أَبْرَزَهَا الْجَهْلُ
وَهَلْ أَنَا إِلَّا السَّيْفُ فَلَّ حَدَّهُ
قِرَاعُ الْأَعَادِى ثُمَّ أَرْهَفَهُ الصَّقْلُ

وَقَوْلُهُ أَيْضاً :

لَا تَحْسُدَنَّ عَلَى الْبَقَاء مُعَمَّراً
فَالْمَوْتُ أَيْسَرُ مَا يَئُولُ إِلَيْهِ
وَإِذَا دَعَوْتَ بِطُولِ عُمْرٍ لِامْرِىءٍ
فَاعْلَمْ بِأَنَّكَ قَدْ دَعَوْتَ عَلَيْهِ

قَالَ الْعِمادُ : وَتَنَاشَدْنَا بَيْتاً لِلْوَزِيرِ الْمَغْرِبِيِّ فِى وَصْفِ خَفَقَانِ الْقَلْبِ ، وَتَشْبِيهِهِ بِظِلِّ اللِّوَاءِ ، الَّذِى تَخْتَرِقُهُ الرِّيَاحُ وَهُوَ :

كَأَنَّ قَلْبِى إِذَا عَنَّ ادِّكَارُكُمُ
ظِلُّ اللِّوَاءِ عَلَيْهِ الرِّيحُ تَخْتَرِقُ

---

(١) الإحنة : الحقد ، وجمعها إحن

فَقَالَ لِيَ الأَمِيرُ مُؤَيِّدُ الدَّوْلَةِ أُسَامَةُ : لَقَدْ شَبَّهْتَ القَلْبَ الخَافِقَ (١) وَبَالَغْتَ فِي تَشْبِيهِهِ ، وَأَرْبَيْتَ عليهِ فِي قَوْلِي مِنْ أَبْيَاتٍ وَهِيَ .

أَحْبَابَنَا كَيْفَ اللِّقَاءُ وَدُونَكُمْ
عَرْضُ (٢) المَهَامِهِ وَالفَيَافِي الفِيحُ

أَبْكَيْتُمُ عَيْنِي دماً لِفِرَاقِكُمْ
فَكَأَنَّمَا إِنْسَانُهَا مَجْرُوحُ

وَكَأَنَّ قَلْبِي حِينَ يَخْطُرُ ذِكْرُكُمْ
لَهَبُ الضِّرَامِ تَعَاوَرَتْهُ (٣) الرِّيحُ

فَقُلْتُ لَهُ : صَدَقْتَ ، فَإِنَّ المَغْرِبِيَّ قَصَدَ تَشْبِيهَهُ خَفَقَانَ القَلْبِ ، وَأَنْتَ شَبَّهْتَ القَلْبَ الوَاجِبَ (٤) بِاللَّهِيبِ ، وَخَفَقَانَهُ بِاضْطِرَابِهِ عِنْدَ اضْطِرَامِهِ ، لِتَعَاوُرِ الرِّيحِ ، فَقَدْ أَرْبَيْتَ عَلَيْهِ .

---

(١) فى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد : « الخالق »

(٢) عند ابن عساكر : خوض . المهامه ، والفيافى : الصحارى ، والفيح : الواسعة

(٣) أى تداولته

(٤) وجب القلب وجيبا : اضطرب ، وكلة الواجب فى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد : الواحد ، وفى العماد : الواجد

وَأَنْشَدَنِي أَيْضاً مِنْ قَوْلِهِ أَيَّامَ شَبَابِهِ ، وَهُوَ مُعْتَقَلٌ فِي الْخَيَالِ .

ذَكَرَ الْوَفَاءَ خَيَالُكَ الْمُنْتَابُ
فَأَلَمَّ وَهْوَ بِوُدِّنَا مُرْتَابُ
نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ حَبِيبٍ زَائِرٍ
مُتَعَتِّبٍ عِنْدِي لَهُ الْإِعْتَابُ(١)
وُدِّي كَعَهْدِكَ وَالدِّيَارُ قَرِيبَةٌ
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَتَقَطَّعَ الْأَسْبَابُ
ثَبْتٌ فَلَا طُولُ الزِّيَارَةِ نَاقِصٌ
مِنْهُ وَلَيْسَ يَزِيدُهُ الْإِغْبَابُ(٢)
حَظَرَ الْوَفَاءُ عَلَيَّ هَجْرَكَ طَائِعاً
وَإِذَا اقْتُسِرْتُ(٣) فَمَا عَلَيَّ عِتَابُ

قَالَ : وَتَذَاكَرْنَا قَوْلَ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعَرِّيِّ :

---

(١) أعتبه : سره بعد مساءة ، والاسم منه العتبى ، والمصدر الاعتاب

(٢) الغب فى الزيارة : أن تكون كل أسبوع ، ومنه قولهم : زر غبا تزدد حبا ، والاغباب مصدر أغب

(٣) أكرهت وقهرت

لَوْ حطَّ رَحْلِيَ فَوْقَ النجمِ رَافِعُهُ

أَلْفَيْتُ ثَمَّ خيَالًا مِنكَ مُنتَظِرِى

وَأَبلَغُ مِنْ هَذَا قَوْلُ الْمعَرِّىِّ فِى بُعْدِ الْمَسَافَةِ :

وَذَكَرْتُ كَمْ بَيْنَ الْعَقِيقِ إِلَى الْحِمَى (١)

فَجَزِعْتُ مِنَ أَمَدِ الْمَدَى الْمُتَطَاوِلِ

وَعذَرْتُ طَيفَكَ فِى الْجَفَاءِ فَإِنَّهُ

يَسْرِى فَيُصْبِحُ دُونَنَا (٢) بِمَرَاحِلِ

وَأَنْشدَنِى :

وَأَعْجَبُ مَا لَقِيتُ مِنَ اللَّيَالِى

وَأَىُّ فِعَالِهَا بِى لَمْ يَسُؤْنِى ؟

تَقَلُّبُ قَلْبِ مَنْ مَثْوَاهُ قَلْبِى

وَجَفْوَةُ مَنْ ضَمِمْتُ عَلَيْهِ جَفْنِى

قَالَ : وَاجْتَمَعْنَا عِندَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ ، يُوسُفَ ابْنِ أَيُّوبَ بِدِمَشْقَ ، وَكَانَ يَلْعَبُ بِالشِّطْرَنْجِ ، فَقَالَ الْأَمِيرُ

(١) فى سقط الزند : وسألت كم بين العقيق إلى النقى

(٢) فى العماد : وفى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد : دونها

أُسامَةُ : أَلا أُنشِدُكَ البيتينِ اللذَيْنِ قُلتُهُمَا فِي الشِّطْرَنجِ ؟ فقلْتُ : هَاتِ ، فَأَنشَدَنِي لِنفسِهِ :

أُنظُرْ إِلَى لَاعِبِ الشِّطْرَنْجِ يَجْمَعُهَا
مُغَالِباً ثُمَّ بَعْدَ الجَمْعِ يَرْمِيهَا
كَالمَرْءِ يَكْدَحُ لِلدُّنْيَا وَيَجْمَعُهَا
حَتَّى إِذَا مَاتَ خَلَّاهَا وَمَا فِيهَا

وأَنشَدَنِي لِنفسِهِ فِي غَرَضٍ لَهُ فِي نُورِ الدِّينِ مَحْمُودٍ — رَحِمَهُ اللهُ — :

سُلْطَانُنَا زَاهِدٌ وَالنَّاسُ قَدْ زَهِدُوا
لَهُ فَكُلٌّ عَلَى الخَيْرَاتِ مُنْكَمِشُ
أَيَّامُهُ مِثْلُ شَهْرِ الصَّوْمِ خَالِيَةٌ (١)
مِنَ المَعَاصِي وَفِيهَا الجُوعُ وَالعَطَشُ

قَالَ : وَأَنشَدَنِي لِنفسِهِ :

أَأَحبابَنَا هَلَّا سَبَقْتُمْ بِوَصْلِنَا
صُرُوفَ اللَّيَالِي قَبْلَ أَنْ نَتَفَرَّقَا ؟؟

(١) فى العماد : طاهرة

تَشَاغَلْتُمُ بِالْهَجْرِ وَالْوَصْلُ مُمْكِنٌ
وَلَيْسَ إِلَيْنَا لِلْحَوَادِثِ مُرْتَقَى
كَأَنَّا أَخَذْنَا مِنْ صُرُوفِ زَمَانِنَا
أَمَانًا وَمِنْ جَوْرِ الْحَوَادِثِ مَوْثِقَا

وَقَالَ أَيْضاً :

قَمَرٌ إِذَا عَايَنْتَهُ شَغَفًا بِهِ
غَرَسَ الْحَيَاءُ بِوَجْنَتَيْهِ شَقِيقَا (١)
وَتَلَهَّبَتْ خَجَلًا فَلَوْلَا مَاؤُهَا
مُتَرَقْرِقٌ (٢) فِيهِ لَصَارَ حَرِيقَا
وَازْوَرَّ (٣) عَنِّى مُطْرِقًا فَأَضَلَّنِى
أَنْ (٤) أَهْتَدِى نَحْوَ السُّلُوِّ طَرِيقَا
فَلْيَلْحَنِى مَنْ شَاءَ فِيهِ فَصَبْوَتِى
بِهَوَاهُ سُكْرٌ لَسْتُ مِنْهُ مُفِيقَا

وَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُهُ أَبُو الْفَوَارِسِ مُرْهَفٌ : مِنْ حِصْنِ

(١) أى حمرة ، على التشبيه بشقائق النعمان
(٢) ترقرق الماء : جاء وذهب ، وترقرق الدمع فى العين : إذا دار فى الحداق
(٣) ازور : أعرض بجنبه ، ولوى عنقه
(٤) فى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد « لما »

كيفا، كِتاباً عَلى يدِ مُستَمنِحٍ، فَلَمْ يُمكنِ الْوَقتُ مِنْ بُلُوغِ الغَرَضِ مِنَ الْبِرِّ، فَكَتَبَ أُسَامَةُ جوابَهُ.

أَبا الفَوارِسِ ما لاقيتُ مِنْ زَمَنِي
أَشَدَّ مِنْ قَبْضِهِ كَفِّي عَنِ الْجُودِ
رَأَى سَمَاحِي بِمَنْزُورٍ تَجانَفَ لِي
عَنهُ وَجُودِي بِهِ فَاجْتَاحَ مَوْجُودِي
فَصِرْتُ إِنْ هَزَّنِي جَانٍ تَعَوَّدَ أَنْ
يَجْنِي نَدَايَ رَآنِي يَابِسَ العُودِ

وَقَالَ أَيضاً:

سُقُوفُ الدُّورِ فِي خِرْبِرْتَ[1] سُودٌ
كَسَتْهَا النَّارُ أَثْوَابَ الحِدَادِ
فَلا تَعْجَبْ إِذَا ارْتَفَعَتْ عَلَيْنَا
فَلِلْحَظِّ اعْتِنَاءٌ بِالسَّوادِ
بَيَاضُ العَيْنِ يَكْسُوهَا جَمَالاً
وَلَيْسَ النُّورُ إِلَّا فِي السَّوادِ

(١) خرتبرت: اسم حصن فى أقصى ديار بكر، وسقطت التاء لضرورة الشعر

وَنُورُ الشَّيْبِ مَكْرُوهٌ وَتَهْوَى
سَوَادَ الشَّعْرِ أَصْنَافُ الْعِبَادِ
وَطِرْسُ(١) الْخَطِّ لَيْسَ يُفِيدُ عِلْماً
وَكُلُّ الْعِلْمِ فِي وَشْيِ الْمِدَادِ

وَلَهُ فِي مَدْحِ صَلَاحِ الدِّينِ :

هُوَ مَنْ عَرَفْتَ فَلَوْ عَصَاهُ نَهَارُهُ
لَرَمَاهُ نَقْعُ جُيُوشِهِ بِالْغَيْهَبِ(٢)

وَلَهُ فِي الْهَزْلِ :

خَلَعَ الْخَلِيعُ(٣) عِذَارَهُ فِي فِسْقِهِ
حَتَّى تَهَتَّكَ فِي بِغًا وَلِوَاطِ
يَأْتِي وَيُؤْتَى لَيْسَ يُنْكِرُ ذَا وَلَا
هَذَا كَذَلِكَ إِبْرَةُ الْخَيَّاطِ

قَالَ الْعِمَادُ : وَكَانَ قَدْ سَأَلَنِي أَنْ أَنْتَجِزَ لَهُ مَطْلُوباً عِنْدَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ ، صَلَاحِ الدِّينِ ، فَكَتَبَ إِلَيَّ يَسْتَحِثُّنِي :

---

(١) الطرس : الصحيفة

(٢) الغيهب : الظلام وكانت بالاصل « بالغياهب » يريد كثرة جيوشه الشبيهة بالغيهب في أنها تغطي الفضاء ، حتى لا يبصره مبصر ، فكأنه في الظلام « عبد الخالق »

(٣) الخليع : المتهتك

عِمَادُ الدِّينِ مَوْلَانَا جَوَادٌ
مَوَاهِبُهُ كَمُنْهَلِّ السَّحَابِ

يُحَكِّمُ فِي مَكَارِمِهِ الْأَمَانِي
وَلَوْ كَلَّفْنَهُ رَدَّ الشَّبَابِ

وَعُذْرُكَ فِي قَضَا شُغُلِي قَضَاءٌ
يُصَرِّفُهُ فَمَا عُذْرُ الْجَوَابِ

وَلِمُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ أُسَامَةَ بْنِ مُنْقِذٍ، تَصَانِيفُ حِسَانٌ، مِنْهَا: كِتَابُ الْقَضَاءِ، كِتَابُ الشَّيْبِ وَالشَّبَابِ، أَلَّفَهُ لِأَبِيهِ، كِتَابُ ذَيْلِ يَتِيمَةِ الدَّهْرِ لِلثَّعَالِبِيِّ، كِتَابُ تَارِيخِ أَيَّامِهِ، كِتَابٌ فِي أَخْبَارِ أَهْلِهِ رَأَيْتُهُ. وَمِنْ شِعْرِ الْأَمِيرِ الْأَجَلِّ مُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ، مَجْدِ الدِّينِ أُسَامَةَ بْنِ مُنْقِذٍ:

صَدِيقٌ لَنَا كَالْبَحْرِ قَدْ أَهْلَكَ الْوَرَى
وَلَمْ تَنْهَهُمْ أَخْطَارُهُ عَنْ رُكُوبِهِ

مَوَدَّاتُهُ تَحْكِيهِ صَفْوًا وَخُبْرُهَا
كَمُشْرَبِهِ مِنْ حُوبِهِ (١) وَذُنُوبِهِ

(١) الحوب: الاثم

وَمِنْهُ أَيضاً:

كُنْتُ بَيْنَ الرَّجَاء وَالْيَأْسِ مِنْهُ
أَقطَعُ الدَّهْرَ بَيْنَ سِلْمٍ وَحَرْبِ
أَلتَقِي عَتْبَهُ[1] بِأَكْرَمِ إِعتَا
بٍ وَيَلْقَى ذُلِّي بِتِيـــهٍ وَعُجْبِ
فَبَدَا لِلْمَلُولِ[2] أَنِّيَ لَوْ رُمْـ
ـتُ سُلُوًّا لَمَا سَلاَ عَنْهُ قَلْبِي
فَتَجَنَّى[3] لِيَ الذُّنُوبَ وَلَا وَالْـ
ـلَّهِ[4] مَا لِي ذَنْبٌ سِوَى فَرْطِ حُبِّي

وَمِنْهُ أَيضاً:

أُنْظُرْ بِعَيْنِكَ هَلْ تَرَى   أَحَداً يَدُومُ عَلَى الْمَوَدَّهْ؟
فَتَرَى أَخِلَّاءَ الصَّفَا   ءِ عِدًى إِذَا نَابَتْكَ شِدَّهْ[5]

---

(١) يقال: عتب الرجل على صديقه عتباً: لامه فى تسخط

(٢) للملوك: هكذا فى نسخة العماد الخطية، وصوابها باللام من الملل

(٣) أى ادعى عليه ما لم يفعل

(٤) هكذا فى نسخة العماد الخطية

(٥) فى العماد: نابتك، وهى أوثق من عبارة ياقوت، لأن عبارته لا تناسب المقام وهى فى الاصل: تأتيك

وَمِنْهُ أَيْضاً :

تَنَكَّرَنِي الْإِخْوَانُ حَتَّى ثِقَاتُهُمْ
وَحَذَّرَنِي مِنْهُمْ نَذِيرُ التَّجَارِبِ
كَأَنِّي إِذَا أَوْدَعْتُ سِرِّي عِنْدَهُمْ
رَفَعْتُ بِنَارٍ فَوْقَ أَعْلَى الْمَرَاقِبِ

قَالَ الْعِمَادُ : وَكَتَبَهَا إِلَى دِمَشْقَ بَعْدَ خُرُوجِهِ إِلَى مِصْرَ ، فِي أَيَّامِ بَنِي الصُّوفِيِّ يُشِيرُ إِلَيْهِمْ :

وُلُّوا فَلَمَّا رَجَوْنَا عَدْلَهُمْ ظَلَمُوا
فَلَيْتَهُمْ حَكَمُوا فِينَا بِمَا عَلِمُوا
مَا مَرَّ يَوْماً بِفِكْرِي مَا يَرِيبُهُمُ
وَلَا سَعَتْ بِي إِلَى مَا سَاءَهُمْ قَدَمُ
وَلَا أَضَعْتُ لَهُمْ عَهْداً وَلَا اطَّلَعَتْ
عَلَى وَدَائِعِهِمْ فِي صَدْرِيَ التُّهَمُ
مَحَاسِنِي مُنْذُ مَلُّونِي (١) بِأَعْيُنِهِمْ
قَذًى ، وَذِكْرِيَ فِي آذَانِهِمْ صَمَمُ

---

(١) أي أبغضوني وتبرموا مني

وَبَعْدُ لَوْ قِيلَ لِي مَاذَا تُحِبُّ وَمَا
تَخْتَارُ مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا لَقُلْتُ هُمُ
هُمْ مَجَالُ الْكَرَى مِنْ مُقْلَتَيَّ وَمِنْ
قَلْبِي مَحَلُّ الْمُنَى جَارُوا أَوْ اجْتَرَمُوا[1]
تَبَدَّلُوا بِي وَلَا أَبْغِي بِهِمْ بَدَلًا
حَسْبِي بِهِمْ[2]، أَنْصَفُوا فِي الْحُكْمِ أَمْ ظَلَمُوا
يَارَاكِبًا تَقْطَعُ الْبَيْدَاءَ[3] هِمَّتُهُ
وَالْعِيسُ تَعْجِزُ عَمَّا تُدْرِكُ الْهِمَمُ
بَلِّغْ أَمِيرِي مُعِينَ الدِّينِ مَأْلُكَةً[4]
مِنْ نَازِحِ الدَّارِ لَكِنْ وُدُّهُ أَمَمُ
هَلْ فِي الْقَضِيَّةِ يَامَنْ فَضْلُ دَوْلَتِهِ
وَعَدْلُ سِيرَتِهِ بَيْنَ الْوَرَى عَلَمُ
تُضِيعَ[5] وَاجِبَ حَقِّي بَعْدَ مَاشَهِدَتْ
بِهِ النَّصِيحَةُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْخِدَمُ

---

(١) اجترموا : أذنبوا (٢) وفي العماد : «هم» (٣) البيداء : الفلاة ، وهى مفرد البيد
(٤) المألكة : الرسالة ، وأمم : قريب (٥) نصبنا تضيع بأن محذوفة ليكون الفعل في تأويل مصدر مبتدأ ، خبره فى القضية ، وكثيرا ما تحذف أن ، ومنه : تسمع بالمعيدى خير من أن تراه ، أو أن الفعل مقصود به الحدث ، ولا عبرة بالزمن فيكون مبتدأ ، ويبقى مرفوعا كالمثل السابق وتقديره إضاعة « عبد الخالق »

إِذَا نَهَضْتَ إِلَى مَجْدٍ تُؤَثِّلُهُ (١)
تَقَاعَدُوا ، وَإِذَا شَيَّدْتَهُ هَدَمُوا
وَإِنْ عَرَتْكَ مِنَ الْأَيَّامِ نَائِبَةٌ
فَكُلُّهُمْ لِلَّذِى يُبْكِيكَ يَبْتَسِمُ
وَكُلُّ مَنْ مِلْتَ عَنْهُ قَرَّبُوهُ وَمَنْ
وَالاكَ فَهُوَ الَّذِى يُقْصَى وَيُهْتَضَمُ (٢)
أَيْنَ الْحَمِيَّةُ وَالنَّفْسُ الْأَبِيَّةُ إِذْ
سَامُوكَ (٣) خُطَّةَ خَسْفٍ عَارُهَا يَصِمُ ؟
هَلَّا أَنِفْتَ حَيَاءً أَوْ مُحَافَظَةً
مِنْ فِعْلِ مَا أَنْكَرَتْهُ الْعُرْبُ وَالْعَجَمُ
أَسْلَمْتَنَا (٤) وَسُيُوفُ الْهِنْدِ مُغْمَدَةٌ
وَلَمْ يُرَوَّ سِنَانَ السَّمْهَرِىِّ دَمُ
وَكُنْتُ أَحْسَبُ مَنْ وَالاكَ فِى حَرَمٍ (٥)
لَا يَعْتَرِيهِ بِهِ شَيْبٌ وَلَا هَرَمُ

(١) أى تؤصله وتثبته (٢) أى يظلم ويضيع حقه

(٣) أذاقوك ، والخسف : الظلم ، يصم : يعيب

(٤) أى خليت بيننا وبين من يريد النكاية والايقاع بنا ، والسمهرى : الرمح الصلب ، وقيل المنسوب إلى سمهر زوج ردينة ، اللذان كانا يثقفان الرماح

(٥) أى فى أمان وعزة ومنعة

وَأَنَّ جَارَكَ جَارٌ لِلسَّمَوْءَلِ لَا
يَخْشَى الْأَعَادِي وَلَا تَغْتَالُهُ النِّقَمُ
هَبْنَا جَنَيْنَا ذُنُوباً لَا يُكَفِّرُهَا
عُذْرٌ فَمَاذَا جَنَى الْأَطْفَالُ وَالْحُرَمُ (١)

وَمِنْهَا :

لَكِنَّ رَأْيَكَ أَدْنَاهُمْ وَأَبْعَدَنِي
« فَلَيْتَ أَنَّا بِقَدْرِ الْحُبِّ نَقْتَسِمُ »
وَلَا سَخِطْتُ بِعَادِي إِذْ رَضِيتَ بِهِ
« وَلَا لِجُرْحٍ إِذَا أَرْضَاكُمُ أَلَمُ (٢) »
تَعَلَّقَتْ بِحِبَالِ الشَّمْسِ مِنْكَ (٣) يَدِي
ثُمَّ انْثَنَتْ وَهْيَ صِفْرٌ مِلْؤُهَا نَدَمُ
لَكِنْ فِرَاقُكَ آسَانِي وَأَسْقَمَنِي
فَفِي الْجَوَانِحِ نَارٌ مِنْهُ تَضْطَرِمُ

(١) ما يحميه الرجل ، وما يحرم انتهاكه

(٢) هذا البيت مقتبس من قول امرىء القيس : فما لجرح الخ

(٣) وفي العماد فيك يريد بحبال الشمس أنها تعلقت بما لا يجدى

فَاسْلَمْ فَمَا عِشْتَ لِي فَالدَّهْرُ طَوْعُ يَدِي
وَكُلُّ مَا نَالَنِي مِنْ بُؤْسِهِ نِعَمُ

وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضاً :

إِلْقَ الْخُطُوبَ إِذَا طَرَقْـــنَ بِقَلْبِ مُحْتَسِبٍ صَبُورِ
فَسَيَنْقَضِي زَمَنُ الْهُمُو مِ كَمَا انْقَضَى زَمَنُ السُّرُورِ
فَمِنَ الْمُحَالِ دَوَامُ حَا لٍ فِي مَدَى الْعُمُرِ الْقَصِيرِ

وَتُوُفِّيَ بَعْدَ الثَّمَانِينَ وَالْخَمْسِمِائَةِ .

وَمِنْهُمْ أَخُوهُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُرْشِدِ ، بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُقَلَّدِ ، بْنِ مُنْقِذٍ ، سَيِّدُ بَنِي مُنْقِذٍ ، وَرَدَ بَغْدَادَ حَاجًّا بَعْدَ الْعِشْرِينَ وَالْخَمْسِمِائَةِ . وَقَدْ ذَكَرَهُ السَّمْعَانِيُّ فِي تَارِيخِهِ ، وَأَنْشَدَ لَهُ :

وَدَّعْتُ صَبْرِي وَدَمْعِي يَوْمَ فُرْقَتِكُمْ
وَمَا عَلِمْتُ بِأَنَّ الدَّمْعَ يُدَّخَرُ
وَضَلَّ قَلْبِي عَنْ صَدْرِي فَمُذْتُ بِلَا
قَلْبٍ فَيَاوَيْحَ مَا آتِي وَمَا أَذَرُ

وَلَوْ عَلِمْتُ ذَخَرْتُ الصَّبْرَ مُبْتَغِياً
إِطْفَاءَ نَارٍ بِقَلْبِي مِنْكَ تَسْتَعِرُ

قَالَ الْأَمِيرُ عَلِيُّ بْنُ مُرْشِدٍ : سَمِعْتُ دِرْبَاباً[1] يَصِيحُ بِدَرْبِ حَبِيبٍ[2] فَقُلْتُ فِيهِ :

يَاطَائِراً لَعِبَتْ أَيْدِي الْفِرَاقِ بِهِ
مِثْلِي فَأَصْبَحَ ذَا هَمٍّ وَذَا حَزَنِ
دَانِي الْأَسَى، نَازِحَ الْأَوْطَانِ مُغْتَرِباً
عَنِ الْأَحِبَّةِ مَصْفُوداً[3] عَنِ الْوَطَنِ
بِلَا نَدِيمٍ وَلَا جَارٍ يُسَرُّ بِهِ
وَلَا حَمِيمٍ وَلَا دَارٍ وَلَا سَكَنِ
لَـٰكِنْ نَطَقْتَ فَزَالَ الْهَمُّ عَنْكَ وَلِي:
هَمٌّ يُقَلْقِلُ أَحْشَائِي وَيُخْرِسُنِي
وَكُلُّ مَنْ بَاحَ بِالشَّكْوَى اسْتَرَاحَ وَمَنْ
أَخْفَى الْجَوَى بَثَّ عَنْهُ شَاهِدُ الْبَدَنِ

(١) الدرباب : طائر كما ذكره الدميرى . وكانت فى الأصل : « درابا » فأصلحت .

(٢) درب حبيب ببغداد من نهر معلى

(٣) المصفود : المقيد .

أَرَّقَتْ عَيْنِي بِنَوْحٍ لَسْتُ أَفْهَمُهُ
مَعْ مَا بِقَلْبِي مِنْ وَجْدٍ يُؤَرِّقُنِي
وَمَا بَكَيْتُ وَلِي دَمْعٌ غَوَارِبُهُ
إِذَا ارْتَمَتْ مِنْهُ لَمْ تَنْشَقْ بِالسُّفُنِ

قَالَ: وَكَتَبَ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ:

مَا فُهْتُ مَعْ مُتَحَدِّثٍ مُتَشَاغِلًا
إِلَّا رَأَيْتُكَ خَاطِرًا فِي خَاطِرِي
وَلَوِ اسْتَطَعْتُ لَزُرْتُ أَرْضَكَ مَاشِيًا
بِسَوَادِ قَلْبِي أَوْ بِأَسْوَدِ نَاظِرِي

وَكَتَبَ إِلَى أَخِيهِ مُؤَيَّدِ الدَّوْلَةِ أُسَامَةَ، وَهُوَ بِالْمَوْصِلِ:

أَلَا هَلْ لِمَحْزُونٍ تَذَكَّرَ إِلْفَهُ
نَحَنَّ وَأَبْدَى وَجْدَهُ مَنْ يُعِينُهُ
وَعَيْشًا مَضَى بِالرَّغْمِ إِذْ نَحْنُ جِيرَةٌ
تَرِفُّ (١) عَلَى رَوْضِ الْوِصَالِ غُصُونُهُ

---

(١) أي تهدل

لَدَى مَنْزِلٍ كَانَ السُّرُورُ قَرِينَكُمْ

بِهِ فَتَوَلَّى إِذْ تَوَلَّى قَرِينُهُ

فَلَوْ أَعْشَبَتْ مِنْ فَيْضِ دَمْعِي مُحُولُهُ(١)

لَمَا رَضِيَتْ عَنْ دَمْعِ عَيْنِي جُفُونُهُ

قَالَ: وَأَنْشَدَنِي لَهُ ابْنُ أَخِيهِ، الْأَمِيرُ مُرْهَفُ بْنُ أُسَامَةَ:

لَأَشْكُرَنَّ النَّوَى وَالْعِيسَ (٢) إِذْ قَصَدَتْ

بِي مَعْدِنَ الْجُودِ وَالْإِحْسَانِ وَالْكَرَمِ

فَسِرْتُ فِي وَطَنِي إِذْ سِرْتُ مِنْ وَطَنِي

فَمَنْ رَأَى صِحَّةً جَاءَتْ مِنَ السَّقَمِ؟

وَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى عُمْرٍ مَضَى أَسَفاً

إِذْ لَمْ أَكُنْ لَكَ جَاراً فِيهِ فِي الْقِدَمِ

فَاسْلَمْ وَلَا زِلْتَ مَحْرُوسَ الْعُلَا أَبَداً

مَا لَاحَتِ الشُّهْبُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

(١) جمع محل: الأرض اليابسة

(٢) أي الابل، وفي الأصل الذي في مكتبة اكسفورد: «والعيش»

وَقَالَ أَخُوهُ أُسَامَةُ بْنُ مُرْشِدٍ : وَنَقَلْتُ مِنْ خَطِّ أَخِي عِزِّ الدَّوْلَةِ ، أَبِي الْحَسَنِ ، عَلِيِّ بْنِ مُرْشِدٍ ، مِنْ شِعْرِهِ ، وَكَانَ اسْتُشْهِدَ — رَحِمَهُ اللهُ — عَلَى غَزَّةَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، فِي حَرْبِ الْفِرِنْجِ — لَعَنَهُمُ اللهُ — قَبْلَ أَنْ يُكْمِلَ مِنْ شِعْرِهِ ، وَكَانَ تَقَطَّرَ[1] بِهِ فَرَسُهُ عَلَى بَابِ غَزَّةَ ، وَاسْتَعْلَى الْفِرِنْجُ عَلَى أَصْحَابِهِ ، فَانْكَشَفُوا عَنْهُ ، وَبَقِيَ فِي الْمَعْرَكَةِ فَقُتِلَ ، وَأَنْشَدَ لَهُ أَشْعَاراً ، مِنْهَا قَوْلُهُ فِي مَرَضٍ طَالَ بِهِ :

ظَنَنْتُ ، وَظَنُّ الْأَلْمَعِيِّ مُصَدَّقٌ
بِأَنَّ سَقَامَ الْمَرْءِ سِجْنُ حِمَامِهِ[2]

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَوْتٌ صَرِيحٌ فَإِنَّهُ
عَذَابٌ تَمَلُّ النَّفْسُ طُولَ مُقَامِهِ

وَكَمْ يَلْبَثُ الْمَسْجُونُ فِي قَبْضَةِ الْأَذَى
يُجَرِّبُ فِيهِ الْمَوْتُ غَرْبَ[3] حُسَامِهِ

---

(١) تقطر به فرسه ألقاه على قطره (٢) الحمام بكسر الحاء : الموت

(٣) فى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد : « حمامه » والغرب : الحد

وَأَنْشَدَ لَهُ قَوْلَهُ عِنْدَ رَحِيلِهِ عَنْ بَغْدَادَ إِلَى الْحِجَازِ :

تَرَحَّلْتُ عَنْ بَغْدَادَ لَا كَارِهاً لَهَا
وَفِي الْقَلْبِ مِنْهَا لَوْعَةٌ وَحَرِيقُ
فَسَقْياً لِأَيَّامٍ تَقَضَّتْ بِرَبْعِهَا
إِذِ الْعَيْشُ غَضٌّ[1] وَالزَّمَانُ أَنِيقُ
بِإِخْوَانِ صِدْقٍ لَيْسَ فِيهِمْ مُشَاقِقٌ[2]
وَكُلُّهُمُ حَانٍ عَلَيَّ شَفِيقُ

وَأَنْشَدَ لَهُ أَيْضاً :

وَلَمَّا أَعَارَتْنِي النَّوَى مِنْكَ نَظْرَةً
أَحَبَّ إِلَى قَلْبِي مِنَ الْبَارِدِ الْعَذْبِ
تَعَقَّبَهَا الْبَيْنُ الْمُشِتُّ[3] فَلَيْتَنَا
بَقِينَا عَلَى تَأْمِيلِنَا لَذَّةَ الْقُرْبِ

وَأَنْشَدَ لَهُ :

لَيْتَ شِعْرِي عَلَامَ صَدُّكَ عَنَّا
بَعْدَ مَا كُنْتَ تَدَّعِي الْأَشْوَاقَا ؟

(١) غض : طرى نضير : يريد الرخاء والنعمة
(٢) مشاقق اسم فاعل من شاق : بمعنى خاصم (٣) أي المفرق

لَا تُجارِ الزَّمَانَ سبقًا إِلَى الهجْـ
ـرِ فَمَا زَالَ صَرْفُهُ سبَّاقَا
أَنْتَ غِرٌّ بِغَدْرِهِ فَلِهٰذَا
قَدْ تَعجَلْتَ بِالصُّدُودِ الفِرَاقَا

وَأَنْشَدَ لَهُ :

بَنِي أَبِي إِنْ عَدَا دَهْرٌ فَفَرَّقَنَا
فَهَمُّ نَفْسِي بِكُمْ مَا عِشْتُ مُجْتَمِعُ
هَلْ تَعلَمُونَ الَّذِي (١) فِي النَّفْسِ مِنْ أَسَفٍ
عَلَيْكُمْ وَحَنِينٍ لَيْسَ يَنْقَطِعُ
نَزَحْتُمُ (٢) أَدْمُعِي حَتَّى لَقَدْ مَحَلَتْ
جُفُونُ عَيْنِي وَمَاتَ اليَأْسُ وَالطَّمَعُ
وَإِنَّ دَهْرًا رَمَى عَنْ جِيدِهِ دُرَرًا
أَمْثَالَكُمْ لَزَمَانٌ عَاطِلٌ ضَرِعُ (٣)

وَمِنْهُمْ جَدُّهُ سَدِيدُ المُلْكِ ، أَبُو الحَسَنِ ، عَلِيُّ بْنُ

(١) وفى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد : ما
(٢) أى استنفدتموها حتى لم يبق شىء منها ، من نزح البئر استقى ماءها ، حتى أتى عليه أو كاد . (٣) الضرع : الضعيف الذليل

مَقلدِ ، بْنِ مُنقذٍ ، وَكَانَ مِنْ شَرْطِهِ أَنْ يُقَدَّمَ عَلَى بَنِيهِ .
قَالَ : هُوَ جَدُّ الجَمَاعَةِ ، مَوْفُورُ الطَّاعَةِ ، أَحْكَمَ آسَاسَ مَجْدِهِ وَشَادَهَا ، وَفَضَلَ أُمَرَاءَ دِيَارِ بَكْرٍ وَالشَّامِ وَسَادَهَا .

قَالَ أَبُو يَعْلَى حَمْزَةُ بْنُ أَسَدٍ : فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ فِي رَجَبٍ ، مَلَكَ الأَمِيرُ أَبُو الحَسَنِ ، عَلِيُّ بْنُ مَقلدِ ، بْنِ مُنقذٍ ، حِصْنَ شَيْزَرَ ، مِنَ الأُسْقُفِ الَّذِي كَانَ فِيهِ بِمَالٍ بَذَلَهُ لَهُ ، وَأَرْغَبَهُ فِيهِ إِلَى أَنْ حَصَلَ فِي يَدِهِ ، وَشَرَعَ فِي عِمَارَتِهِ وَتَحْصِينِهِ ، وَالمُصَانَعَةِ[1] عَنْهُ إِلَى أَنْ تَمَكَّنَتْ حَالُهُ فِيهِ ، وَقَوِيَتْ نَفْسُهُ فِي حِمَايَتِهِ ، وَالمُدَافَعَةِ عَنْهُ . وَالأَمِيرُ سَدِيدُ المُلْكِ ، هُوَ مَمْدُوحُ فُحُولِ الشُّعَرَاءِ ، الَّذِي[2] امْتَدَحَهُ ابْنُ حَيُّوسٍ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلُهَا — وَكَتَبَهَا إِلَيْهِ مِنْ طَرَابُلُسَ وَهُوَ بِحَلَبَ — :

(١) المصانعة : اللين والسياسة والمداراة ، قال زهير بن أبي سلمى :

ومن لم يصانع فى أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

وكانت فى الأصل « المصافعة » فأصلحت إلى ما ذكر « منصور »

(٢) فى نسخة العماد : وهو الذى

أَمَّا الْفِرَاقُ فَقَدْ عَاصَيْتُهُ فَأَبَى
وَطَالَتِ الْحَرْبُ إِلَّا أَنَّهُ غَلَبَا
أَرَانِيَ الْبَيْنُ لَمَّا حُمَّ عَنْ قَدَرٍ
وَدَاعَنَا كُلَّ جِدٍّ بَعْدَهُ لَعِبَا

قَالَ : وَسَأَلْتُ ابْنَ ابْنِهِ الْأَمِيرَ أُسَامَةَ بْنَ مُرْشِدِ ، ابْنِ عَلِيٍّ عَنْ وَفَاةِ جَدِّهِ ، فَقَالَ : مَاتَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، قَالَ : وَأَنْشَدَنِي مَجْدُ الْعَرَبِ الْعَامِرِيُّ بِأَصْبَهَانَ قَالَ : أَنْشَدَنِي الْأَمِيرُ أَبُو سَلَامَةَ مُرْشِدٌ لِأَبِيهِ الْأَمِيرِ ، أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُقَلَّدٍ فِي غُلَامٍ لَهُ ضَرَبَهُ ، وَقَدْ أَبْدَعَ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَأَغْرَبَ :

أَسْطُو عَلَيْهِ وَقَلْبِي لَوْ تَمَكَّنَ مِنْ
كَفَّيَّ غَلَّهُمَا غَيْظاً إِلَى عُنُقِي
وَأَسْتَعِيرُ إِذَا عَاتَبْتُهُ(١) حَنَقاً
وَأَيْنَ ذُلُّ الْهَوَى مِنْ عِزَّةِ الْحَنَقِ(٢) ؟

(١) كانت في الاصل : عاينته . فأصلحت إلى ما ذكر
(٢) الحنق : الغيظ أو شدته ، وقد حنق كفرح ، فهو حنق وحنيق

قَالَ وَأَنْشَدَنِي لَهُ أَيْضاً :

مَاذَا النَّجِيعُ (١) بِوَجْنَتَيْكَ وَلَيْسَ مِنْ
شَدْخِ الْأُنُوفِ عَلَى الْخُدُودِ رُعَافُ
أَلْحَاظُنَا جَرَحَتْكَ حِينَ تَعَرَّضَتْ
لَكَ أَمْ أَدِيمُكَ جَوْهَرٌ شَفَّافُ؟

وَقَرَأْتُ لَهُ فِي مَجْمُوعٍ .

إِذَا ذَكَرْتُ أَيَادِيكَ الَّتِي سَلَفَتْ (٢)
مَعَ سُوءِ فِعْلِي وَزَلَّاتِي وَمُجْتَرَمِي (٣)
أَكَادُ أَقْتُلُ نَفْسِي ثُمَّ يَمْنَعُنِي
عِلْمِي بِأَنَّكَ مَجْبُولٌ عَلَى الْكَرَمِ

وَلَهُ أَيْضاً :

مَنْ كَانَ يَرْضَى بِذُلٍّ فِي وِلَايَتِهِ
مِنْ خَوْفِ (٤) عَزْلٍ فَإِنِّي لَسْتُ بِالرَّاضِي

---

(١) النجيع : الدم المائل إلى السواد ، الشدخ كسر الرطب ، وقيل : واليابس
(٢) وفى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد : « سفلت »
(٣) ومجترم مصدر ميمى : بمعنى الذنب
(٤) وكانت فى الاصل : خول ، وأصلحت إلى ما ذكر

قَالُوا فَنُرْكَبُ أَحْيَانًا فَقُلْتُ لَهُمْ

تَحْتَ الصَّلِيبِ وَلَا فِي مَوْضِعِ الْقَاضِي

وَلَهُ أَيْضًا :

لَا تَعْجَلُوا(١) بِالْهَجْرِ إِنَّ النَّوَى

تَحْمِلُ عَنْكُمْ مُؤْنَةَ الْهَجْرِ

وَظَاهِرُونَا (٢) بِوَفَاء فَقَدْ

أَغْنَاكُمُ الْبَيْنُ عَنِ الْهَجْرِ

وَلَهُ أَيْضًا:

أَلْقَى الْمَنِيَّةَ فِي دِرْعَيْنِ قَدْ نُسِجَا

مِنَ الْمَنِيَّةِ لَا مِنْ نَسْجِ دَاوُدِ

إِنَّ الَّذِي صَوَّرَ الْأَشْيَاءَ صَوَّرَنِي

نَارًا مِنَ الْبَأْسِ فِي بَحْرٍ مِنَ الْجُودِ

---

(١) وفى الاصل : الذى فى مكتبة اكسفورد : « تجملوا »

(٢) أى أعينونا وفى الاصل هذا « بوفاة » فأصلحت إلى « وفاء » كما ترى

وَهذَانِ الْبَيْتَانِ يُرْوَيَانِ لِعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مَلِكِ الْغَرْبِ .

وَلِسَدِيدِ الْمُلْكِ ، مِنْ مَجْمُوعِ أُسَامَةَ :

كَيْفَ السُّلُوُّ وَحُبُّ مَنْ هُوَ قَاتِلِى
أَدْنَى إِلَىَّ مِنَ الْوَرِيدِ الْأَقْرَبِ
إِنِّى لَأُعْمِلُ فِكْرَتِى فِى سَلْوَةٍ
عَنْهُ فَيَظْهَرُ فِىَّ ذُلُّ الْمُذْنِبِ

وَلَهُ أَيْضاً :

بَكَرَتْ تَنْظُرُ شَيْبِى وَثِيَابِى يَوْمَ عِيدِ
ثُمَّ قَالَتْ لِى بِهُزْءٍ يَا خَلِيقاً فِى جَدِيدِ
لَا تُغَالِطْنِى (١) فَمَا تَصْـ ـلُحُ إِلَّا لِلصُّدُودِ

قَالَ الْعِمَادُ : أَنْشَدْتُ هذِهِ الْأَبْيَاتَ وَالْقِطَعَ جَمِيعَهَا ، الْأَمِيرَ مُؤَيَّدَ الدَّوْلَةِ أُسَامَةَ ، فِى سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ ، فَأَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ لِجَدِّهِ سِوَى الْبَيْتَيْنِ اللَّذَيْنِ أَوَّلُهُمَا :

لَا تَعْجَلُوا بِالْهَجْرِ إِنَّ النَّوَى

(١) أى لا تظهر بغير حقيقتك ، وفى البيت قبله ، ياخليقاً من خلق ككرم ، وسمع بمعنى باباليا وهى فى الاصل : ياخليعاً بالعين « عبد الخالق »

وَأَنْشَدَنِي لِجَدِّهِ ، وَكَانَ كَتَبَ بِهَا إِلَى الْقَاضِي جَلَالِ الْمُلْكِ ، أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عَمَّارَةَ ، صَاحِبِ طَرَابُلُسَ :

أَحْبَابَنَا لَوْ لَقِيتُمْ فِي مُقَامِكُمُ
مِنَ الصَّبَابَةِ مَا لَاقَيْتُ فِي ظَعَنِي
لَأَصْبَحَ الْبَحْرُ مِنْ أَنْفَاسِكُمْ يَبَساً
كَالْبَرِّ مِنْ أَدْمُعِي يَنْشَقُّ بِالسُّفُنِ

وَمِنْهُمُ الْأَمِيرُ أَبُو سَلَامَةَ ، مُرْشِدُ بْنُ عَلِيِّ ، بْنِ مُقَلَّدِ ، ابْنِ نَصْرٍ ، بْنِ مُنْقِذٍ ، وَوَلَدُ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُ ، لَهُ الْبَيْتُ الْقَدِيمُ ، وَالْفَضْلُ الْعَمِيمُ ، مِنْ فُرُوعِ الْأَمْلَاكِ ، الْفَارِعِي [1] الْأَمْلَاكِ .

قَالَ السَّمْعَانِيُّ فِي تَارِيخِهِ : رَأَيْتُ مُصْحَفاً بِخَطِّهِ ، كَتَبَهُ بِمَاءِ الذَّهَبِ عَلَى الطَّاقِ [2] الصُّورِيِّ ، مَا رَأَيْتُ

(١) أى الفارعى جمع فارع ، من قولهم : فرع القوم : علاهم طولا وفى الشعر : فرع الرجال مهابة وجلالا . « وبعد » فهم لقدرهم العظيم ، يفرعون الاملاك ، جمع ملك ، وفى الاصل الافلاك ، ولكن الاملاك انسب بالقول . « عبد الخالق »

(٢) الطاق : الثياب ، ونسبت إلى صور ، لانها صنعت بها .

وَلَا أَظُنُّ أَنَّ الرَّائِينَ رَأَوْا مِثْلَهُ ، فَقَدْ جَمَعَ إِلَى فَضَائِلِهِ حُسْنَ خَطِّهِ ، وَتَقَدَّمَ بِحُسْنِ تَدْبِيرِهِ عَلَى رَهْطِهِ (١) وَأَسَنَّ وَعُمِّرَ ، وَلَهُ أَوْلَادٌ نُجَبَاءُ أَمْجَادٌ ، كُرَمَاءُ أَجْوَادٌ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ سِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَمَاتَ بِشَيْزَرَ (٢) ، سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، فِيمَا حَكَاهُ وَلَدُهُ أُسَامَةُ لِلسَّمْعَانِيِّ .

وَذَكَرَهُ مَجْدُ الْعَرَبِ أَبُو فِرَاسٍ الْعَامِرِيُّ ، وَقَالَ : كُنْتُ مُقِيماً مُدَّةً بِشَيْزَرَ فِي كَنَفِهِمْ ، حَاظِياً بِرِفْدِهِمْ ، سَامِياً بِشَرَفِهِمْ . وَأَثْنَى عَلَى خَلَفِهِمْ ، وَتَرَحَّمَ عَلَى سَلَفِهِمْ ، قَالَ : وَكَانَ الْأَمِيرَ حِينَئِذٍ بِقَلْعَةِ شَيْزَرَ : السُّلْطَانُ أَبُو الْعَسَاكِرِ أَخُوهُ ، وَهُوَ مَمْدُوحِي الَّذِي حَبَانِي الْإِكْرَامَ وَالْإِحْسَانَ ، وَكَانَ الْأَمِيرُ مُرْشِدٌ يُقَرِّبُنِي وَيُكْرِمُنِي ، وَقَالَ فِيَّ أَبْيَاتاً مِنْهَا .

لَئِنْ نَسِيَ امْرُؤٌ عَهْداً فَإِنِّي
لِعَهْدِ أَبِي الْفَوَارِسِ غَيْرُ نَاسِ

---

(١) الرهط : قوم الرجل وقبيلته

(٢) سبق الكلام فى شيزر وقد ذكرها امرؤ القيس

تقطع أسباب اللبانة والهوى ... عشية رحنا من حماة وشيزرا

وَمَا عَاشَ الْأَمِيرُ أَبُو فِرَاسٍ
فَمَا مَاتَ الْأَمِيرُ أَبُو فِرَاسِ

كُنْيَةُ الْعَامِرِيّ أَبُو فِرَاسٍ ، وَأَبُو فِرَاسٍ الْآخَرُ ، هُوَ أَبُو فِرَاسِ بْنُ حَمْدَانَ ، وَكَانَ الْعَامِرِيُّ يَتَبَجَّحُ (١) بِالْبَيْتَيْنِ ، وَذَكَرَ السَّمْعَانِيُّ فِي تَارِيخِهِ ، أَنْشَدَنِي وَلَدُهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ ابْنُ مُرْشِدٍ ، بْنِ عَلِيٍّ ، بْنِ مَقْلَدِ بْنِ مُنْقِذٍ ، مِنْ حِفْظِهِ عِنْدَ الْقُبَّةِ الَّتِي فِيهَا قَبْرُ أَيُّوبَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عِنْدَ عَقَبَةِ أَفِيقَ ، بِنَوَاحِي الْأُرْدُنِّ قَالَ ، وَأَنَا قَائِمٌ أَكْتُبُ ، وَهُوَ وَغِلْمَانُهُ عَلَى الْخَيْلِ ، قَالَ : أَنْشَدَنِي وَالِدِي مُرْشِدُ بْنُ عَلِيٍّ لِنَفْسِهِ بِشَيْزَرَ :

ظَلُومٌ أَبَتْ فِي الظُّلْمِ إِلَّا التَّمَادِيَا
وَفِي الصَّدِّ وَالْهِجْرَانِ إِلَّا تَنَاهِيَا

شَكَتْ هَجْرَنَا وَالذَّنْبُ فِي ذَاكَ ذَنْبُهَا
فَيَا عَجَبًا مِنْ ظَالِمٍ جَاءَ شَاكِيَا !

وَطَاوَعَتِ الْوَاشِينَ فِيَّ وَطَالَمَا
عَصَيْتُ عَذُولًا فِي هَوَاهَا وَوَاشِيَا

---

(١) أي يفتخر ويتعظم

وَمَالَ بِهَا تِيهُ الْجَمَالِ إِلَى الْعُلَا
وَهَيْهَاتَ أَنْ أُمْسِي لَهَا الدَّهْرَ قَالِيَا
وَلَا نَاسِيًا مَا اسْتَوْدَعَتْ مِنْ عُهُودِهَا
وَإِنْ هِيَ أَبْدَتْ جَفْوَةً وَتَنَاسِيَا

وَمِنْهَا فِي الْعِتَابِ :

وَقُلْتُ : أَخِي يَرْعَى بَنِيَّ وَأُسْرَتِي
وَيَحْفَظُ فِيهِمْ عُهْدَتِي وَذِمَامِيَا
وَيَجْزِيهِمُ مَا لَمْ أُكَلِّفْهُ فِعْلَهُ
لِنَفْسِي فَقَدْ أَعْدَدْتُهُ مِنْ تُرَاثِيَا (١)
فَأَصْبَحْتُ صِفْرَ الْكَفِّ مِمَّا رَجَوْتُهُ
أَرَى الْيَأْسَ قَدْ غَطَّى سَبِيلَ رَجَائِيَا
فَمَا لَكَ لَمَّا أَنْ حَنَى الدَّهْرُ صَعْدَتِي (٢)
وَثَلَّمَ مِنِّي صَارِمًا كَانَ مَاضِيَا

(١) التراث : الارث ، والميراث
(٢) الصعدة : القناة

تَنَكَّرْتَ حَتَّى صَارَ بِرُّكَ قَسْوَةً
وَقُرْبُكَ مِنْهُمْ جَفْوَةً وَتَنَاسِيَا
عَلَى أَنَّنِي مَا حُلْتُ عَمَّا عَهِدْتَهُ
وَلَا غَيَّرَتْ هَذِى الشُّؤُونُ وِدَادِيَا
فَلَا زَعْزَعَتْكَ الْحَادِثَاتُ فَإِنَّنِي
أَرَاكَ يَمِينِي وَالْأَنَامُ شِمَالِيَا

قَالَ : وَقَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ كَلِمَةً نَظَمَهَا الْخَطِيبُ أَبُو الْفَضْلِ ، يَحْيَى بْنُ سَلَامَةَ الْحَصْكَفِيُّ ، فِي جَوَابِ رِسَالَةٍ وَصَلَتْهُ مِنَ الْأَمِيرِ (١) عَلِيِّ بْنِ مُرْشِدٍ مِنْ شَيْزَرَ ، وَهِيَ :

حَوَى مُرْشِدٌ وَأَبْنَاهُ غُرَّ الْمَنَاقِبِ
وَحَلُّوا مِنَ الْعَلْيَاءِ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ
ذَوَائِبُ (٢) مَجْدٍ مَا عَلِمْتُ بِأَنَّهُمْ
مِنَ الْعِلْمِ أَيْضاً فِي الذُّرَى (٣) وَالذَّوَائِبِ

(١) هكذا فى نسخة العماد الخطية — وكانت فى الاصل اليمين
(٢) جمع ذؤابة وهى من الشرف والعز وكل شىء أعلاه
(٣) الذروة من كل شى : أعلاه

أَتَتْ مِنْ عَلِيٍّ رَوْضَةٌ جَادَ رَوْضَهَا
سَحَائِبُ فَضْلٍ لَا كَجَوْدِ السَّحَائِبِ
بِأَبْيَاتِ شِعْرٍ أَفْحَمَتْ كُلَّ شَاعِرٍ
وَآيَاتِ نَثْرٍ أَعْجَبَتْ كُلَّ خَاطِبِ
وَغُرِّ مَعَانٍ أَعْجَزَتْ كُلَّ عَالِمٍ
وَأَسْطُرِ خَطٍّ أَرْعَشَتْ كُلَّ كَاتِبِ
وَرَبْعٌ لِوِرْدٍ وَاقِدٌ (١) لِمُطَالِعٍ
رَبِيعٌ لِوَفْدٍ وَارِدٍ بِمَطَالِبِ
وَخَوْدٌ (٢) رَمَتْ بِالسِّحْرِ عَنْ قَوْسِ حَاجِبٍ
لَهَا فِي الْعُلَا فَخْرٌ عَلَى قَوْسِ حَاجِبِ (٣)
فَلَوْ قَطَّبَتْ يَوْماً لَمَا قَطَّبَتْ لَهَا
وُجُوهٌ وَلَا غَطَّتْ عَلَى حُكْمِ شَارِبِ

وَمِنْهُمْ حَمِيدُ بْنُ مَالِكِ، بْنِ مُغِيثِ، بْنِ نَصْرِ، بْنِ مُنْقِذِ، بْنِ مُحَمَّدِ، بْنِ مُنْقِذِ، بْنِ نَصْرِ، بْنِ هَاشِمٍ،

(١) موقد النار لمن يطالع النيران، حتى يكون ضيفا على طالبها
(٢) الخود: الشابة الناعمة، والجمع خود
(٣) يريد قوس حاجب بن زرارة، التي وضعها ضماناً عن العرب عند كسرى، ووفى بضمانه.

أَبُو الْغَنَائِمِ ، الْمُلَقَّبُ بِعَـكِينِ الدَّوْلَةِ ، وُلِدَ بِشَيْزَرَ فِي تَاسِعِ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَنَشَأَ بِهَا ، وَانْتَقَلَ إِلَى دِمَشْقَ ، فَسَكَنَهَا مُدَّةً طَوِيلَةً ، وَكُتِبَ فِي الْعَسْكَرِ ، وَكَانَ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ ، وَلَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ ، وَفِيهِ شَجَاعَةٌ وَعَفَافٌ ، وَمَاتَ فِي نِصْفِ شَعْبَانَ ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ بِحَلَبَ ، وَمِنْ شِعْرِهِ :

مَا بَعْدَ جِلِّقَ (١) لِلْمُرْتَادِ مَنْزِلَةٌ
وَلَا كَسُكَّانِهَا فِي الْأَرْضِ سُكَّانُ
فَكُلُّهَا لِمَجَالِ الطَّرْفِ مُنْتَزَهٌ
وَكُلُّهُمْ لِصُرُوفِ الدَّهْرِ أَقْرَانُ
وَهُمْ وَإِنْ بَعُدُوا عَنِّي بِنِسْبَتِهِمْ
إِذَا بَلَوْتَهُمْ بِالْوُدِّ إِخْوَانُ

وَقَالَ فِي أَخِيهِ يَحْيَى :

---

(١) هي دمشق ، وترى لفظ أقران في البيت الثاني ، وظني أنها أركان ، فانها أفيد في المعنى من أقران ، إذ الركن يأوي اليه المرء عند مايعوزه الايواء « عبد الخالق »

بِالشَّامِ لِي حَدَثٌ[١] وَجَدْتُ بِفَقْدِهِ
وَجْداً يَكَادُ الْقَلْبُ مِنْهُ يَذُوبُ
فِيهِ مِنَ الْبَأْسِ الْمَهِيبِ صَوَاعِقٌ
تُخْشَى وَمِنْ مَاءِ السَّمَاءِ قَلِيبُ[٢]
فَارَقْتُ حَتَّى حُسْنَ صَبْرِي بَعْدَهُ
وَهَجَرْتُ حَتَّى النَّوْمَ وَهُوَ حَبِيبُ

قَالَ الْحَافِظُ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ، بْنِ هِبَةِ اللهِ، وَأَنْشَدَنَا لِنَفْسِهِ:

يُذَكِّرُنِي يَحْيَى الرِّمَاحُ شَوَارِعاً[٣]
وَبِيضُ الْمَوَاضِي جُرِّدَتْ لِلْوَقَائِعِ
وَأُقْسِمُ مَارُؤْيَاهُ فِي الْعَيْنِ بَهْجَةً
بِأَحْسَنَ مِنْ أَوْصَافِهِ فِي الْمَسَامِعِ

قَالَ: وَأَنْشَدَ لِنَفْسِهِ:

وَسُلَافَةٍ أَزْرَى احْمِرَارُ شُعَاعِهَا
بِالْوَرْدِ وَالْوَجَنَاتِ وَالْيَاقُوتِ

(١) أي رجل فتى ، ووجدت : حزنت

(٢) القليب : البئر ، وقيل : العادية القديمة منها ، مطوية كانت أم غير مطوية

(٣) أي مسددة

جَاءَتْ مَعَ السَّاقِي تُنِيرُ بِكَأْسِها
فَكَأَنَّهَا اللَّاهُوتُ فِي النَّاسُوتِ (١)

قَالَ: وَأَنْشَدَنَا لِنَفْسِهِ فِي صَدِيقٍ لَهُ يُعَاتِبُهُ:

أَدْنُو بِوُدِّي وَحَظِّي مِنْكَ يُبْعِدُنِي
هَذَا: لَعَمْرُكَ عَيْنُ الْغَبْنِ وَالْغَبَنِ (٢)
وَإِنْ تَوَخَّيْتَنِي (٣) يَوْماً بِلَائِمَةٍ
رَجَعْتُ بِاللَّوْمِ إِبْقَاءً عَلَى الزَّمَنِ
وَحُسْنُ ظَنِّي مَوْقُوفٌ عَلَيْكَ فَهَلْ
غَيَّرْتَ بِالظَّنِّ بِي عَنْ رَأْيِكَ الْحَسَنِ

وَمِنْهُمُ الْأَمِيرُ شَرَفُ الدِّينِ، أَبُو الْفَضْلِ، إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي الْعَسَاكِرِ، سُلْطَانَ بْنِ عَلِيٍّ، بْنِ مُنْقِذٍ، كَانَ أَبُوهُ عَمَّ مُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ، أُسَامَةَ بْنِ مُرْشِدٍ، أَمِيرِ شَيْزَرَ، وَكَانَ شَابّاً فَاضِلاً، سَكَنَ لَمَّا أُخِذَتْ مِنْهُمْ شَيْزَرُ بِدِمَشْقَ، وَمَاتَ بِهَا سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، قَالَ الْعِمَادُ: وَسَمِعْتُ مِنْ شِعْرِهِ:

(١) اللاهوت: الالوهة، والناسوت: الطبيعة الانسانية
(٢) الغبن بسكون الباء وفتحها: الظلم
(٣) أي قصدتني وتعمدتني

وَمُهَفْهَفٍ[1] كَتَبَ الْجَمَالُ بِخَدِّهِ
سَطْراً يُحَيِّرُ نَاظِرَ الْمُتَأَمِّلِ
بَالَغْتُ فِي اسْتِخْرَاجِهِ فَوَجَدْتُهُ
لَا رَأْىَ إِلَّا رَأْىُ أَهْلِ الْمَوْصِلِ

وَذَكَرَهُ ابْنُ عَمِّهِ الْأَمِيرُ مُرْهَفُ بْنُ أُسَامَةَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَأَنْشَدَنِي لَهُ أَشْعَاراً مِنْهَا بَيْتَانِ فِي النَّحْلِ وَالزُّنْبُورِ وَهُمَا :

وَمُغَرِّدَيْنِ تَرَنَّمَا فِي مَجْلِسٍ
فَنَفَاهُمَا لِأَذَاهُمَا الْأَقْوَامُ
هَـذَا يَجُودُ بِمَا يَجُودُ بِعَكْسِهِ
هَذَا فَيُحْمَدُ ذَا وَذَاكَ يُذَامُ

يَعْنِي الْعَسَلَ مِنَ النَّحْلِ ، وَعَكْسُهُ اللَّسْعُ مِنَ الزُّنْبُورِ . وَأَنْشَدَنِي أَيْضاً لَهُ :

سُقِيتُ كَأْسَ الْهَوَى عَلاًّ[2] عَلَى نَهَلٍ
فَلَا تَزِدْنِي كَأْسَ اللَّوْمِ وَالْعَذَلِ

(١) ضامر البطن (٢) العل : الشرب الثانى ، والنهل الشرب الأول

نَأَى الحَبِيبُ فَبِي مِنْ نَأْيِهِ حُرَقٌ
لَوْ لَابَسَتْ جَبَلًا هَدَّتْ قُوَى الْجَبَلِ
وَلَوْ تَطَلَّبْتُ سُلْوَانًا لَزِدْتُ هَوًى
وَقَدْ يَزِيدُ رُسُوبًا نَهْضَةُ الْوَحِلِ
عَفَتْ(١) رُسُومِي فَعُجْ(٢) نَحْوِي لِتَنْدُبَنِي
فَالصَّبُّ غِبَّ(٣) زِيَالِ الْحُبِّ كَالطَّلَلِ
صَحَوْتُ مِنْ قَهْوَةٍ تُنْفَى الْهُمُومُ بِهَا
لَكِنَّنِي ثَمِلٌ مِنْ طَرْفِهِ الثَّمِلِ
أُصَبِّرُ النَّفْسَ عَنْهُ وَهْيَ قَائِلَةٌ
« مَالِي بِعَادِيَةِ(٤) الْأَشْوَاقِ مِنْ قِبَلِ »
كَمْ مِيتَةٍ وَحَيَاةٍ ذُقْتُ طَعْمَهُمَا
مُذْ ذُقْتُ طَعْمَ النَّوَى لِلْيَأْسِ وَالْأَمَلِ

(١) أي درست وبليت
(٢) أي عد وارجع
(٣) أي عقب ، وزيال بمعنى انتهاء
(٤) عادية الاشواق : ظلمها وشرها

وَالنَّفسُ إِنْ خَاطَرَتْ فِي غَمْرَةٍ وَأَلَتْ[١]

مِنْهَا وَإِنْ خَاطَرَتْ فِي الْوَجْدِ لَمْ تَئِلِ

لَهَا دُرُوعٌ تَقِيهَا مِنْ سِهَامِ يَدٍ

نَهَلْ دُرُوعٌ تَقِيهَا أَسْهُمَ الْمُقَلِ؟

فَانْظُرْ إِلَيْهِ تَرَ الْأَقْمَارَ[٢] فِي قَمَرٍ

وَانْظُرْ إِلَيَّ تَرَ الْعُشَّاقَ فِي رَجُلِ

بِأَيِّ أَمْرٍ سَأَنْجُو مِنْ هَوَى رَشَأٍ

فِي جَفْنِهِ سِحْرُ هَارُوتٍ وَسَيْفُ عَلِي؟

إِذَا رَمَى طَرْفُهُ بِاللَّحْظِ قَالَ لَهُ

قَلْبِي أُعِذْ «لَا رَمَاكَ اللهُ بِالشَّلَلِ»

أَمِنْ بَنِي الرُّومِ ذَا الرَّامِي الَّذِي فَتَكَتْ

سِهَامُهُ بِالْوَرَى أَمْ مِنْ بَنِي ثُعَلِ؟؟

إِنْ خِفْتُ رَوْعَةَ هِجْرَانِ الْحَبِيبِ فَقَدْ

أَمِنْتُ فِي حُبِّهِ مِنْ رَوْعَةِ الْعَذَلِ

---

(١) الغمرة : الشدة . وألت : عظمت وعولت على اللجوء الى مايخلصها من الغمرة

(٢) يريد أن الجمال كله تمثل فى شخصه ، وشبهه بالقمر الذى اجتمعت الاقمار فيه ، ووجه الشبه بينهما : الحسن والاستدارة ، وما أحسن قوله : وانظر الخ فقد جمع كل العشاق فى شخصه : وهذا من البديع بمكان «منصور»

وَمِنْهُمُ الْأَمِيرُ أَبُو الْفَتْحِ ، يَحْيَى بْنُ سُلْطَانَ ، بْنِ مُنْقِذٍ ، لَقَبُهُ فَخْرُ الدَّوْلَةِ ، ذَكَرَهُ الْأَمِيرُ مُرْهَفُ بْنُ أُسَامَةَ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ قُتِلَ عَلَى بَعْلَبَكَّ ، فِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . وَأَنْشَدَنِي مِنْ شِعْرِهِ ، مَا كَتَبَهُ إِلَى أَبِيهِ عِزِّ الدِّينِ ، يَطْلُبُ مِنْهُ رُمْحاً :

يَا خَيْرَ قَوْمٍ لَمْ يَزَلْ مَجْدُهُمْ
فِي صَفَحَاتِ الدَّهْرِ مَسْطُورَا
عَبْدُكَ يَبْغِي أَسْمَراً ذِكْرُهُ
مَا زَالَ بَيْنَ النَّاسِ مَذْكُورَا
مُسَدَّدٌ وَالْجَوْرُ مِنْ شَأْنِهِ
إِنْ نَالَ وِتْراً صَارَ مَوْتُورَا
فَإِنْ تَفَضَّلْتَ بِهِ عَادَ عَنْ
صُدُورِ أَعْدَائِكَ مَكْسُورَا

وَمِنْهُمُ الْأَمِيرُ عِزُّ الدَّوْلَةِ أَبُو الْمُرْهَفِ ، نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ ، بْنِ مُقَلَّدِ ، بْنِ نَصْرٍ ، بْنِ مُنْقِذٍ ، عَمُّ مُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ أُسَامَةَ ، قَالَ الْعِمَادُ : كُنَّا حَضَرْنَا عِنْدَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ لَيْلَةً

بدِمَشْقَ ، سَنَةَ إحْدَى وَسَبْعِينَ ، والأَمِيرُ مُؤَيَّدُ الدَّوْلَةِ حَاضِرٌ ، وَتَنَاشَدْنَا مُلَحَ القَصَائِدِ ، وَنَشَدْنَا ضَالَّةَ الفَوَائِدِ ، وَجَرَى حَدِيثٌ اقْتَضَى إنْشَادَ الأَمِيرِ أُسَامَةَ بَيْتَيْنِ لِبَعْضِهِمْ فِي المُشْطِ الأَسْوَدِ ، والمُشْطِ الأَبْيَضِ ، وَهُمَا لِأَبِي الحَسَنِ ، أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، بْنِ الدُّرَيْدَةِ المَغْرِبِيِّ ، كَانَ فِي زَمَنِ بَنِي صَالِحٍ :

كُنْتُ أَسْتَعْمِلُ السَّوَادَ مِنَ الأَمْـ
شَاطِ وَالشَّعْرُ فِي سَوَادِ الدَّيَاجِي
أَتَلَقَّى مِثْلًا بِمِثْلٍ فَلَمَّا
صَارَ عَاجًا سَرَّحْتُهُ بِالْعَاجِ

ثُمَّ قَالَ الأَمِيرُ : وَقَدْ أَخَذَ هَذَا المَعْنَى ، عَمِّى نَصْرٌ وَعَكَسَهُ ، وَقَالَ :

كُنْتُ أَسْتَعْمِلُ البَيَاضَ مِنَ الأَمْـ
شَاطِ عُجْبًا بِلِمَّتِي (١) وَشَبَابِي

---

(١) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الاذن ، فاذا بلغت المنكبين ، فهى جمة ، والجمع لمم ولمام .

فَاتَّخَذْتُ السَّوَادَ فِي حَالَةِ الشَّيْـ
بِ سُلُوًّا عَنِ الصِّبَا بِالتَّصَابِي

وَقَالَ لِيَ الأَمِيرُ أُسَامَةُ : كَانَ عَمِّي نَصْرٌ قَدْ أَخْرَجَ[1] حَجَّةً عَنْ وَالِدَتِهِ ، فَرَآهَا فِي النَّوْمِ كَأَنَّهَا تُنْشِدُهُ ، فَأَتَيْتُهُ وَالأَبْيَاتُ عَلَى حِفْظِهِ ، وَهِيَ :

جُزِيتَ مِنْ وَلَدٍ بَرٍّ بِصَالِحَةٍ
فَقَدْ كَسَبْتُ ثَوَابًا آخِرَ الزَّمَنِ

وَقَدْ حَجَجْتَ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَقَدْ
أَتَيْتَهُ زَائِرًا يَا خَيْرَ مُحْتَضَنِ

---

(١) يريد أنه أخرج من ماله ما مثله ينفق فى الحج ، واستأجر به شخصا ليحج عن والدته ، ويهب ثواب الحجة لها . وذلك جائز شرعا وبيان ذلك ، أن العبادة ثلاثة أقسام : بدنى محض ، كالصلاة والصوم وهذا القسم لاتجزىء النيابة فيه عند الحنفية ، ومالى محض كالزكاة ، وهذا يجوز فيه النيابة ، ومركب منهما وهو الحج ، وحكمه حكم سابقه ، ولمناسبة الاخير نقول :

إن امرأة تسمى بالخثعمية : ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت له : إن أبى قد مات وعليه حج ، أينفعه إذا حججت عنه ؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرأيت أن لو كان على أبيك دين ، فقضيته عنه ، أينفعه ذلك ؟ فقالت : نعم ، فقال لها الرسول عليه الصلاة والسلام « فدين الله أحق أن يقضى » إنتهى ملخصا «منصور»

فَلَا تَنَلْكَ يَدُ الْأَيَّامِ مَا طَلَعَتْ
شَمْسٌ وَمَا صَدَحَتْ وَرْقَاءُ فِي فَنَنِ (١)

وَكَانَ نَصْرٌ هَذَا ، صَاحِبَ قَلْعَةِ شَيْزَرَ بَعْدَ وَالِدِهِ سَدِيدِ الْمُلْكِ ، وَكَانَ كَرِيمًا ذَا أَرْيَحِيَّةٍ . حَدَّثَنِي الْأَمِيرُ مُرْهَفُ بْنُ أُسَامَةَ بِحَضْرَةِ وَالِدِهِ ، قَالَ : كَتَبَ الْقَاضِي أَبُو مُسْلِمٍ وَادِعٌ الْمَعَرِّيُّ ، إِلَى الْأَمِيرِ نَصْرٍ فِي نَكْبَةٍ نَالَتْهُ (٢) :

يَا نَصْرُ يَا ابْنَ الْأَكْرَمِينَ وَمَنْ
شَفَعَ التِّلَادَ (٣) بِطَارِفِ الْفَخْرِ
هَذَا كِتَابٌ مِنْ أَخِي ثِقَةٍ
يَشْكُو إِلَيْكَ نَوَائِبَ الدَّهْرِ
فَامْنُنْ بِمَا عَوَّدْتَ مِنْ حَسَنٍ
هَذَا أَوَانُ النَّفْعِ وَالضُّرِّ

(١) صدحت : غنت . والورقاء : الحمامة . والفنن : الغصن

(٢) فى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد : « ناكبه » هذا كيوم ايوم فيريد نكبة شديدة (٣) التلاد : القديم . والطارف الجديد

فَكَتَبَ إِلَيْهِ نَصْرٌ : إِنَّهُ لَمْ يَحْضُرْنِي سِوَى مَا هُوَ عِنْدَكَ مُودَعٌ ، وَهُوَ سِتَّةُ آلَافِ دِينَارٍ ، فَاصْرِفْهَا فِي بَعْضِ مَصَالِحِكَ وَاعْذُرْ (١) . وَذُكِرَ أَنَّ نَصْراً كَانَ بَرًّا بِوَالِدِهِ سَدِيدِ الْمُلْكِ ، فَقَالَ فِيهِ سَدِيدُ الْمُلْكِ :

جَزَى اللهُ نَصْراً خَيْرَ مَا جُزِيَتْ بِهِ
رِجَالٌ قَضَوْا فَرْضَ الْعَلَاءِ وَتَنَفَّلُوا (٢)
هُوَ الْوَلَدُ الْبَرُّ الْعَطُوفُ وَإِنْ رَمَى
بِهِ حَادِثٌ فَهُوَ الْحِمَامُ الْمُعَجَّلُ
يُفَدِّيكَ يَا نَصْرٌ رِجَالٌ مَحَلُّهُمْ
مِنَ الْمَجْدِ وَالْإِحْسَانِ أَنْ يَتَقَوَّلُوا
سَأُثْنِي بِمَا أَوْلَيْتَ بِالْمَوْقِفِ الَّذِي
تَقِرُّ بِهِ الْأَقْدَامُ أَوْ تَتَزَلْزَلُ
وَأَلْقَاكَ يَوْمَ الْحَشْرِ أَبْيَضَ نَاصِعاً
وَأَشْكُرُ عِنْدَ اللهِ مَا كُنْتَ تَفْعَلُ

---

(١) أى التمس لى عذراً

(٢) أى فعلوا من الخير والاحسان ما زاد عن أداء الفروض

وَتُوُفِّيَ نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ ، فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمائَةٍ ، بِشَيْزَرَ . وَمِنْهُمُ الْأَمِيرُ عَضُدُ الدِّينِ ، أَبُو الْفَوَارِسِ مُرْهَفُ بْنُ أُسَامَةَ ، بْنِ مُرْشِدِ ، بْنِ عَلِيٍّ ، ابْنِ مُقَلَّدِ ، بْنِ نَصْرِ ، بْنِ مُنْقِذٍ . قَالَ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ : فَارَقْتُهُ فِي جُمَادَى الْأُولَى ، سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَسِتِّمائَةٍ ، بِالْقَاهِرَةِ يَحْيَا[1] ، وَلَقِيتُهُ بِهَا وَهُوَ شَيْخٌ ظَرِيفٌ ، وَاسِعُ الْخُلُقِ ، شَائِعُ الْكَرَمِ ، جَمَّاعَةٌ[2] لِلْكُتُبِ ، وَحَضَرْتُ دَارَهُ ، وَاشْتَرَى مِنِّي كُتُباً ، وَحَدَّثَنِي أَنَّ عِنْدَهُ مِنَ الْكُتُبِ مَا لَا يَعْلَمُ مِقْدَارَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ ذَكَرَ لِي ، أَنَّهُ بَاعَ مِنْهَا أَرْبَعَةَ آلَافِ مُجَلَّدٍ فِي نَكْبَةٍ لَحِقَتْهُ ، فَلَمْ يُؤَثِّرْ فِيهَا ، وَسَأَلْتُهُ عَنْ مَوْلِدِهِ ، فَقَالَ : وُلِدْتُ سَنَةَ عِشْرِينَ وَخَمْسِمائَةٍ ، فَيَكُونُ عُمْرُهُ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا ، اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ سَنَةً ، وَكَانَ قَدْ أُقْعِدَ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْحَرَكَةِ ، إِلَّا أَنَّهُ صَحِيحُ الْعَقْلِ وَالذِّهْنِ ، وَالْفِطْنَةِ وَالْبَصَرِ ، يَقْرَأُ الْخَطَّ الدَّقِيقَ

(١) يريد باقيا على الحياة

(٢) صيغة مبالغة فى جمع : أى كثير الجمع للكتب

كقراءة الشبان، إلا أن سمعه فيه ثقل، وكان ذلك يمنعني من مكاثرته ومذاكرته. وكان السلطان صلاح الدين — رحمه الله — قد أقطعه (١) ضياعاً بمصر، فهو يصرفها في مصالحه، وأجراه الملك العادل، أخو صلاح الدين على ذلك، وكان الملك الكامل بن العادل يحترمه، ويعرف له حقه، وأنشدني شيئاً من شعره وشعر أهله، لم يحضرني منه في هذا الوقت ما أورده:

وذكر له العماد في كتاب الخريدة، ما ذكر أنه سمعه منه وهو:

سمحت بروحي في رضاك ولم يكن
ليعجزني لولا رضاك المذاهب (٢)
وهانت لجراك (٣) العظائم كلها
على وقد جلت لدى النوائب
فكان ثوابي عن ولائي لحبكم
رمتني به منك الظنون الكواذب

(١) أقطعه : أعطاه . والضياع الاراضى المغلة (٢) المذاهب جمع مذهب : الطريقة والأصل والمعتقد الذى يذهب إليه ، وقد يستعمل فى غيرها من مطلق الآراء

(٣) يريد من أجلك

فَمَهْلًا فَلِي فِي الْأَرْضِ عَنْ مَنْزِلِ الْعُلَا
مَسَارٍ[١] إِذَا أَخْرَجْتَنِي وَمَسَارِبُ
وَإِنْ كُنْتَ تَرْجُو طَاعَتِي بِإِهَانَتِي
وَقَسْرِي فَإِنَّ الرَّأْيَ عَنْكَ لَعَازِبُ

وَأَنْشَدَنِي أَيْضًا لِنَفْسِهِ « قَالَ وَهُوَ حَاضِرٌ عِنْدَ وَالِدِهِ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ مِمَّا كَتَبَهُ إِلَى وَالِدِهِ » :

رَحَلْتُمْ وَقَلْبِى بِالْوَلَاءِ مُشَرِّقٌ
لَدَيْكُمْ وَجِسْمِي لِلْعَنَاءِ مُغَرِّبُ
فَهَـــذَا سَعِيدٌ بِالدُّنُوِّ مُنَعَّمٌ
وَهَذَا شَقِيٌّ بِالْبِعَـــادِ مُعَذَّبُ
وَمَا أَدَّعِي شَوْقًا فَسُحْبُ مَدَامِعِي
تُتَرْجِمُ عَنْ شَوْقِي إِلَيْكُمْ وَتُعْرِبُ
وَوَاللهِ مَا اخْتَرْتُ التَّأَخُّرَ عَنْكُمُ
وَلَكِنْ قَضَاءُ اللهِ مَا مِنْهُ مَهْرَبُ

وَمَاتَ الْأَمِيرُ عَضُدُ الدِّينِ بْنُ مُرْهَفٍ ، فِي الثَّانِي مِنْ صَفَرٍ ، سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ .

(١) مسار جمع مسرى ، من سرى : اذا سار ليلا

انتهى الجزء الخامس

من كتاب معجم الأدباء

﴿ ويليه الجزء السادس ﴾

﴿ واوله ترجمة ﴾

﴿ إسحاق بن إبراهيم الموصلي ﴾

فهرس

الجزء الخامس

«من كتاب معجم الأدباء»

لياقوت الرومي